المقتطف

الجزء الرابع من المجلد الثامن والتسعين

١ ابريل سنة ١٩٤١ — ٣ ربيع اول سنة ١٣٦٠

سر طاقة الشمس

وأدوار زيدتها ونقصانها

لاحياة على الارض ولا حركة بغير أشعة الشمس . فما مصدر طاقتها ؟ ومتى بدأت تولدها وتخزنها ؟ والى متى تستطيع أن تمضي تمدنا بها ؟ وكيف نشأت شمسنا وما يكون مصيرها ومصير ارضنا بعد أن تنفد مصادر طاقتها

قيس مقدار مايقع عموديًا من اشعاع الشمس على مساحة سنتمتر مربع من سطح الارض في الثانية فاذا هو ١٣٥٠٠٠٠٠٠ ارج (erg) وذلك بعد حساب مايمتصهُ الهواء في خلال اختراق الأشعة لهُ . فاذا حوّلنا هذا القدر من الطاقة الشمسية الى مايقابله من طاقة الفحم ، وجدنا أن أرضاً مساحتها نصف مائة قدم مربعة تتلقى من طاقة الشمس في يوم عادي قدراً يعدل الطاقة المستخرجة من فحم ثمنهُ بضعة جنيهات . وغنيٌّ عن البيان أن الشمس تتلقى جزءًا صغيراً جدًّا من مجموع مايشعهُ الشمس من طاقة في الفضاء

وتقدَّر حرارة سطح الشمس بنحو ستة آلاف درجة . وليس في العالم مادة لا تتحول غازية بفعل حرارة هذه شدتها . ولذلك فجميع العناصر على سطح الشمس في حالة غازية . وتدل مباحث أخرى رياضية وتجريبية على أن حرارة قلب الشمس تبلغ عشرين مليون درجة أو أكثر قليلاً . ولو كان في الوسع أن نصنع مدفأة صغيرة لا يصهر معدنها بفعل الحرارة العالية وولدت

فيها شعلة حرارتها من رتبة حرارة قلب الشمس ، لكفت حرارة هذه الشعلة لاشعال كل مايقع حول المدفأة في دائرة نصف قطرها مائة ميل

ومن الخطإ أن نظن أن الغازات في الشمس لطيفة مخلخلة البنيان . فالغازات التي تتناولها على سطح الأرض أنظف وأقل كثافة من السوائل والجوامد . ولكن الضغط في باطن الشمس عالٍ جداً يبلغ عشرة آلاف مليون جوّ . ففي حالة كهذه تضغط الغازات حتى لقد تفوق في كثافتها كثافة السوائل والجوامد المألوفة أي إنها في حالة طبيعية غير مألوفة على سطح الأرض

وشدة الضغط وقبول الغازات للانضغاط يفضيان الى زيادة الكثافة في مادة الشمس زيادة كبيرة سريعة وفقاً للانتقال من سطح الشمس الى قلبها . وقد حسب فريق من العلماء أن كثافة قلب الشمس أعظم من كثافة الشمس جملة وأحدة نحو خمسين ضعفاً . ولذلك يعتبر العلماء أن كثافة الغازات في قلب الشمس تفوق كثافة الزئبق ستة أضعاف . ويقابل هذا أن غاز طبقات سطح الشمس لطيفة ، والضغط الجوي في جوّ الشمس — Chromosphere وهو غلافها الخارجي — لا يبلغ أكثر من جزء من الف من ضغط هواء الأرض

فعند ما نسأل ما مصدر حرارة الشمس ، متذكرين درجات هذه الحرارة العالية ، نعلم أن عمل الاحتراق المعروف على سطح الأرض لا يكفي لتوليد هذه الحرارة العالية ولا لتوليدها مدة طويلة كافية تتفق وعمر الشمس . فقد ماتحرق غراماً من الفحم يولد طاقة لا تزيد على جزء من خمس مائة الف جزء من الطاقة التي ولدها غرام من كتلة الشمس في خلال تاريخها . ولو كانت الشمس من الفحم وبدأت تشتعل في عصر الفرعون الأول لما كانت الآن إلاّ رماداً باردا

والحقيقة أن نكرة الاحتراق نفسها لا تتفق وأحوال الشمس . ففي طيف الشمس خطّا الكربون والاكسجين وهما عنصرا الاحتراق . ولكن حرارة الشمس أعلى من ان تدع مجالاً لاحتراق هذين العنصرين . فنحن نفهم الاحتراق على انهُ تفاعل المادة القابلة الاحتراق مع الاوكسجين فتتولد من التفاعل مواد مركبة وتنطلق طاقة حرارة . ولكن شدة الحرارة في كتلة الشمس تحل المركبات المعقدة الى عناصرها . فبخار الماء يحل ايدروجيناً وأوكسجيناً وثاني اكسيد الكربون يحل كربوناً وأوكسجيناً . فالغازات التي تتقوم بها كتلة الشمس يجب ان تكون عناصر لا مركبات

***

وقد عجز علم الطبيعة في القرن الماضي عن تفسير مشكلة طاقة الشمس وسرها . ولكن كشف ظاهرة انحلال المادة الاشعاعي ، واحتمال تحويل العناصر بعضها الى بعض ، اطلقا ضوءاً على هذا

السر الغامض . ذلك ان العلم الحديث أبان أن في باطن نوى الذرّات تختبيء مقادير عظيمة من الطاقة

هذه الطاقة الذرية subatomic التي كشفت أولاً منطلقة من تلقاء نفسها من ذرّات العناصر المشعة ، تنطلق في أحوال خاصة في تيار عظيم تفوق طاقتهُ ملايين الأضعاف طاقة التفاعلات الكيميائية المعروفة كتفاعل الاحتراق . واذا كانت الشمس المكونة من فحم مشتعل تتحول رماداً في خمسين قرناً أو ستين ، فانها وهي تستمد طاقتها من العالم الذري تستطيع أن تمضي في اطلاق طاقتها العظيمة ملايين والوف الملايين من السنين

إلاّ أننا نعلم أن العناصر المشعة التي من قبيل الاورانيوم والثوريوم ليست على جانب من الوفرة في جسم الشمس يفسر هذه الطاقة العظيمة التي تنطلق منها . ولذلك لا مفرّ لنا من القول بأنّ طاقة الشمس مردّها الى تحوّل العناصر العادية المستقرة الى عناصر مشعة

فما هي الأساليب المتبعة في هذا الأتون الكوني ، حيث يحدث تحول واسع النطاق في نوى الذرّات فتنطلق هذه المقادير العظيمة من الطاقة ؟

***

كان الجواب الاول عن هذا السؤال من مقترحات باحثين شابين في سنة ١٩٢٩ احدهما يدعى روبرت أتكنسن والثاني فرتز هوترمانز . ومؤدى رأيهما ان الاصطدامات التي تقع في قلب الشمس بين نوى الذرّات المتطايرة ، في جوّ عالي الحرارة ، تحدث تحولاً في هذه النوى من نمط التحوّل الذي تحدثهُ القذائف التي يطلقها العلماء بوسائلهم القاصرة على نوى الذرات في معامل البحث على سطح الأرض

ويجب ان نذكر ان العناصر في جوّ هذه حرارتهُ الشديدة ، ليست مجموعة من الذرّات والجزيئات ، بل هي نوى ذرّات جردت من كهيرباتها وكهيرباتفصلت بعضها بعض . ونحن نعلم أن الكهيربات تنزع من النوى اذا كانت الحرارة اقل من حرارة باطن الشمس . فصورة باطن الشمس حيث يقع التفاعل بين النوى تولداً مقادير عظيمة من الطاقة ، هي صورة نوى مجرّدة من كهيرباتها وكهيربات منفصلة بعضها من بعض وجميعها تتحرك هنا وهناك بغير ضابط أو نظام

ودوام الاصطدامات بين النوى في باطن الشمس بفعل الحرارة العالية والحركة ، يجعل تأثير الاصطدام اعظم واقوى من طريقة قذف النوى في معمل البحث بقذائف شتى . فاذا اخذنا قدراً من مزيج الايدروجين والليثيوم وأحياناه الى درجة واقية فان الاصطدامات الشديدة بين دقائق هذين العنصرين تستمر حتى تتحوّل جميع النوى الى هليوم . وفي هذه الحالة ينطلق

من النوى المتحوّلة ، في اثناء تحولها ، قدر عظيم من الطاقة يكفل استمرار حماوة المزيج الى ان تفد النوى المعرّضة لهذا التحوّل

فكل الحاجة الى رفع درجة حرارة المزيج حتى يبدأ التفاعل

والغالب ان الشمس بدأت عمرها كتلة ضخمة من غاز على درجة واطئة من الحرارة ، وان حرارتها ازدادت رويداً رويداً بتأثير التجاذب بين دقائقها ، وبتجاذبها تقلصت وكان من أثر تقلصها تولد حرارة جديدة في باطنها ، فلما بلغت حرارة باطن هذه الكتلة الغازية ، درجة كافية لاحداث التفاعل المتقدم وصفهُ بين النوى ، كفى انطلاق الطاقة الذرية من النوى المتحوّلة بتأثير هذا التفاعل ، لمنع الشمس من تقلّص آخر ، ولاستمرار التفاعل بين النوى ، فبلغت الشمس حالتها المستقرة التي هي عليها الآن

***

ان طبقات الشمس الخارجية ، تضبط انطلاق الطاقة من باطنها . فاذا حدث ، لسبب ما ، ان ضعف التفاعل بين النوى المولد للطاقة ، أعقبهُ تقلّص في مجموع كتلة الشمس ، ينشأ عن التقلّص زيادة الحرارة ، — لأن التقلص يفضي الى زيادة معدّل الاصطدام بين النوى — فيعود انطلاق الطاقة الى معدله السابق . واذا حدث لسبب ما ، ان زاد التفاعل بين النوى وزاد مقدار الطاقة المنطلقة ، أعقب ذلك تمدّدٌ ، ينشأ عنهُ زيادة المشع من طاقة الشمس وهبوط في معدل الاصطدام بين النوى ، فيقل التفاعل ويهبط مقدار الطاقة المنطلقة الى معدله السابق

غير ان التفاعل بين الايدروجين والبليوم سريع جدًّا فلا يكفي منبعاً رئيساً لطاقة الشمس . لأن تحوّل البليوم والايدروجين الى هليوم لا يستغرق اكثر من بضع ثوانٍ اذا كانت الحرارة عشرين مليون درجة . يقابل هذا ان التفاعل بين البروتونات ونوى الأكسجين بطيء جدًّا فلا يفي في تعيير حرارة الشمس

أما التفاعل الذي يرجع اليهِ معظم ما يتولد في الشمس وما ينطلق منها من طاقة فقد كشفهُ الدكتور هـ ز بيث Berbe بجامعة كورنيل والدكتور كارل فون ڤيساكر وهو لا ينحصر في تفاعل واحد ولكنهُ سلسلة من التحولات حلقاتها مرتبط بعضها ببعض ، أي انهُ تفاعل مسلسل

فاذا كان مقدار الايدروجين وافياً توقف معدل التحول على نسبة الكربون أو النتروجين في كتلة الشمس . واذا سلّمنا بأن نسبة الكربون في كتلة الشمس تبلغ واحداً في المائة — بحسب علم الفلك الطبيعي — فاننا نجد أن « بيث » استطاع أن يثبت أن مقدار الطاقة

المنطلقة من الشمس على اعتبار ان معدّل الحرارة ٢٠ مليون درجة ، يطابق المقدار المنطلق منها فعلاً . ولكن اذا فرض ان حرارة قلب الشمس ٥٠ مليون درجة فان الدورة تستغرق خمسة ملايين من السنين اي أن كل نواة من الكربون او النتروجين دخلت في هذا التفاعل تخرج منهُ ثانيةً بعد هذا الزمن وكأنها لم تمس

فاذا ينتظر من تحوّل في شمسنا نتيجة لاستنفاد وقودها الايدروجيني ؟ يبدو لأول وهلة أن هذا يفضي الى نقص مستمر في مقدار الطاقة المتولدة فيها . وهذا يعني أن شمسنا سالكة طريقاً يفضي بها رويداً رويداً الى التمام والبرودة

ولكن بحث العلامة « جامو Gamow » يدل على ان الشمس على الرغم مما تقدم سالكة الآن طريقاً يفضي بها رويداً رويداً الى زيادة الحرارة والاشراق

ذلك ان معدل التحول في نوى الذرات لا يتوقف على مقدار العنصر المتفاعل (وهو الايدروجين) بل على درجة حرارة التفاعل كذلك . ولا يخفى ان الهليوم الذي يتولد في باطن الشمس نتيجةً لتفاعل الايدروجين، أكثف من الايدروجين وأقل شفوفاً منهُ. فالطاقة السالكة طريقها من باطن الشمس الى سطحها الاشعاع ، تجد في الهليوم ستاراً اخترقه أشق عليها من اختراق ستار الايدروجين فيزيد تجمع الطاقة في باطن الشمس . وهذا يفضي بدوره الى زيادة معدل حرارة الشمس والى زيادة معدل التفاعل النووي وزيادة معدل الطاقة المتولدة من هذا التفاعل . ولا بدَّ من أن يزيد على الزمن برغم ستار الهليوم ، مقدار الطاقة المنطلق من سطح الشمس لكثرة المخزون في باطنها . وبعد انقضاء زمن معين يزداد هذا المقدار مائة ضعف في حين أن مقدار الايدروجين في كتلة الشمس يكون قد قارب النفاد

ولكن هذه الحالة لا تحدث تغيراً في الحرارة المتولدة والمنطلقة فحسب بل تحدث تغيراً في حجم الشمس فيزيد حجمها أولاً — لأن زيادة حرارة الباطن تفضي الى زيادة الحجم فيزيد الاشعاع ويقل التفاعل — ثم بعد ذلك يبدأ حجمها في الضمور

وزيادة حرارة الشمس بمقدار مائة ضعف يرفع معدّل حرارة سطح الارض الى درجة غليان الماء . واذا كانت الصخور لا تنصهر عندما تبلغ هذه الحرارة ، فالبحار والمحيطات تبلغ درجة الغليان

***

من المتعذر علينا ان نتصور حيًّا ما باقياً على سطح الارض في مثل هذه الاحوال . ولكن يجب ان نذكر ان التغيُّر في اشعاع الشمس بطيء جدًّا . يدلُّ على ذلك ان في اثناء العصور

الجيولوجية المعروفة . خسرت الشمس مقدار واحد في المائة من ايدروجينها ، ولكنّ معدل حرارة الأرض لم يزد الاّ بضع درجات

غير ان الارتفاع البطيء المتدرج في معدل حرارة سطح الأرض، يحتمل ان يصحبهُ تطوُّر في عالم الاحياء بحيث تصبح الاحياء قادرة على العيش في بيئة حرارتها أعلى من حرارة بيئتها الحالية . ولكن لما كانت الاحياء العليا — كما نعرفها — عاجزة عن العيش في ماء غالٍ ، فالغالب ان ارتفاع الحرارة يصحبهُ تنكُّسٌ وانحطاط في انواع الأحياء . ولذلك يرجح ان تكون الأنواع العليا من الأحياء قد اندثرت من الأرض قبل ان تبلغ حرارة سطحها على المعدّل درجة الغليان

ومتى استنفدت الشمس آخر ايدروجينها تغدو وهي مجرّدة من مصادر الطاقة الذريرية ، وعندئذٍ تبدأ في التقلّص . ولكن الحرارة الناشئة عن التقلّص لا تكفي لبث الروح فيها بعثاً جديداً ، وهي اذا قيست بالطاقة الذريرية لم تكن شيئاً مذكوراً . وعندئذٍ تبدأ الشمس في الانحطاط اي في الضمور وضعف الاشراق . وعندئذٍ تشرف على «الموت»

وقد تصور الشمس في هذه المرتبة من تحولها كتلةً صخرية باردة . ولكن هذا تصوُّر خاطىء . والغالب ان حالة باطن الشمس تكون حينئذٍ على غير ما نعهدهُ من احوال المادة على سطح الأرض

***

ان الغازات تشو للضغط لأن الفراغ بين ذرّة واخرى ، وجزيء وآخر ، فراغ كبير جدًّا وبخاصة بالقياس الى احجام الذرّات . وعندما تضغط الهواء في عجلة سيارة لا نضغط جزيئات الهواء نفسها وانما نقلل المسافات التي تفصل بينها . ولكن اذا مضينا في ضغط الهواء ، ولاسيما اذا بردنا الهواء المضغوط نحول سائلاً وعندئذٍ تعجز زيادة الضغط عن نقص حجم السائل نقصاً يذكر . أما السوائل والجوامد فذراتها وجزيئاتها قريب بعضها من بعض قرباً متفاوتاً وهذا سر المشقة في ضغطها ونقص حجمها

على اننا نعلم أن الذرات نفسها فراغ على الأكثر ، وان معظم كتلة الذرّة مركز في نواتها . والكهربات واقفة في اطباق سديمي حول النواة على أبعاد كبيرة جدًّا بالقياس الى حجم النواة والكهربات نفسها ، حتى لتبلغ مسافة الكهربات في بعض الذرات الوفاً من أضعاف حجم النواة نفسها

ولكن بالضغط الشديد ، أو بالحرارة العظيمة والضغط الشديد، قد تتحشك الذرات فتشتغل حيزاً من المكان اقل كثيراً من الحيز الذي تشغلهُ وهي في حالتها الطبيعية . أي أن الكهيربات البعيدة عن النواة مثلاً تتداخل في مناطق الكهيربات القريبة من النواة وكذلك تصبح المادة المحشوكة على هذا الوجه كثيفة جداً حتى لقد زن البوصة المكعبة منها — كما في رفيق الشعري — ٦٢٠ طناً، وحتى اذا ذهب رجل يبلغ وزنهُ على سطح الارض ١٥٠ رطلاً الى سطح نجم من هذا القبيل ووقف عليهِ بلغ وزنهُ على سطحهِ ٢٥٠ الف طن . ويبلغ من شدة جذب كتلة النجم لهُ ان ينضغط وينبسط كأنهُ واقع تحت كتلة بارجين ضخمتين

وقد حسب العلماء مبلغ الضغط الذي يفضي الى هذه الحالة غير المألوفة من حالات المادة ، فاذا هي ١٥٠ مليون جوّ ، بقايلها الضغط في مركز الارض فاذا هو لا يزيد على ٣٢ مليون ضغط . أي ان كتلة الارض وضغطها على مركز الارض لا يكفي لضغط الذرّات وحشكها على النحو المتقدم ولكن كتلة المشتري تفوق كتلة الارض ٣١٧ ضعفاً . فالضغط الواقع على مركزهِ قريب جدًّا من الضغط اللازم لتحويل المادة الى هذه الحالة الجبية . واذا كانت الذرات في باطن المشتري لم تضغط وتحشك فانها قريبة من ذلك الحدّ بحيث لو زادت كتلتهُ الزيادة اللازمة لصغر حجمه وزادت كثافته

وكل جسم تزيد كتلتهُ على كتلة المشتري لا بدَّ ان يفضي ضغط كتلتهِ الى انضغاط ذرّاتهِ فيقصر قطرهُ و يصغر حجمهُ بقدر ان تقلَّ كتلته وكل ما هنالك ان معدَّل كثافتهِ يزيد

فالمشتري أكبر جسم من المادة الباردة يمكن ان يكون

والشمس عند ما تبلغ مرتبة « الموت » الكوني اي عندما يصغر حجمها ويقل اشراقها ، تكون أصغر حجماً من المشتري مع أنها أعظم كتلة منهُ

وقطرها حينئذٍ يكون من قبيل قطر الارض فتوضع في طبقة « الأقزام البيض » وقد دعيت اقزاماً لصغر حجمها ووصفت بالبياض لشدة تألق سطحها وارتفاع حرارتها البالغة درجة البياض

نحيل حضرات القراء على مقالين في هذا الموضوع أحدهما مقال : نجوم الأقزام البيض مقتطف مارس ١٩٤٠ ص ٢٥٥ والآخر فصل : آفاق الكون ، حجمه وحرارة نجومه وهو الفصل الاول في كتاب (آفاق العلم الحديث)

اثر الرياضة البدنية

في تكوين الخلق

لحضرة صاحب المعالي احمد محمد حسنين باشا
رئيس الديوان الملكي

ايها السادة

كان مزمعاً أن التقي بحضراتكم في هذا الحرم العلمي في يوم من أيام الشهر المقبل لأكون آخر متحدث في موسم الاتحاد الانكليزي المصري الثقافي لهذا العام ، غير ان الاتحاد شاء ان يجعلني أول من يفتتح برنامج محاضراته . وبهذا قصر عليّ الطريق فما بقي لي الوقت الذي يستلزمه بحث موضوع عميق كهذا البحث . فان رأيتم ان حديثي اليوم غير موفى وانهُ ظاهرة فيه العجلة وانهُ مجرد خطوط وحدود اكثر مما هو جوهر ولباب فمعذرة كريمة

وأرى لزاماً عليّ قبل أن ألقي كلمتي هذه ان اشكر هيئة الاتحاد الموقرة اجزل الشكر أن أتاحت لي هذه الفرصة السعيدة فرصة التحدث اليكم في الرياضة والاخلاق لعل في هذا الحديث بعض فوائد ينتفع بها شباب مصر الناهضة وخاصة في مثل هذا الظرف الدقيق الذي تجتازه بلادنا التاريخية العزيزة والذي تشهد فيه عن بعد وقرب براكين الحرب تتفجر فوق بقاع الأرض وتنتقل جحيمها المستعرة من ميدان الى ميدان والذي نستطيع ان نقف منهُ على مدى ما يمكن لذلك السلاح المستتر وراء السيف والمدفع ان يؤدي من واجبات وفروض وأعني بهذا السلاح وهو عندي أقوى الأسلحة وأمضاها : الاخلاق

ولست بمطيل الكلام في موضوع بديهي وليس منكم من يجهله . ألا وهو شأن الاخلاق في بناء الامم وأثرها في تدعيم اركانها وتشييد مجدها . فذلك امر معروف سجله التاريخ في صحفه ولم يعد يحتاج الى بيان

ولقد عمد علماء الاخلاق والاجتماع والفلاسفة الى التنافس في وضع الكتب الخاصة بالاخلاق ونشرها بين ابناء اجيالهم وتحايلوا على استنباط اسهل الطرق التي تؤدي الى ان يفيد النشء بها ويتأثر

وراقت هذه الموضوعات رجال التربية والتعليم فسارعوا الى تضمينها برامج التثقيف في المدارس على أنها عنصر رئيسي في مناهج التعليم المدرسي يبذل الاساتذة جهدهم في بث هذه النظريات في أنفس ابنائهم وغرس أصولها في عقولهم من طرق شتى

اقتسوا في سبيل ذلك الكتب المملأى بالنصائح والمثل العليا والمؤلفات الفياضة بالقصص التاريخية والحيائية والمصنفات المحتوية رسالة الكتب السماوية في الاخلاق ملتمسة في ذلك الحض والترغيب تارةً والوعيد والتخويف تارةً أخرى

وكان الرأي الاساسي في هذا الموضوع أن يزوَّد النشء بهذه الدروس النظرية الاخلاقية حتى اذا أكمل الفتى دراسته وأوشك أن يدخل ميدان الحياة أفاد مما تلقن من هذه الدراسات العقلية واستطاع أن يطبقها على شئون الحياة تطبيقاً عمليًّا

جاء الانكليز أيها السادة آخر الأمر وكانوا قد أخذوا بما أخذت به مدارس غيرهم من البلاد متبعين نفس الطريق طريق الكتاب والمدرس في تلقين أصول الاخلاق للنشء . جاء الانكليز وهم قوم عمليون طبعوا على تبسيط الطرق ليسهل ادراك الغايات. وفاجأوا العالم المتمدن باكتشاف جديد في هذا الموضوع اكتشاف ما أكاد اسميه علماً جديداً وما يسميه آخرون فتحاً جديداً في عالم التربية القومية . ذلك هو تطبيق أصول الاخلاق منذ الصغر تطبيقاً عمليًّا على شئون الحياة متخذين من ميدان الالعاب الرياضية الحقل التجريبي لهذا الاعداد النفسي الشاق

ولقد هداهم الى هذا الاكتشاف أمران : —

أولهما . قلة مارأوا من فوائد ايجابية للدراسات الاخلاقية النظرية . فالآخذ بها يكاد ينساها عندما يصدم بالصخرة الاولى من صخور الحياة

وثانيهما . أن نفس النشء الصغير ليّنة كقطعة الشمع صالحة أيما صلاح لتأثر وهي في تلك السن المبكرة بكل مايراد لها أن تتأثر له والشكل على كل ما يجب لها أن تتشكل عليه . فان أنت أردتها شيطاناً فهي شيطان . وان أنت احببت أن تكون ملكاً فهي ملك

آثر الانكليز اذن أن تدرس الاخلاق دراسة عملية منذ الصغر واتخذوا ميدان الالعاب الرياضية ليكون الحقل التدريبي لهذه الدراسة الاخلاقية . وبذلك اختصروا طريقاً طويلة ووفروا سنين عدة ومكنوا لأبنائهم اذا خرجوا من أبواب المدارس ليدخلوا أبواب الحياة أن يكونوا مزودين سلفاً بالسلاح الذي يخوضون به غمار الحياة سلاح الأخلاق وهو كما قلت أقوى الأسلحة وأمضاها

لننتقل الآن أيها السادة الى ميادين الألعاب. لنرى — أولاً ماذا يفيد منها اللاعب ولنرى — ثانياً — كيف انها تمثل في صورة مصغرة ميادين هذه الحياة

ها نحن أولاء نرى بين أيدينا طريقين للألعاب طريق الألعاب الفردية وطريق ألعاب الجماعة فليدان الأول — ميدان الألعاب الفردية وأعني بها الألعاب التي يواجه فيها اللاعب الفرد خصماً واحداً هذه الألعاب تروّض اللاعب على الشجاعة والصبر وبذل الجهد والجرأة واستخدام الفكر وحسن التصرف وتجنب اليأس اذا غلب والتواضع حين ينتصر والاعتماد على النفس وخلق الأمل في الصدر . ثم انكم ترون — أيها السادة — كيف يتعلم الفرد — في هذا الميدان — أقدس الواجبات الاجتماعية التي ترسم لهُ حدود خصمه . وعلمهُ أنهُ خصم شريف وليس عدوًّا . فهو اذا وقع في أثناء اللعب أنهضهُ واذا جرح ضمده واذا انتصر عليهِ صافحهُ بقلب صاف لا يعرف الضغن ولا الشماتة

اذا رأيتم أيها السادة كل هذه الأخلاق الفاضلة تنبت وتزدهر وتقطف ناضجة في الحقل الرياضي فاذكروا انثمت صفات عالية أخرى مختفية وراء جدران الملعب الرياضي وان أثرها في خلق الرجولة المبكرة لا يقل عن أثر الاخلاق التي لمستموها في شيء واعني بهذه الصفات يتطبع بها الفتى تعلماً من تلقاء نفسه في أثناء تحضيره لالعابه . انهُ ليروض نفسه على الحد من رغباتها والتمكين من قلبها والكبح من شهواتها والتضحية بما تنزع اليهِ من ملذات وشهوات

ترون أيها السادة — أن كل خلق من هذه الأخلاق وكل صفة من تلك الصفات انما هي هي بعينها الأخلاق والصفات التي ينشدها المجتمع في المثل الانساني الكامل . فاذا ما مرن عليها اللاعب وهو صغير وتأثرت بها نفسه وهي ليّنة وفهم روحها منذ حداثته واحاطت بهِ جوانبها وهو بعد في سن مبكرة لم يعد ثمت شك في أن يصبح هذا اللاعب حين يكبر الرجل الكامل المرتجى . ولن يتغير منهُ خلق ولا صفة وهو ماضٍ في طريق الحياة فهي ثابتة في نفسهِ متمكنة من طبعه . انما الذي يتغير هو محيط حياته فقط . ولن يكون في نظره سوى الميدان الرياضي القديم اتسعت ارجاؤه وتشعبت نواحيه

ذاكم — أيها السادة — ميدان الالعاب الفردية

فلننتقل بعد ذلك الى ميدان ألعاب الفرق او ألعاب الجماعة . ولنر مرة أخرى ما يفيد منها اللاعب ومدى آثارها في تكوين الخلق

ويجب ألاَّ يغيب عنا — قبل كل شيء — ان كل ما يتأثر بهِ اللاعب الفردي انما هو متوافر للاعب الجماعة . ثم ماذا تكون ألعاب الجماعة ؟ ان هذه الالعاب حركة مشتركة وأداء مشترك وعمل موحد واذن فمثل هذا النوع من اللعب عبارة عن تنظيم دقيق لعلاقة اللاعب بفريقه . كما انهُ تنظيم دقيق لعلاقة اللاعب بخصمه وفي هذا الميدان يسعى الفرد أمام الفريق ويسعى الفريق أمام الغاية الكبرى من اللعب . ولكن ليس معنى ذلك فناء الشخصيات اللاعبة

بل أن مبناه تحديد عمل هذه الشخصية وتنظم خطاها وتعيين وظيفتها . فالملعب المنظم يخلق أحسن الفرص ويهيء أنسب الظروف لاظهار مقدرة اللاعب . ذلك لانهُ يجعل تعبه وجهوده مشتركاً اشتراكا وثيقاً مع عمل فريقه وجهوده

وعكذا — في مثل هذا الميدان أيها السادة — تتكون الذات كما ترون وتتحمل المسؤولية عن طيب خاطر وينظم عمل الجماعة بين أفرادها من ناحية وبينها وبين خصومها من ناحية أخرى وتشيع روح التضامن القوي ويتجلى مظهر التعاون الوثيق في أروع الصور

فلا تعجبوا اذن أيها السادة اذا رأيتم بلاد هذه الامبراطورية كلها تهب هبة رجل واحد تحمل السلاح دفاعاً عن مثلها المشتركة العليا . انما ذلك وحي الملاعب الرياضية الذي بدأ بالفصل المدرسي ثم بالمدرسة ثم بالجامعة ينبعث في الأيام الشداد ويأخذ يذكر من جديد بأن التضامن والمسؤولية هما الدين القومي لكل بريطاني لزام ان تؤدى فرائضه عند ما يدق ناقوس الخطر

مع هذا كله ، لم يترك الانكليز ميدان اللعب يوجه اللاعب الوجهة التي يراها من غير قيد ولم يتركوا كذلك للاعب حرية الافادة من اللعب بلا ضابط بل انهم حدوا هذه الحرية بحدود وفرضوا على الميدان قوانين . وركزوا الألعاب على قواعد واحاطوا اللاعبين بقيود أدبية قد تكون في كثير من الاحوال مسرفة في القسوة وجعلوا عماد ذلك التشريع الفني : الأخلاق

فعلوا ذلك أيها السادة وبالغوا فيه كما سترون حتى لقد استهدفوا من أجله لتنديد أكثر البلاد . وما ذاك الا لأن تلك البلاد لم تكن تفهم أول الأمر من أسرار الروح الرياضية ما فهمهُ الانكليز . ولعلها فهمتهُ اليوم حق الفهم . وفهمت ضمناً أن هذا الشعب العملي كان على حق حينما عنى بالألعاب هذه العناية كلها. وحين اجلها من برامج تعليمه المحل الأول . وحين لم يعتبرها كما يزال يعتبرها كثير من الناس ميادين لهو مبتذل . وانها مضيعة للوقت ومعينة على بلادة الذهن بل ومفسدة الاخلاق أيضاً

ولنرى الآن ما هي تلك القيود والقوانين التي شرعتها التقاليد الرياضية الانكليزية وحمت بها الميادين واللاعبين . ولست بذاكر نصوصاً ولا مواد بل اني سأسوق بعض حوادث . وقع شيء منها لي وشيء لغيري . وأشياء عامة أخرى . وأرجو أن يكون فيها غناء . وأن تستخلصوا منها مدى تقدير القوم لهذه الألعاب تقديراً يكاد يتسامى الى مقام التقديس

فقد حدث اني لما كنت ملتحقاً بالفريق الثاني لكرة القدم بكلية اكسفورد أن استقرت الكرة يوماً بين قدمي وأنا قريب من المرمى . فأوعز اليَّ رئيس الفرقة ألا أمس الكرة وأن أدعها لزميلي الذي كان عن يميني . فلم أفعل وسددت الكرة نحو المرمى ولكنها لم تصب الهدف وفي أثناء الراحة أقبل رئيس الفرقة عليَّ وأخبرني اني أخطأت في عدم الاستماع اليه ولفتني الى

ألا أحالف أمره مرة أخرى. واتفق في أثناء الشوط الثاني أن استعرت الكرة نائية بين قدمي في اللحظة التي كنت أواجه الهدف. فأوعز إليَّ الرئيس — كما فعل أول مرة — أن أتركها لزميل آخر فلم أستمع لرأيه. وضربت الكرة ضربة موفقة فأصابت الهدف. وفرحت أيما فرح. وكنت إذ ذاك مرشحاً لأن أنتقل من الفريق الثاني الى الفريق الأول للكلية. وقدرت اني لا شك مدرك هذه الترقية وخاصة بعد أن اصبت الهدف ونصرت فريقي. ولكن شد ما كان تعجبي ودهشتي حينما ناداني الرئيس بعد انتهاء اللعب وأخبرني أنه يأسف أولاً لعدم اطاعتي الامر في كلتا الحالين. ويأسف ثانياً لان يرى نفسه مضطراً للاستغناء عني حتى في الفريق الثاني. فجادلته محتجًّا بأني في المرة الثانية أصبت الهدف. وبفضلي انتصر الفريق. فقال لي بصوت هادىء متزن « قد يكون الانتصار رغبتنا الشديدة في اللعب. ولكن قبل ذلك يجيء النظام »

وحدث في أثناء المباريات الأولمبية التي أقيمت بمدينة استكهولم سنة ١٩١٦ ان كان بين أفراد فريق للالعاب الرياضية عدَّاء ماهر ملأت شهرته الأسماع وأشهر انصحف لما أبدى في فنه من تفوق بعد تفوق. وكان مزمعاً بالطبع أن تشترك الفرقة في المباراة الدولية وكان مقدراً كذلك أن يأتي هذا العدَّاء بنتائج ترفع من شأن فرقته وبلاده وكان متحتماً على أعضاء هذا الفريق ان يكونوا في تخادعهم في تمام الساعة العاشرة ليلاً. ولكن لأمر ما تأخر هذا العدَّاء في إحدى الليالي نصف ساعة عن الموعد المقرر للنوم. فما كان من رئيس الفرقة الا أن أعاده فوراً الى بلاده على ظهر اول باخرة أخرت الها

ولعلكم تعلمون أيها السادة ان طالب العلم في جامعة اكسفورد او كمبردج ليعتز جد الاعتزاز اذا ما اختارته جامعته ليمثلها في لعبة من الألعاب الرياضية. وليس من تحب ان يخالجه وهو الذي يمثل نحواً من ثلاثة آلاف طالب او يزيد شعور حقي بمطولته الرياضية للتفوق في هذه اللعبة على أقرانه أجمعين. ولكن هذا الانتخاب الاجماعي لا يكفي لتمتع الطالب بشرف المباراة اذا أعوزه جانب ظاهر او خفي من جوانب الرجولة الحقة ولا يتردد المسؤولون عن الأمر عن التضحية به والتخلية بينهُ وبين النزول الى ميدان اللعب مهما بكن تفوقه الرياضي والثقة التامة بانتصاره

فلقد حدث يوماً في جامعة اكسفورد ان كان أحد الطلبة مرشحاً لتمثيل جامعته في لعبة الكركت. ولم يشك أحد منا في ان هذا الطالب زميلاً منافساً او في احتمال استبداله بآخر لأمر ما. نظراً لما كان يمتاز به في هذه اللعبة امتيازاً كبيراً. واتفق في أثناء مباراة تجريبية أقيمت قبل اللعب لانتخاب الفريق الذي يمثل الجامعة ان جاء صاحبنا متأخراً بعض الوقت عن

بدء اللعب . فقد كان متعباً من جراء سهرة اضطرته الى ان يطيل في النوم اكثر مما يجب فما كان من رئيس الفرقة الا ان نحاه عن اللعب واستبدل به آخر . وكان القانون الذي اعتمد عليه في هذا الحكم الجائر قوله في لهجة حادة « اذا لم تكن تقدر المسئولية في اللعب التجريبي فلا يمكن ان اعتمد عليك اذا ما كنت ممثلاً للجامعة يوماً ما »

انظروا الى ناحية اخرى في هذا الموضوع ايها السادة وقعت لي في حلبة الملاح . فقد كنت ألاعب زميلاً لي في الجامعة فأصبت اصابة لم يفطن اليها الحكم . فرمّ بها كريماً فدهش صاحبي وهمهم في اثناء اللعب . وقد « ولكنك اصبتني » قلت له « ان الحكم لم يفطن لما أصبت » . واسترحنا وما كدنا نبدأ الدورة الثانية حتى فتح صدره غير مدافع فأصبته طبعاً . فقال « لقد أخذت حقك . هيا اذن تم اللعب »

ايها السادة : ما اشبه ميادين الحياة بميادين الالعاب كما قلت بل انها هي بعينها تلك الميادين الرياضية في صورة أوسع وارجاء أفسح . وما نحن الرجال — في كل ما نضرب فيه ونحاول ونشط في مناكب الارض الا اولئك الصبية او التلاميذ وهم ينشطون ويتحايلون ويتواثبون في ميادين الالعاب . ان كل ما يعرض لنا في طرق هذه الحياة من شدة ويسر . وضيق وفرج . ونجاح وفشل . انما عرض لنا يوماً في صورة مصغرة في ميادين الالعاب . وان كل ما افدناه من تلك الميادين الرياضية من صفات واخلاق انما هو تراث معنوي مستقر في اعماق النفس يظهر اثره في الحوادث فيمدنا بالرأي ويلهمنا الحكمة ويبعث فينا الهمة ويضيء صدورنا بالأمل ويملأ نا ثقة بالمستقبل ويدفعنا الى طلب النصر من الطريق الشريف . والا فالفشل الشريف أحق وأولى

قفوا ايها السادة عن كثب من حلقة الملاكمة في جامعة ما وتمثلوا قصة هذين المتلاكمين التي اقصها عليكم . لقد كان أحدهما أكفأ من صاحبه . ولقد أثقل الاكفأ على زميله في الشوط الاول . ونال منهُ في الشوط الثاني . فأسرَّ الى مدربه بقوله انهُ لا يستطيع المضي في مقاومة خصمه فقال له مدربه « تحمل واستمر » وجاء الشوط الثالث ولكل خصمه القوي نكمه الكمة أوقعته على الارض يتوجع . فنظر الى مدربه نظرة يرجو منهُ فيها ان يعفيه من مواصلة اللعب فحسبه ما ألمَّ به . وهنا أهاب المدرب بصوت عال « اصمد له واستمر » . فما كان منه الا أن نهض مستجمعاً كل ما له من قوة ولكم خصمه لكمة خرَّ من أثرها على الأرض واستسلم . وبذلك انتصر أقلُّ اللاعبين كفاءةً بفضل تلك المعجزة النفسية

مضت بعد ذلك السنون ايها السادة وتركنا الجامعة وشبت الحرب وانتهت واتفق ان قابلت ذلك الملاكم المنتصر في أحد شوارع لندن وسألته عن امره فقال انه انتظم في الجيش وسرَّح

بعد أن خمدت الحرب وكان أبوه قد أضاع كل ما كان يملك . وتعطل فلا رزق ولا أمان وأظلمت الدنيا في عينيه ، وطن نفسه بعد ان باع كل ما كان يملك على ان يبدأ حياة جديدة في إحدى المستعمرات . غير ان نظره وقع عفواً ذات يوم على صورة له ومدربه القديم بمكتبه فتذكر من فوره صيحته له « ان أصعد له واشتر » وكأنما على حد تعبيره هاتف سماوي يسخر من النفوس المستضعفة فسرعان ما صمد للحوادث وما لبث بعد ذلك ان وفق الى عمل وفقه اليه عزمه وأمله وصبره ومثابرته

وكم من ليال قضيتها في الصحراء — أيها السادة — وأنا مسهد الجفن . شارد الذهن . حيران لا أدري ماذا اصنع . فهناك . حين تمت الى الصحراء من جوفها المجهول العاصفة السافية فتهد خيمتي . وتتعطل أدواتي العلمية . وينضب الماء . وينفق الجمل في أثر الجمل . ويُسأل الدليل أين نحن . فيقول — وهو كالحالم — الله اعلم . هناك حين تمحي معالم الطريق . وتكاد تنتهي في كل خطوة الى قبر . وأسمع همهمة من رجال القافلة هي ولا شك تذمر مكبوت مما أعاني صدورهم من ضيق في هذا المنبسط الرملي القاحل وتخور قواي ويأخذني النعب فلا أستطيع ان أنقل قدماً بعد قدم . وأشعر بأن هذا الفراغ المصفر الفسيح قد استحال الى طوق حديدي صغير أخذ يحتوي رقبتي ويضيق عليها شيئاً فشيئاً . هنالك في أمثال هذه اللحظات وهي مفارق يسيرة بين حياة مشكوك فيها وموت محقق هنالك كنت انتقل من فوق الرمال الى ملاعب الرياضة القديمة وأسكن ساعة الى ذكريات عزيزة فأراني قد وقفت من أزمات مواقف تشبه من وجوه مواقفي في ذلك القفر الموحش اللانهائي . وأراني قد تغلبت عليها في النهاية وانتصرت . بماذا؟ بالصبر — أيها السادة — والتحمل . وضبط النفس . وهدوء الأعصاب حتى لا يختل تقديري . وينشط فكري . فسرعان ما ألمح قبس الامل يختلج بين عيني . وما أبث أن أجمع زمامي وأتغلب على ما يعرض لي من صعاب . وأرى القافلة تستأنف سيرها على هدى وأرى رجالي وقد سرى اليهم المرح فانطلقوا يغنون ويتضاحكون

هنالك أثر آخر من آثار الرياضة في النفس وغلبتها على طبيعة الانسان حتى في وقت الخطر فقد حدث عند ما أردت أن أهبط مصر طائراً أن انكسرت بي الطائرة في بدء الرحلة فأصلحتها ومضيت بها فسقطت في ايطاليا وتحطمت . ثم ساقت لي طائرة جديدة أخرى فسقطت في مياه صقلية . واستخدمت طائرة ثالثة كان من حظها ان سقطت هي ايضاً . وعدت الى مصر على غير متن الهواء لان رغبة ملكية كريمة اقتضت ذلك . ولون ان الفشل المتلاحق والتعرض لشر الاخطار لم يكونا أبداً يثنياني عن عزمي . ولعل سر هذا التصور الغريب ملاحظة عابرة كان أبداها لي استاذ الرياضة بجامعتي في اثناء مباراة الهوكي وقد غلب فريقنا بـ ١١ على ٣ ولما

ذهبت ابيه أبي له عبث الاستمرار في اللعب ولاسيما بعد ان أخذ المطر يتهرقان لي وعلى شفتيه ابتسامة ساخرة . « تفضل وأتم أنت وزملائك اللعب الى النهاية . وهذا ما أتيتم لاجله اليوم »

هذه الجملة ايها السادة هي التي كنت اسمع دويها في أذني بعد ان غادرت انكلترا بسنين . وهي التي يرجع اليها فضل مواجهتي الموت غير مرة كما ذكرت

ايها السادة : لئن كان من العسير ان أبين لحضراتكم في مثل ذلك الوقت المحدد أثر الروح الرياضية في تكوين الاخلاق فانهُ من الصعب ان أبين هذا الأثر في نفسية الشعوب ومصائر الأمم. أما الآن ، وهذه الحرب قد شبت وحدث من شؤونها ما حدث. ووقع من ويلاتها ما وقع وكان من صروفها ما لم يكن يخطر لاحد منا على بال

فان امامكم اكبر مثل وأروعه يطالع التاريخ به العالم حين يسجل موقف انكلترا منها . ذلك الموقف الذي لم تكن مدينة فيه لصفحات الكتب ولا لمآثر الخطابة ولكن لميادين الالعاب الرياضية

اضطرت انكلترا الى خوض غمار الحرب — كما تعرفون — وهي غير مستعدة لها . ولكنها حين رأت الواجب يقضي عليها بتجريد السلاح بعد عشرين عاماً من حرب طاحنة عانت فيها ما عانت ودفعت من الثمن الفظيع ما دفعت . مضت تتحمل التبعة غير ضجرة ونهض الشعب كله ، بل وشعوب الامبراطورية جميعاً نهضة رجل واحد كل فرد رجلاً كان او امرأة شيخاً كان او صبيًّا يسعى في صمت للاخذ بنصيبه . وادّاء واجبه

وهكذا الشعوب أيها السادة ترده صدى ميادين ألعابها . فاذا رأيتم لاعباً في أمة من الأمم قد استأثر بالكرة مثلاً . ملتمساً اعجاب الجمهور به وتصفيقه له فثقوا انهُ اذا كبر ودخل ميادين المجتمع فسيكون فيها كما كان في ميدان اللعب. سيكون الفرد الذي يؤثر نفسه على الجماعة ويضحي في سبيل أنانيته بكل مثل من المثل العليا

واذا وجدتم لاعباً في ملعب من الملاعب يتهرب من المسؤولية ويلقيها على زميل له ويحتكم الى الجمهور بطريقة من الطرق مبتغياً ان يكبره وينتصر له ، فاذكروا انهُ يمثل هذه الاخلاق سيعيش في المجتمع

واذكروا كذلك أيها السادة ان أمة رضيها ان تسود الفوضى فيها ميادين الالعاب ويتصل أبناؤها من البنات بسهولة هي في الواقع أمة منحلة المرى مفككة الروابط

الأمم سراياها ميادين ألعابها

والشعوب تمثل في حياتها أخلاق لاعبي الرياضة من بنيها

لا عجب اذن ان نرى الانكليز وهم يسيرون الى ميادين الحرب وعلى كل شفة ابتسامة وكل وجه آية الرضا ، وكل لسان نكتة ذات معنى

إن أغرب ما سمع العالم اليوم عن البلاد المتحاربة ما سمع عن مبلغ الاستخفاف الذي يبديه الانكليز بويلات الحرب وكوارثها . فاقد علقت أندية الجانب بجدرانها نشرات بين القواعد الجديدة التي أدخلت على هذه اللعبة ، متمشية في ذلك مع ظروف الحرب الراهنة كأنما هي اجابة غاية في التهكم الزري على ما تحدثه الطائرات المغيرة بالبلاد من تخريب وتدمير

استمعوا أيها السادة الى بعض تلك القواعد الجديدة

اولاً — المرجو من الاعضاء ان يضعوا جانباً شظايا القنابل اذا ما وجدوها في طريقهم لكي يسهلوا بذلك عمل البستاني في تمهيد الخضرة

ثانياً — اذا ما ألقيت قنبلة في ملعب الجولف وأحدثت حفرة اعتبرت هذه الحفرة كالحفر الصناعية الموجودة بالنادي . ويسري على اللاعبين القوانين التي تسري على حفر النادي الأصلية

ثالثاً — اذا ما عمَّ لاعب بضرب الكرة ودوى صوت قنبلة طائرة معادية او سمع صوت قذيفة مدفع مضاد للطائرات . فشغله هذا الصوت او ذاك عن احكام ضرب الكرة ، فللاعب الحق في ان يعيد ضربها ولكنهُ يخسر نقطة . واملُّ هذه العقوبة جزاء له لأنهُ سمح لنفسه ان تضطرب ولو بأثر أدوات الموت في الوقت الذي يؤدي فيه عملاً مقدساً

وتذكر هذه المسألة بقصة شبيهة لها من بعض الوجوه . فقد كانت بارجة انكليزية تجوب أنحاء البحر . وكان ربانها قد أمر باقامة مباراة بعد الظهر لبعض الالعاب واتفق ان ظهرت بعد ذلك بوارج للعدو . وروِّي ألاَّ مناص من موقعة هائلة بعد قليل . فتقدم خادم القبطان الى سيده ، وهو في غاية من الهدوء وحياهُ التحية العسكرية وسأله « متى يرى سيدي أن تقام المباراة ؟ أقبل الموقعة أم بعدها »

أيها السادة بمثل هذه الروح العظيمة المستمدة من ميادين الألعاب الرياضية يعيش هذا الشعب ويحافظ على امبراطوريته المترامية الأطراف

والآن وقد حدثتكم عن الرياضة وأثرها في تكوين الخلق . أتوجه اليكم يا شباب مصر لا بحض على أن تذهبوا الى الملاعب فأنتم تذهبون اليها . وانما أتوجه برجاء شديد أن تذهبوا الى هذه الملاعب وأنتم صادقو النية في الأخذ بهذين القانونين من قوانين الرياضة وهما ما يقولون عنهما Play the Game — Fair Play أي اللعب حتى نهاية الشوط واللعب العادل الشريف . وأن تجعلوا أيها الشبان من أهداف ملاعبكم رمزاً لاهدافكم الوطنية . اذكروا انكم تعدون أنفسكم اليوم للمستقبل واذكروا انكم ستقفون غداً في الملعب العالمي حراساً أوفياء على مجد الوطن . والله أسأل أن يجعلكم خيراً منا وأكثر توفيقاً

رسالة المؤرخ

في عصور الاضطراب

الدكتور قسطنطين زريق
استاذ التاريخ الشرقي في جامعة بيروت الاميركية

يختار أحدنا نوع عمله في الحياة ، او تدفعه الظروف اليه ، فيحمل اعباءه يوماً بعد يوم ، وسنة بعد سنة ، الى أن يصبح ذلك العمل أمراً طبيعيًّا لا يثير في نفس صاحبه شكًّا او حيرة او تساؤلاً . وليس من ريب عندي في ان أكثرنا لو رجعوا الى نفوسهم ، ونظروا في حياتهم نظراً دقيقاً ، لوجدوا أن أعمالهم وطرق معيشتهم قد غدت عادات متأصلة في كيانهم ، وانهم يجرون فيها جرياً آليًّا ليس فيه كبير تفكير او تفاعل داخلي ، بل ان هذه الأعمال تصبح قسماً من ذواتهم لا ينفصل عنها ، وقلما يستطيعون — او يحاولون — ان ينتزعوها من نفوسهم ، وان ينظروا اليها نظراً موضوعيًّا مجرداً ، ويتساءلوا عن معناها ومغزاها ، وعن قيمتها في حياتهم الخاصة وفي حياة من يتصل بهم من الأفراد والجماعات

هذا الموقف يصلح في عصور السكينة والرخاء . أما في عصور الضيق والاضطراب ، حين تهتز النفوس من جذورها ، وتختل الحياة من أساسها ، فحريٌّ ان يكون الأمر على غير ذلك . في مثل هذه الأوقات يجب ان تنعكس الأزمة الخارجية في النفس ، تثير فيها الأسئلة والشكوك وتخرجها من خمودها المعتاد وسيرها الآلي الى نوع جديد من النظر والتفكير ، وتدفعها الى ان تتأمل في حياتها وعملها وغايتها تأملاً مجرداً لا تردد فيه ولا التواء . فاذا جئنا نفحص حياتنا في هذه الأيام العصيبة ، وجدنا ان أغلبنا لم يتأثر بالأزمة التي يجتازها هذا القطر ، وان الشدة التي نعانيها ان كانت قد خلقت فينا قلقاً وخوفاً ، فهو القلق على معيشتنا الخارجية لا على جوهر كياننا ورسالتنا في الحياة ، وهو الخوف من تضاؤل مواردنا المادية لا من بعدنا عن الحق والصواب في بناء حياتنا الخاصة والمساهمة في انهاض مجموعنا وأمتنا . واذا كنا لا نطلب الى هذا النوع من القلق والخوف من الناس جميعاً ، فلا أقل من ان نطلبه من رجال « الفكر » أولئك الذين يفرض فيهم أنهم يعملون في خدمة المثل العليا ، ويسهرون على نمو الأمة العقلية والروحية ، ويحتلون مقاعد القيادة الحقيقية في مجتمعهم . فانهم مسؤولون لدى التاريخ ولدى

الحقيقة عن نوع قيادتهم ، وعن درجة تأديتهم لمهمتهم ، وعن كيفية مجابهتهم للازمة وتوجيههم قوى الأمة لتحملها والتغلب عليها . خري بهم ان يقفوا في مثل هذه الاوقات موقف التساؤل ، وان يشعروا بأزمة داخلية تقوم في نفوسهم فتحملهم على ان يفكروا في حياتهم وفي عملهم تفكيراً أساسيًّا جديداً . فان هم لم يقطعوا هذه الخطوة الاولى من جهادهم النفسي الداخلي ، فلا أمل لهم بأن يقوموا بواجبهم ، وخليق بهم عندئذ ان يتخلوا عن مقاعد القيادة الفكرية وأن لا يدَّعوا انهم من خدمة العقل والروح ، فهم موظفون فحسب ، او طلاب مادة او لهو أو اي شيء آخر عدا الأدب الخالص ، أو العلم الصحيح ، أو الفلسفة الحيَّة أو سواها من مظاهر الفكر النير المبدع . وتعساً لأمة لم يرتفع قادة نفوسها عن هذا الدرك !

ولقد حدث ان اخترت في الحياة مهنة التأريخ ، وان وقفت نفسي على البحث في ماضي أمتي العربية وعلى جلاء بعض نواحي هذا الماضي لمن يتصل بي من الطلبة او غيرهم ، وكثيراً ما تساءلت في غضون هذه الازمة الطارئة بل قبلها — لان الأمة العربية تعيش في أزمة دائمة الى ان تستقر في الحياة الجديدة التي تطمح اليها — أقول : كثيراً ما تساءلت عن معنى مهنتي هذه ، وعن الرسالة الخاصة التي يجب على المؤرخين تأديتها تجاه هذا الاضطراب العميق الشامل . ولا أكتم القراء اني وجدت في ايضاح ذلك لنفسي صعوبة جمة ، واني لا ازال اشعر شيء من الحيرة والارتباك ، وأرى امامي غموضاً وابهاماً يمنعاني من ان ارسم في ذهني صورة جلية كاملة . ولذا فلا يخرج ما سأقوله في ما يلي عن بضع ملاحظات تمهيدية وخواطر اولية لا تزال دون الرأي الناضج والحكم القاطع ، أعرضها امام القارىء وليس يشفع فيها سوى انها صادرة عن رغبة في الوصول الى الحق وعن عزم اكيد على النظر الداخلي ومحاسبة النفس

***

مهمة المؤرخ في عصور الاضطراب تبدأ في نفسه . فما لم يكن للازمات أثر في ذات المؤرخ ، فمن المحال ان يكون لها بواسطته ، أثر في مجتمعه . او ان كل رسالة جديدة يؤديها الانسان يجب ان يسبقها تبدل اساسي في كيانه . والتبدل الاساسي الذي يجب ان تحدثه الأزمة في نفس المؤرخ هي أن تدفعه الى ان يجدد تفكيره في معنى « التأريخ » كعلم وفي غايته وأسلوبه ، وفي معنى «التاريخ»[1] كميدان لتنازع القوى البشرية والطبيعية ، فيقوم المؤرخ بمهمته على ضوء هذا التفكير الجديد والنشاط والحياة اللذين يخلقهما هذا التجدد في نفسه

ان العمل التأريخي يتناول ثلاث نواحٍ مختلفة : أولها الوصول الى حقيقة الماضي كما هي ،

(١) نستعمل «التاريخ» بتشديد الحرف في هذه المقال بمعنى الحياة الماضية ، و «التأريخ» بمعنى العلم الذي يصف تلك الحياة

أي أن نتصور في ذهننا بالضبط الحوادث الماضية كما حدثت تماماً هنا يكون المؤرخ عالماً ، ويشاركه سواه من العلماء في طلب الحقيقة ، لا يخالفهم الا في المادة التي يختارها والميدان الذي يجول فيه ، وهما — كما ذكرنا — ماضي الحياة البشرية . على ان هذه المهمة العلمية صعبة شائكة لأن المادة التي نستخلص منها الاحكام التاريخية كثيراً ما تكون مشتتة ناقصة ، أو مشوهة بغايات أصحابها ونزعاتهم الخاصة ، فعلى المؤرخ ان يجمعها ويفهمها ويوفق بينها ويستخرج منها الحقيقة كما حدثت ، أو بالأحرى ان يتصور الحقيقة كما حدثت لأن نتيجته هي أبداً تصورية لا حسية فكل حادثة تاريخية جرت مرة واحدة في الماضي لا أكثر ، وهي فريدة في نوعها لا يمكن أن تجري مرة ثانية كما جرت اولاً بالضبط ، بخلاف حوادث العالم الطبيعي التي تتكرر وتتعدد والتي يمكنك ن تشاهدها بعينك او ان تحدثها بنفسك . ولما كان العمل العلمي التاريخي غاية في الصعوبة ، وهو يتطلب جهوداً متنوعة ، وصفات متعددة قلما تجتمع لشخص واحد ، فهو لذلك موزع بين أفراد وجماعات يختص كل منهم بناحية من نواحي البحث أو دور من أدوار الماضي . فمن واجب المؤرخ ، المجدد تفكيره في معنى عمله بضغط الأزمة النازلة به ويجتمعه ، ان يوضح لنفسه هذه الغاية العلمية للتاريخ وخصائص الأسلوب الذي يؤدي اليها والصفات العقلية والأدبية والروحية التي تتطلبها ، وان يميز جلياً القسم الخاص به من هذا العمل العلمي وعلاقته بالاقسام الأخرى ، وبكلمة وجيزة : ان يفهم فهماً جديداً حدود وظيفته وطبيعتها ومؤداها . فاذا كان مثلاً ينشر اصلاً من الأصول القديمة ، وجب عليه ان يجلو في ذهنه معنى النشر وقيمته ، ومقامه من البحث التاريخي ، والأسس التي يقوم عليها والغاية التي يسعى اليها ، وبذلك يأمن من الضياع في الجزئيات ومن تفتت شخصيته تحت ضغط عمله اليومي المتكرر . وهكذا يجب ان يكون عمل الأزمة وأثرها في المؤرخ — بل في كل مفكر — ان تهزه من أصوله ، وان تعيد له شخصيته ، وتنقذها من خطر الانحلال والضياع

أما الناحية الثانية من العمل التاريخي ، وهي التأليف التاريخي : أي اظهار النتائج التي توصل اليها البحث العلمي الذي وصفناه . لأن حقائق الماضي لا قيمة فعلية لها ما لم تنشر ويطلع عليها الناس ويتموا باطلاعهم عليها عقولهم ونفوسهم ، وهنا يفرض على المؤرخ في أوقات الاضطراب ان يجدد تفكيره في نوع عمله التأليفي في العصر الذي يعيش به ، في الموضوعات التي يتناولها ، في أسلوب العرض الذي ينهجه . ذلك ان جميع نواحي الماضي ، اذا قيست بمقياس العلم المجرد ، تستحق — بل تستوجب — ان تكون موضوع الدرس والبحث والاستقراء ، لا فرق بين الواحدة والأخرى مطلقاً ، لأن العلم لا يعرف الا مقياساً واحداً لتساوي عنده جميع الاحداث تساوياً تاماً : هو مقياس الحقيقة المجردة التي يجب ان يسعى اليها من كل ناحية وبكل طريقة

ممكنة . على ان حاجات مجتمع ما في دور من الأدوار ، قد تجعل لبعض الأعصر الماضية منزلتها الخاصة ، ولبعض الموضوعات خطرها الفائق ، نظراً لعلاقتها الماسة بالنزعات التي يعيش بها عصر المؤرخ وبيئته ، فمجتمعنا العربي الحاضر مثلاً هو اليوم في وسط هبة قومية تسعى الى حياة ناهضة جديدة . فحالة هذه تحتم على مفكريه ان يهتموا اولاً بالمسائل التي تثيرها هذه النهضة القومية ، وتتطلب من المؤرخين ان يوجهوا عنايتهم الى أصول هذه المسائل في الماضي القريب والبعيد . كأن يبحثوا مثلاً في عوامل القوة وعوامل الضعف في المجتمع العربي الماضي ، او في العناصر الباقية الخالدة في المدنية العربية ، او في المشكلات الأساسية التي جابهها العقل العربي والنفس العربية وكيفية مجابهتهما إياها . هذه الموضوعات يجب في ما أعتقد ، ان تتاز من اهتمام المؤرخين العرب في الوقت الحاضر أكثر مما تناله الموضوعات الأخرى من التاريخ العربي ، لأنها أوثق صلة بالحاضر وأشد التصاقاً بمشكلاته ونزعاته . أقول هذا وانا عالم اني أثير به انتقاد المتمسكين بالمبدأ العلمي الخالص ، الذين لا يقيمون للحاجات العملية وزناً في البحث التاريخي ، كما اني اقر بان هذا التمييز بين موضوعات التاريخ قد يضيق افق الباحثين وبالتالي افق مجتمعهم وقد يجر الى نتائج اخرى غير مرضية ، ولكني لا استطيع مع ذلك الا ان اشعر ان النظم التي تقوم عليها الحياة الحديثة بكاملها يجب ان يطبق في هذه الناحية العلمية التاريخية فيقدم الأهم (أي الألصق بالحاضر) على المهم ، والمهم على التافه ولذا وجب — في نظري — على المؤرخ في عصور الاضطراب ان ينتبه من غفلته وان يتفهم حاجات مجتمعه ومطاليبه ، وان يختار على ضوء هذا التفهم المجدد الحي نوع التأليف الذي يتصرف اليه وأسلوبه ، متقيداً في هذا كله بالشرائط العلمية الصحيحة ، لأن الحق وحده في النهاية يسود ، وما بني على غير الحق عبث زائل

غير ان مجرد الوصول الى حقائق الماضي وعرضها ليس كل عمل المؤرخ . فهناك بعد ذلك عليه لهذه الحقائق وحكمه عليها ، وبذلك يتخطى المؤرخ دائرة العلم الى الفلسفة ، فينظر في العوامل الفعالة التي تسيّر الحوادث البشرية : أهي القوى الطبيعية المنبثة عن المناخ وطبيعة الأرض وموقع البلاد ، ام المنازعات الاقتصادية في سبيل العيش والكسب المادي ، ام حب السيطرة والطموح الى السيادة ، ام الصراع بين الأفكار والشخصيات والارادات الانسانية ؟ كذلك يحكم المؤرخ على قيمة الحضارات المختلفة ، على الأمم وطبيعة حياتها ونوع مآثرها . ولكنه لا يستطيع ان يفعل ذلك ما لم يكن قبلاً قد بنى لنفسه فلسفة خاصة تحكم على الحوادث على أساسها ويقيسها بمقياسها ، ونظم تفكيره في نفسه وفي العالم بعقيدة فكرية ثابتة تعبر له عن الحقيقة النهائية في الكون والحياة . وبكلمة أخرى لا بدّ للمؤرخ لتأدية مهمته كاملة من ان يمكّن نفسه فلسفياً ، ويرتفع فوق الحوادث التي يصفها ليقدر قيمتها ويحكم عليها . وهنا ايضاً أخشى ألاّ

يوافقني اولئك المؤرخون المتفيدون بالغاية العلمية البحتة الذين يعتبرون مهمتهم قاصرة على وصف الحوادث دون الحكم عليها . وعندي ان هذا الوصف نفسه لا يكون صحيحاً كاملاً الاّ اذا كان على ضوء نظرة شاملة وبتأثير تفكير تحليلي عميق في خصائص الازمنة أو الاضطرابات — اذا شعر بها المؤرخ شعوراً داخليًّا كما يترتب عليه أن يفعل كل حقيقي لعصره وكشارك لمجتمعه في حياته — أن تحرك المؤرخ ، وتدفعهُ الى التساؤل مجدداً عن معنى الحياة البشرية وعن القوى الفعالة فيها وعن الكون وما وراء الكون ، وتحببه الى أن يتشمّس ويعمق ويحيي نظرتهُ الفلسفية التحليلية كي يفهم التاريخ على أساسها فهماً صحيحاً . هذا ، إذن ، هو تأثير الأزمات في المؤرخ نفسه من نواحي عمله الثلاث العلمية ، والتأليفية ، والفلسفية . وخلاصته ان هذه الاضطرابات تهب بالمؤرخ الى ان يفهم من جديد نوع عمله ، ويسبر غوره ، ويحدد غايته ، وينفذ الى باطنه . وبكلمة واحدة : انها تهز المؤرخ هزّاً فتخلق منهُ انساناً جديداً ، وبالتالي مؤرخاً جديداً

* * *

والآن نتقدم الى ما وراء المؤرخ نفسه لنتساءل عن رسالته في عصور الاضطراب الى مجتمعه . ان هذه الرسالة مزدوجة : عامة وخاصة . أما العامة فسبيلها ان يحاول المؤرخ ، بفعل فهمه الجديد للتاريخ ، أن يساهم في تنوير من يتصلون به وايضاح نظرهم الى الماضي والحاضر ، فيعمل على نشر الحقائق الصحيحة الثابتة عن ماضي أمته والبشرية ، ويهتم اهتماماً خاصًّا بتلك التي تتعلق مباشرة بالحاضر وبحاجات امته الروحية الأساسية ، ويسعى الى بث فهم جديد لمعنى هذه الحقائق وقيمتها بالقياس الى القيم النهائية في الحياة . وبالايجاز ، ان اضطراباً عميقاً كالذي نمرّ به الآن ، اذا فهم المؤرخ حقيقة معناه ومؤداه لحليق بان يجعله ينهض بعمله الأساسي في الحياة على وجه أفضل وأسمى مما كان عليه قبلاً ، وأن يؤدي رسالته الخاصة الى مجتمعه تأدية مشبعة بفكر حيّ وروح جديدة

أما الرسالة الخاصة فتتعلق بطبيعة الاضطراب ونظر المجتمع اليه وتأثرهم به . ففي مثل هذه الاوقات تتساقط الاسئلة على المؤرخ من كل صوب وناحية مستفهمة عن أسباب الاضطراب المباشرة ومصيره الحاضر ، ثم ، بصفة خاصة ، عن نتيجته ونهايته . متى تنتهي الحرب ، وكيف ، ولمن يكون النصر ، وعلى اي وجه ؟ وغيرها من الاسئلة التي قلما يساعد فهم المؤرخ للماضي على حلها ، لأن الجواب عليها يتطلب معرفة حقائق دقيقة هي اليوم ، بفعل الصراع القائم ، محجوبة عنا بشتى الوسائل . فأسباب الحرب العظمى الماضية مثلاً وكثير من اسرارها لم تتجلَّ لنا الاّ بعد ان ألقت تلك الحرب أوزارها ونشرت الوثائق المتعلقة بها . فمن العبث اذن أن نتنبأ بمعلوماتنا الضئيلة عن المستقبل ، أو أن نحكم عليه بالقياس الى الماضي ، فان التاريخ ، بكل ما يقول المثل السائر ، لا يعيد نفسه وحوادث الحاضر بلغت حدًّا من التعقد والاشتباك لا يصح معهُ أن نطبق عليها أحكام الماضي لتقرر مسائل محدودة دقيقة كالتي ذكرناها وانما لتوضح

تفكيرنا في معنى الاضطراب القائم وفي أسبابه البعيدة وفي أثره الباقي في حاضرنا ومستقبلنا. وبكلمة اخرى: ان المؤرخ يجب أن يتخلى عن وظيفة الصحفي المهتم بجزئيات الحاضر والمستقبل ليدرس الخطوط الكبرى ويتطلع الى الآفاق البعيدة

وأول رسالة من هذا القبيل يعطيها لنا التاريخ هو أن الضيق والألم والقلق التي يجرها علينا الاضطراب الحاضر ليست أول ما عانته أمتنا أو الانسانية من الشدائد والأهوال. فكل من درس تاريخ هذه البلاد العربية يعرف ما مرَّ عليها من حروب وغزوات، ومن مجاعات وأوبئة وفتن، حتى انهُ ليعجب أحياناً كيف بقي فيها احياء الى الآن، وكيف استطاع آباؤنا وأجدادنا أن يتحملوا ما رواه المؤرخون من المصائب والرزايا

انراجع في أذهاننا الحروب والمنازعات التي قامت على مسرح هذه البلاد منذ فجر التاريخ بين المصريين والبابليين والاشوريين والحثيين، ثم بين الفرس واليونان والرومان والعرب، ثم بعد استقرار الحكم العربي بين الدول والاحزاب والشعوب المختلفة، ولنذكر كذلك الغزوات الطاغية من الشرق كالأتراك والمغول ومن الغرب كالصليبيين وسواهم من شعوب اوربا. لنذكر هذا كلهُ، ولنذكر ما صحبه من اضطراب اقتصادي واجتماعي وحربي، وما انزل بسلافنا من أهوال وويلات. ثم لنذكر أيضاً الضربات الاقتصادية والطبيعية كالجوع والفقر والوباء والغلاء والاضطرابات الاجتماعية والعقلية والروحية، لنشعر عندئذٍ بأن أجدادنا قد خبروا ما هو أشد وأفظع من الضيق الناتج عن الاضطراب الحاضر، ولم تنقطع مع ذلك الحياة في هذه البلاد. واني أجتزىء من كل ما ذكرت بمثال واحد أقتبسه من كتاب نشره حديثاً الدكتور مصطفى زيادة وجاء الدين الشيال من تأليف المؤرخ الشهير تقي الدين المقريزي بعنوان « اغاثة الأمة بكشف الغمة » يصف به المجاعات والاضطرابات التي وقعت في مصر منذ الأزمنة القديمة الى أيامه، وقد خبر هو بعضها في حياته. هاكم وصف المجاعة التي حدثت في ايام المستنصر بالله، الخليفة الفاطمي الذي تولى الحكم في مصر بين سنتي ٤٢٧ و٤٨٧ هـ. (١٠٣٥ — ١٠٩٤ م) ومن كان منا لا يزال يذكر أهوال الحرب الماضية او يقلق من الضيق الذي نعانيه الآن او الذي ينتظرنا في الأيام المقبلة، فليعتبر بما يسمع من أهوال الماضي :—

« ثم وقع في أيام المستنصر الغلاء الذي فحش أمره وشنع ذكره، وكان أمده سبع سنين. وسببه ضعف السلطنة، واختلال أحوال المملكة، واستيلاء الأمراء على الدولة، واتصال الفتن بين العربان، وقصور النيل، وعدم من يزرع ما شمله الري. وكان ابتداء ذلك في سنة سبع وخمسين وأربعمائة، فزرع السعر، وتزايد الغلاء، وأعقبه الوباء حتى تعطلت الأراضي من الزراعة، وشمل الخوف، وخيفت السبل برّاً وبحراً، وتعذر السير الى الأماكن الا بالحمارة

الكثيرة وركوب الفرر . واستولى الجوع لعدم القوت حتى أبيع رغيف خبز في الدار بربع اقنادبل من القسطاط كبير الطرف بخمسة عشر ديناراً ، وأبيع الأردب من القمح [بمائتين وثمانين ديناراً] وأكلت الكلاب والقطاط حتى قلت الكلاب ، فبيع كلب ليؤكل بخمسة دنانير وتزايد الحال حتى أكل الناس بعضهم بعضاً ، وخرج الناس ، فكانت طوائف تجلس على بيوتها ومعهم شقاقيب وحبال فيها كلاليب ، فاذا مرَّ بهم أحد ألقوها عليه وتشلوه في أسرع وقت ويشرحوا لحمه وأكلوه . ثم آل الأمر الى ان باع المستنصر كل ما في قصره من ذخائر وثياب وأثاث وسلاح وغيره . وصار يجلس على حصير ، وتعطلت دواوينه ، وذهب وقاره ، وكانت نساء القصور تخرجن ناشرات شعورهن تصحن « الجوع ! الجوع ! » ، تردن المسير الى العراق ، فتسقطن عند المصلى ، وتمتن جوعاً . [واحتاج المستنصر حتى باع حلية قبور آبائه] وجاءه الوزير يوماً على بغلته فأكلها العامة ، فشق صائفه منهم ، فاجتمع عليهم الناس فأكلوهم . وأفضى الأمر الى ان عدم المستنصر القوت ، وكانت الشريفة بنت صاحب السبيل تبعث اليه كل يوم بقعب من فتيت من جملة ما كانها من البر والصدقات في تلك الغلوة حتى انقطعت مادتها كلها ، وكان يجل عن الاحصاء في سبيل البر . ولم يكن للمستنصر قوت سوى ما كانت تبعث به اليه ، وهو مرة واحدة في اليوم وليلة

ومن غريب ما وقع ان امرأة من أرباب البيوتات أخذت عقداً لها قيمته ألف دينار ، وعرضته على جماعة في ان يعطوها به دقيقاً ، وكل يعتذر اليها ويدفعها عن نفسه الى ان رحمها بعض الناس وباعها به تليس دقيق بمصر . وكانت تسكن بالقاهرة ، فلما أخذته اعطت بعضه لمن يحميه من النهابة في الطريق ، فلما وصلت الى باب زويلة تسلمته من الخفاة نهبٌ ومشت قليلاً ، فكاثر الناس عليها وانتهبوه نهباً . فأخذت هي أيضاً مع الناس من الدقيق ملأ يديها لم ينبها غيره ، ثم عجنته وسوَّته ، فلما صار قرصة أخذتها معها ، وتوصلت الى أحد أبواب القصر ، ووقفت على مكان مرتفع ، ورفعت القرصة على يدها بحيث يراها الناس ، ونادت بأعلى صوتها . « يا أهل القاهرة ! ادعوا لمولانا المستنصر الذي أسعد الله الناس بأيامه ، وأعاد عليهم بركات حسن نظره حتى تقومت على هذه القرصة بألف دينار » . فلما اتصل به ذلك استغاث له ، وندح فيه وحرَّك منه ، وأحضر الوالي وتهدده وتوعده ، وأقسم له بالله جلت قدرته انه ان لم يظهر الخبز في الأسواق ويحمل السعر والا ضرب رقبته وانتهب ماله . فخرج من بين يديه ، وأخرج من الحبس قوماً وجب عليهم القتل ، وأفاض عليهم ثياباً واسعة وعمائم مدورة وطيالس سابغة وجمع مجار الدقة والخبازين والطحانين ، وعقد مجلساً عظيماً ، وأمر باحضار واحد من القوم ، فدخل في هيئة عظيمة ، حتى اذا مثل بين يديه قال له « ويلك ! ما كفاك انك خنت السلطان واستوليت على مال الديوان الى ان أخربت الأعمال وعمقت الغلال ، فأدى ذلك الى اختلال الدولة وهلاك الرعية ؟ اضرب رقبته ! » . فضربت في الحال ، وتركه ملقى بين يديه . ثم

أمر باحضار آخر منهم، فقال له : « كيف جسرت على مخالفة الأمر والنهي عن احتكار الغلة، وتماديت على ارتكاب ما نهيت عنه الى أن تشبه بك سوالك ، فرفك الناس ! اضرب عنقه ! » ، [فضربت في الحال] . واستدعى آخر فقدم اليه الحاضرون من التجار والطحانين والخازنين، وقالوا : « ايها الأمير ! في بعض ما جرى كفاية ونحن مخرج الغلة وندير الطواحين ، ونسعر الأسواق بالخبز ، ونرخص الأسعار على الناس ونبيع الخبز رطلاً بدرهم » . فقال : « ما يقنع الناس منكم بهذا » . فقالوا : « رطلين » ، فأجابهم بعد الضراعة ، ووفوا بالشرط . وتدارك الله الخلق وأجرى النيل ، وسكنت الفتن ، وزرع الناس وتلاحق الخبز ، وانكشفت الشدة وفرجت الكربة . وخبر هذه النكبات مشهور ، وفي هذا القدر كفاية من التعريف بها ، والله يَقْبِضُ ويَبْسُطُ واليه تُرْجَعون » (١)

ولئن كانت هذه النكبة من أفظع النكبات التي حلت بمصر ، فليست الوحيدة من نوعها ولم يكن ما وقع فيها من الغلاء والجوع والاحتكار وأكل الحيوانات والبشر غريباً عن اختبارات هذه البلاد في القرون الوسطى . ففي المائتين والاثنين والثلاثين سنة بين ٦٧١ و ٩٠٣ هـ يذكر المؤرخون ما يقارب اربعين سنة مختلفة وقع فيها وبء أو غلاء في مصر أو في الشام أو في كليهما معاً ، أي مرة كل ست سنوات تقريباً ، ويصفون أكثر هذه المحن وصفاً يدل على شدتها وما خربت من البلاد وما أفنت من الناس . فرسالة المؤرخ الذي رافق امته في محنها المتتابعة هذه ، ونأى لآلامها وجروحها ، هي رسالة الطمأنينة والشجاعة ورباطة الجأش هي الدعوة الى الأعصاب الهادئة ، والقلوب الصامدة والادارة الحازمة . هي ان ما تخافهُ من الاضطراب الثائر ليس أعظم مما حلَّ بنا كأمة في الأيام الماضية ، فيلمّ الخوف والذعر وتشتت الذهن واضطراب الرأي وضياع النفس ؟ ان الذي لم يختبر الا الأزمة الحاضرة يحق له ان يضطرب لها ويقلق من نتيجتها . اما الذي يرتكز على صخرة الماضي القوية الممتدة اساسها الى أقدم عصور التاريخ البشري ، فهو مع تأثره السبق للشدة والاضطراب في العصر الحاضر ، يستطيع ان يجابههما بالايمان الثابت والذهن الصافي والعزم الأكيد والنفس المسيطرة . هذا الايمان والصفاء والعزم والثبات — هذا هو رسالة المؤرخ الاولى الى مجتمعه في أيام الهول والاضطراب

ثم ان المؤرخ يعلم ان أمته — والبشرية عامة — لم تصعد لهذه الأهوال عبثاً ، بل تعلمت في النهاية عليها وتقدمت بالرغم منها إنهُ يعلم ان الحاضر ، مع كل ما ينطوي عليه من شر وفساد ، هو خير من الماضي ومثل تقدماً عليه وارتقاء عنهُ ، فهو ان استوحى ما يشع من الماضي من مجد وزهو وفخار ، فليس ذلك لكي يعبد ذلك الماضي بكامله ويبني المستقبل على صورته وشكله . انهُ لا يلتفت الى « عصر ذهبي » انقضى فيسعى الى بعثه واحيائه . لا ! ان المؤرخ الذي فهم روح

(١) ص ٢٤ — ٢٥ (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، القاهرة ، ١٩٤٠)

الماضي ينظر أبداً الى الامام ، لا الى الوراء . وهو يميز عند دراسة الحياة الماضية بين عناصر الخمود والرجعية ، وعناصر التحفز والتقدم ، فيوجه النظر الى الثانية ، ويعمل مع الماضين على دفعها وتغليبها على الاولى . فعلى المؤرخ ان ينبه لخطر عظيم يتعرض له دائماً : خطر الذوبان في الماضي والاخلاد في عصر سابق يزينه الخيال ، لنوال ، لتزاهه ، تعلقنا اليه نفسه وتعيش فيه بعيدة عن الحاضر ومشكلاته والمستقبل وآماله . انه ، والحق ، خطر جسيم قد استولى على كثيرين من طلاب هذا العلم ، بل من قادة العالم العربي ورجاله على العموم . وليس مثل الازمة والاضطراب قوة توقظ المؤرخ وتنقذه من هذا الخطر ، وتوجه نظره الى الامام ، وتصرفه الى الاهتمام بعناصر التقدم والخير في تراث امته ومجتمعه . فرسالة المؤرخ الثانية في عصور الاضطراب هي رسالة التفاؤل بالمستقبل ، والتطلع ابداً الى الامام

على ان هذا التفاؤل ليس من النوع الذي يثل الجهد ويكتفي بالاستسلام الى الاقدار ولقوى الكون العماء ؛ لان المؤرخ يعلم حق العلم ان التقدم اذا كان قد حدث فبفضل اولئك الافراد والجماعات الذين عملوا صادقين في شتى نواحي النشاط الانساني ، فتغلبوا على الصعوبات المادية والمعنوية وقادوا أممهم والانسانية في مدارج الرقي والنجاح . وهو يعرف ضرورة بذل هذا الجهد في عصور الاضطراب خاصة ، إذ ان حياة الأمة وعقليتها تكونان في هذه العصور في صورة مائعة بفعل القوى الشديدة التي تضغط عليهم ، ولهذا تصبح الحاجة ماسة الى قادة يفهمون الموقف حق الفهم ، ويدفعون تلك الحياة المائعة الى مجاري الصحيحة ، فالمؤرخ يؤمن بمبدأ القيادة ، ويلاحظ ان الأمم في الأزمنة الماضية لم تتغلب على الأزمات والمحن ، الا بفعل قادتها الذين لمسوا حاجتها وحددوا غايتها ، ونظموا قواها الداخلية ودفعوها نحو تلك الغاية . والأمة التي لا يولد الاضطراب والشدة فيها قادة من هذا النوع هي أمة بائسة حقاً ، وعليها ان تكابد وتتألم الى ان يولد هذا الألم فيها القادة الذين يسيرون بها في طريق الاستقرار والتقدم . والمؤرخ يذكر أمته في عصور الاضطراب ان الاضطراب على ما فيه من ضيق ومحنة ، مفيد لها لأنه لا ينفك ، يمخضها ، حتى يخلق منها القادة القادرين فهماً وعملاً الذين يبنون فيها حياتها الجديدة

كذلك يذكر المؤرخ أمته في عصور الاضطراب بأن الشدائد الخارجية مهما تعظم لا يمكن أن توهن قوى الأمة وتوردها موارد الهلاك ، وبأن الضعف الحقيقي انما هو الذي يصيب الأمة في داخلها . فان درس الماضي يبين له ان الغزوات الخارجية قلما قضت على أمة لم ينخر جسمها سابقاً بجراثيم الفساد والانحلال ، فالرومان مثلاً لم تهدم ملكهم قبائل الجرمان الغازية كما يعتقد البعض ، وانما كان الخلل الاقتصادي والاجتماعي والروحي قد سرى فيهم و ستشرى ، فما كان على الجرمان الا ان ضربوا ضربة واحدة حتى سقط البنيان الروماني بكامله . ولهذا

فالمؤرخ الواقف على هذه الحقائق يدعو الأمة الى المحافظة على عصبها ومنابع قواها الروحية ، والى تعزيز مناعتها ، وتنمية مواهبها ، ويطلق ايمانه عليها نفسها ، ويركز نظره فيها ، فلا يتطلع الى هذه او تلك من قوى الخارج رابطاً مقدراته بها ، او مؤمناً بأن حياته وتقدمه متوقفان عليها . فمن رسالة المؤرخ الى أمته في عصور الاضطراب ، إذن ان يوجه نظرها الى ذاتها ، وان يثبت إيمانها في ان تقدمها او عجزها — بل بقاءها او موتها — معقودٌ على ما تبذل من جهد وما تبدي من قوة ، وان خلاصها يقوم في نهاية الأمر على اعتمادها على نفسها

ولكثرة ما يشاهد المؤرخ عند درسه الماضي من خطوب وأهوال ، ولوفرة ما يلقى من موت الأفراد واضمحلال الجماعات ، يتولد عنده الشعور بقلة خطر الفرد بالقياس الى المجتمع ، والى القوى التي تضطرم فيه . ولذا فانه لا يقلق على حياته قلقاً شديداً ، ولا يحصر نظره واهتمامه بنفسه وبالجماعة الضيقة المتصلة به لأنه يعرف انه قد يكون بين الذين قدر لهم ان يضحى بهم في سبيل مجتمعهم وكيانهم الأكبر ، كما ضحي بالألوف والملايين من البشر حتى بلغ المجتمع الانساني درجته الحاضرة . نعم ! ان غاية التقدم والرقي هي ان يضمن لكل فرد من البشر سلامته وحريته وأوسع مجال للنمو والسعادة ، ولكن المؤرخ يعلم انهُ في سبيل الوصول الى هذه الغاية قد يذل كثير من الأفراد في الماضي حياتهم وان كثيرين غيرهم سيبذلون في المستقبل حياتهم ايضاً ، فلا عجب اذا كان هو نفسه جزءاً من الثمن الذي تدفعه امته لتنال حريتها وتؤمن سعادة أفرادها . ومن أجل هذا وجب عليه — اذا كان قد فهم رسالة التاريخ حق الفهم — ان يكون في مقدمة الذين يبذلون نفوسهم في سبيل الحق ولأجل سيادة المبادىء العليا في الحياة . انه يعلم — أكثر مما يعلم غيره — معنى الاضطراب النازل بأمته ، وانه يتطلب منها جهداً وتضحية ، بل الحياة نفسها يقدمها بعض أفراد الأمة ليمكنوها من التغلب على محنتها ويبلغوا بها غايتها ، ولذا تراه في مقدمة العاملين على انهاض مجتمعه ، باذلاً كل رخيص وغال في سبيل أمته وبلاده . هذا كله اذا كان فهم روح الماضي فهماً صحيحاً ، وشعر شعوراً داخلياً عميقاً بما حوله من اضطراب ، وانعكس هذا الشعور عنده في نوع من القلق النفسي لا يشتت روحه ويزعزع كيانه ، بل يجدده ويبعثه ويخلقه خلقاً جديداً ، أو بعبارة أخرى اذا كان قد عرف رسالته الى مجتمعه على وجهها الصحيح

ان من المؤرخين من يلتقي بوظيفة التأريخ ولكن منهم ايضاً قلة تطمح الى ما هو أعظم من هذا وأسمى : الى ان تكون بين القوى التي تنظم الحياة وتصنع التاريخ . وعندي ان الأزمات والاضطرابات هي خير عامل ينبه المؤرخ الى هذه المرتبة العليا ، فاذا ما فهم جوهر رسالته في تلك الأوقات العصيبة وبذل جهده لتأديتها ، لم يكن مؤرخاً بالمعنى المعروف فحسب ، بل كان قوة لا يستهان بها في خلق أمته ، وعن طريق أمته في خدمة الانسانية جمعاء

آيات في الفن

الشمائل

أو السلاحف البرية

لاسماعيل مظهر

— ١ —

لعلَّ القارىء يتساءل : أيُّ شيء من جمال الخلق في تلك الصَّدَفات المتحركة التي إن مشت دَعْدَجَتْ ، وإن سكنت سكنات وقعت منكشة الغطاء السرّ المطوي في صدر صحيح بالكلام ؟ ولكن جمال الخَلْق شيء وجمال المعنى شيء آخر . فإذا أردت أن تعرف سرًّا من أسرار الآيات البينات في خلق الحيوان فَفَرِّق إذن بين جمال الخلق وجمال المعنى . بل إنهُ ينبغي لك أن تنظر في جمال المعنى قبل جمال الخلق . فإنك قلما تقع في الحيوان على صورة فيها من جمال الخلق ما هو أبلغ من جمال المعنى ، كما أن المهندس الأعظم قد انصرفت قدرته الى بث المعاني في تضاعيف المخلوقات حتى لقد طغت على الخَلْق الظاهر . فإذا نظرت في مخلوق ما وأردت أن تستبريه ، فانظر في المعنى الكامن فيه ، وهنالك تتبين الآية ، والمقصود هنا بالشمائل (جمع شَمِلَة) وهي السلاحف في المعنى العام . والشَّمائل أعضاء في طبقة عظيمة من طبقات الحيوان تعرف بالزواحف ومنها الحيات والسَّحالي والسَّلاحف والتماسيح والضَّفادع والسَّمادل وغير ذلك . فانظر كيف تشيع في جميع هذه الصور المتفرقة صفات مشتركة فَنَّنها بارىء الأكوان تفنيناً عن صورة أوَّلية مثالية ، فجعل منها السَّام والوديع والماهر والدَّارج والمفترس والعاشب والمتكبِّر والسَّافر والأملس والكث والبادن والنحيل وذا الناب وذا المخلب ، وعاشي البر وعاشي الماء

والسَّلَحْفائيات — Chelonia قبيلة عظيمة من قبائل الزواحف : Testudo عنز

---

(١) طلب الينا فريق من القراء الملتفين حول مجلة الفتح معرفة اسم كاتب هذه المقالات الطبيعية الممتعة التي تقرؤنها في قلب أدبي فأثرنا على رغبتهم وبدأنا بمورد اسم كاتبها المحقق وهو الاستاذ اسماعيل مظهر

صنفاتها بصور ثلاثة : الأولى الفيالم Tortoises : وهي برية صرفة ، والثانية اللجأ Turtles : وهي بحرية صرفة ، والثالثة الطرابين[1] Terrapins : وهي برية أو بحرية . وسنفرد لكل من هذه الصور بحثاً خاصًّا نلم فيه بما لا يكثر من جمال المعنى الذي بثته الطبيعة في اضاعيف هذه الصدفات الصلبة ، المنطوية على أحياء فيها من آيات الخلق البيّنة ، ما تقر القدرة البشرية بالعجز الكامل عن إدراك أتقه وأتمه

لم يفت أوائلنا الكلام في هذه المخلوقات . ففي الدميري (٢ : ٢٤) السلحفاة البرية واحدة السلاحف ، قال أبو عبيدة : وحكى الرماني سُلَحْفِيَة ، وهي بالهاء عند الكافة ، وعند ابن عبدوس السُّلَحْفَا بغيرها ، وذكرها يقال له الفيل . وذكر الدميري السلحفاة البحرية (٢ : ٢٥) فقال هي اللجأة . وذكر اللجأ : فقال نوع من السلاحف يعيش في البر والبحر (٢ : ٣١٦)

أما اختيارنا للفظ الفيل وجعله عنواناً لهذا البحث فحبًّا منا في تخصيص اللفظ للمعنى العلمي . ذلك بأننا اذا قلنا السلحفائيات فصدنا : Chelonia : وهو اسم القبيلة وهذه تنطوي على الطبقات الأخرى : الفيالم واللجأ والطرابين (Tortoises, Turtles, and Terrapins) . أضف الى ذلك أن اسم الجنس ينبغي أن يدل عليه مذكر ، والسلحفاة مذكرها الفيل ، وهو أحق بأن يكون اسم جنس . ومن أحق بالتقديم ممن خصته الشريعة بمثل حظ الانثيين ؟

لو قال لك قائل إن من الحيوان ما خرج هيكله عن باطنه ، وانطوى باطنه في داخل هيكله ، لبدى لك الكلام في صورة يعد على المشاهدة الفريبة أن تؤثر في عقلك بحيث يسلم بصحته . ولكن اذا فرجت ملكي وقبل لك انظر هذا الفيل ! أليست ترى أن هيكله قد ركب جسمه فبرز ، وأن جسمه قد انطوى في داخل هيكله تخفي ، كأنما الطبيعة تريد أن تقول لك بفصاحتها الصامتة : كيف ترى ؟ أليس لي القدرة على جعل الآية ونقيضها آيتين ؟ فما يكون من عقلك الا أن يسلم بأن النقائض أصبحت بديهيات

إذن فهذه الصفائح الغريبة التي تراها مترائية على ظهر الفيل ليست سوى هيكله الظاهر وهو يتألف من صدفة عليا يقال لها في لغتنا « الدَّرَقة » — Carapace ، وقد تسمى أيضاً الصفيحة أو الصدفة الظهرية أو الترس الظهري ، ومن صدفة سفلى تسمى « الصُّدْرة » Plastron وقد تسمى أيضاً الصفيحة الصدرية أو الترس الجوفي أو البطني . والقاعدة المطردة في خلق الفيل

---

(1) Terrapin : Formerly also terpin, tervapene, turpin : supposed to be of Amer. Ind. origin. Cent. Dict. p. 6246, vol. VIII.

يذكر معجم ستفنسون ان الكلمة تحريف كلمة هندية فحرفت : الطرين بفتح فسكون والجمع طرايين ، لانه اسم الحيوان في مرابيه

أن الذيل والصُّدْرة يتحدان من لدن الخابين بصفائح عظمية ، وفي بعض الاحيان يتصلان برباط من الانسجة الضامة Connective tissue ، وفي معظم هذه الصروف وبؤخرها منفذان يجر الحيوان من خلالهما اجزاءه الظاهرة الى الداخل فتختفي اختفاء كليًا أو جزئيًا . وهنالك تنبب الرأس والاطراف والذنب ، فلا يبقى من ذلك الزاحف غير الصدفة الشوهاء التي لا تقدر على شيء الا أن تدرأ عن الحيوان ما تدرأ من عاصف الاحداث

أما الذيل ، ذلك الغطاء الغربي ، فيتألف من خمسة تروس هيكلية [1] ، على كل من جانبيها أربعة تروس ضامية [2] وقد تكون خمسة . وأسفل هذه تكون التروس الحفّافة [3] ، ويسمى الامامي منها الترس القفاري [4] كما يسمى المؤخري منها ، وقد يكون مفرداً أو مزدوجاً ، الترس الذنبي [5] أما التروس الحفّافة الوسطية [6] وهي التي تقع بين الحفّافة الامامية والحفّافة المؤخرية ، فتختلف في العدد باختلاف الاجناس . ذلك في حين أن الصُّدْرة ، أو الصدفة السُّفلى ، تكون مُهَيَّأة بعدد غير ثابت من الشُّرُوس . وهذه ، مع تروس الذيل ، لها أثر رئيسي في تصنيف صور الثعابين المختلفة في علم المواليد

اذا انحدرنا رجعاً الى الازمان الاولى ، الى الخطوات التطورية التي فتقت فيها الطبيعة بعض صور الحيوان من بعض ، رأينا أن الثعابين كان لها غطاء ، ولكن من أدم ولم يتطور فيه أكثر من النظام . وفي مدارج التطور ازدادت تلك الأكرُ حجماً . ثم اتحدت فصارت غطاء متصل الأجزاء . وهو ناء على هون تضامرت العضلات التي كانت تحت تلك الأكر ، حتى استقر الذَّيْل واتصل بالسَّنابين وهي تلك النواشز العظمية التي تبرز نحو الظهر من العمود الفقاري ثم انضمرت السنابين دورها شيئاً بعد شيء ، حتى زالت تماماً ، وهنالك استقر الذيل فوق الضلوع مباشرة ، ثم تداخلت الضلوع في الصُّدفة تدرجاً وحالاً بعد حال ، حتى بلغ من أمرها في الثعابين الحديثة انك لا تستبين منها الا أثراً بعد عين ، كأطرافها أو رءوس الشراسيف [7] منها وعمر الاحقاب اندمج القص أي عظم الصدر في الصدفة السفلى ، وهي التي سميناها الصَّدرة فلم يبق في السلحفاتيات العائمة وهي الثعابين والنجاء والطرابين من العظام غير الناوح الكتفي والنَّرْمَى [8] اي عظم الورك . وقد يبرز هذان العظمان من الصدفة في الافراد غير البالغة ، ولا يختفيان الا بعد أن تبلغ الصدفة كمال نمائها ببلوغ الحيوان

---

(١) Vertebral Shields (٢) Costal Shields (٣) Marginal Shields
(٤) Nuchal Shields (٥) Caudal Shield (٦) Intermediate Marginal Shield

(٧) الشراسيف (بضم فسكون فضما) : جمع رسف محلق بكل ضلع أو معظم الضلع وهو الطرف المشرف على البطن (القاموس) (٨) النرمى : وصلة ما بين العجز والورك (القاموس) عن الدكتور شرف

ولكن لكل قاعدة شواذ . فان من السلحفائيات صورة لم يجر عليها ذلك التطور الذي وصفنا . فهي بذلك عنوان على الماضي وأثر من آثاره تدل عليه . وقد يسمى هذا الزاحف الأسجأ الأدمي[1] فان ذيله يتألف من عدد عظيم من الأقراص العظمية المترابطة ، من فوقها بشرة ادمية أي جلدية ، قد تبلغ نصف بوصة سُمْكاً . كذلك نجد لهذا الحيوان طبقة من العضل تفصل بين الثروس وعظم الفقار والضلوع ، فتصير هذه العظام طليقة ، فلا تتصل بالذيل اتصالاً ما

ولا شك في أن ذلك الغطاء القرني الصلب الذي تدرع به النيالم ، درقة قوية يحتمي بها الحيوان من أعدائه . ولقد نعرف أن بعض النيالم في قدرته أن ينكمش في داخل صدفته فيغيب فيها الرأس والأطراف والذنب . ولكن هنالك من آيات الخلق في هذا الحيوان ما هو أبلغ من هذا . فان من النيالم ما يستطيع ان يغلق الصدفة على نفسه بعد أن ينسحب الى داخلها ، فيصير الحيوان أشبه بكرة . ذلك بأن الذَّبل (وفي بعض الأحيان تكون الصُّدَّة ايضاً) مهأ بمفصَّلات (Hinges) مستعرضة ، تحكم سدَّ الصدفة على الحيوان ، فكأن الصدفة حصن منيع

***

مما خصت به الطبيعة النيالم : قوة الأطراف . ولكي تكون هذه الأطراف ملائمة لحياتها ، سوَّتها الطبيعة على صورة أكرية ، وهيأتها بأظافر قوية صلبة . ذلك على العكس من اللجأ والطرَّاين ، فان حياتها المائية لا تجعلها في حاجة إلى الأظافر وتأكُّر الاطراف . لهذا عدلت الطبيعة عن ذلك وهيأتها بأطراف أنحل من اطراف النيالم ، وبثَّرت ما بين الاصابع فوصلت بينها بغشاء يساعدها على السبح . فانظر كيف تهيىء الطبيعة بين الحيوان والبيئة ، كأن للطبيعة عيناً حكيمة تنظر بها ، وعقلاً مدبِّراً يضع الاشياء في مواضعها ، فلا تعبَّ ولا إفراط

وفي النيالم قدر عظيم من القوة الحيوية . فضلاً عن انها تستطيع أن تظل بغير طعام عدة اشهر من غير ان يظهر عليها أثر حيوي ما ، فالمعروف انها تقدر على ان تمشي مسافات كبيرة بعد أن تقطع رؤوسها وتُفصَل عن اجسامها ، أو بعد أن تنزع أدمغتها[2] من جماجمها . والنيالم من المعمرات . فقد قيل ان غلماً كان في حديقة « بشوب » بمدينة « بترورو » ، عاش أكثر من عشرين ومائتي سنة . وحصل « لود » ، رئيس اساقفة « لامبث » على غلم سنة ١٦٢٥ ، فمات في سنة ١٧٥٣ وبالرغم من ان هذا الغلم قد ظل حيث تركه « لود » ثاني وعشرين ومائة سنة ، فانه لم يمت حتف انفه ، بل مات بإهمال بستاني عهد اليه في أمر القيام عليه . وبالرغم من ان النيالم تعمِّر الى أرذل الاعمار ، فمن العجب العجاب انها تموت بخنقه إذا ما ارغمت على ان تظل أفواهها

(١) Leathery Turtle (٢) الدماغ عليا وهو يتألف من ثلاثة اقسام وهي :
Cerebrum, Cerebellum, and Procerebrum

مفتوحة زمناً ما ، أو سُدَّ منها المنخران بقطعة من قطن مثلاً . ذلك بأن الزواحف تتنفس بطريقة تختلف كل الاختلاف عن الطريقة التي تتنفس بها الحيوانات المتثدية رئاتها ، ما عدا الضفادع والسَّرَع (Frogs) والسلاحف . فهي لا تستطيع أن تملأ رئاتها بالهواء ثم تفرغها بأن تمدد الصدر ثم تقلصه . ذلك بأن ليس لها ضلوع متحركة ، وأحكام الصدفة على الصدر يمنعها من حركة التنفس المعروفة . فإذا أراد الغيلم أن يضخم رئته بالهواء سدَّ فكيه ، ويزيد اتساع فجوة الفم بأن يردَّ اللسان الى أسفل فيحدث بذلك خواء يتحدر اليها الهواء من المنخرين ، ثم تمتد الأسنة (وهي طرف اللسان) لتضغط فتحتي مجرى الأنف من الداخل فتسدَّهما ، فيزاق ملء الفم هواء من خلال قصبة الهواء الى الرئتين . وبعبارة أخرى نقول ان الهواء يبتلع ابتلاعاً بل يجرع اجتراعاً ، لا أن يؤخذ شهيقاً ورد زفيراً . ومما هو واضح أن طريقة التنفس على ما وصفنا لا يمكن ان تتم إذا ما ظل الفم مفتوراً

وليس للغيالم أسنان . بل إن أفكاكها قد هيئت بحافة قرنية تصلح للقضم . ويمكن التفريق بين السلاحف البرية والبحرية بان صدفة الاولى تكون أشبه بقباء مرتفع . أما صدفة الثانية فتطامئة . والغيالم جميعها من العواشب ، ماعدا نوع واحد يعرف باسم « الغيلم الشُّدُوقي » (Hook Turtle) فانه يختلف في غذائه عن بقيتها بعض الشيء . فقد يأكل الى جانب الاعشاب : أنواعاً من الديدان والحلزون والضفادع . والانواع الضخام من الغيالم في مستطاعها أن تأكل بعض الحضر الكبيرة كالكرنب . ولكن البَثيلات [1] منها تتغذى بالحشائش والحس ، وغير ذلك من الحضر الدنية

***

أن أشهر أنواع الغيالم هو النوع المعروف باسم الغيلم الاغريقي (Greek Tortoise) وهو يستوطن جزيرة كورسيكا وجزيرة سردينيا وايطاليا وبلاد البلقان وسوريا . وقد يبلغ طول الفرد منه خمس بوصات ونصف بوصة . وقد يتفق أن الكثيرين قد تذوقوا لحم الحجا (السلاحف البحرية) . ولكن لابد كر أحدنا أنهُ عرف أن الغيلم (السلاحف البرية) مما يؤكل . ذلك في حين ان الواقع أن لحم الغيلم الاغريقي ، وبخاصة الدماغ ، مما يؤكل في انحاء صقلية وايطاليا بعد نقعه في الخلّ ، وان هذا الغذاء مما يشتهيه الكثيرون من الناس هناك ، وكثيراً ما تعرض هذه الغيالم للبيع في الأسواق كما تباع اللحوم والطيور والحضر

(١) البثيل : الصغير

مرآة الأمنيات

لخليل شيبوب

يا حلماً أسعف فيه الهوى ... بقبلة ناعمة عاطره
سُقيتُ منها كوثراً ذوّبت ... فيه أماني نفسيَ الحائره
كما تذوب الشمس في جدول ... تشرب منهُ الأزهر الناضره
سلافة قطّرها ساحرٌ ... تسلب الروحَ بها ساحره
أحيجتِ الحرقةَ لكنها ... أقرّت العاطفةَ الثائرهْ
خلاصةُ العمر تمثّلتُها ... في رشفة خالقٍ طافره
سكبتُ روحي في تضاعيفها ... عصارةً من مهجتي قاطره
أنشودةُ السعد، بها غرّدت ... آفاقُ هذا العالم الناظره
وقّمها النور على مائج ... من سحره في لجةٍ عابره
كأنما الدهر أتاني بها ... مُلخّصاً دنياي والآخره
ما الروض بالزهر وأطياره ... وما ليالي القمر الباهره
وما حياةُ الصفو مهولةٌ ... بالحب عن غُرّته صادره
ما معاني الخلد قد حقّقت ... خفيّها موفورةً وافره
سوى خيالِ الظل من قبلة ... وضاءةٍ رفّافةٍ طاهره
يا حلماً عشتُ حياتي به ... لتقوتي، ماوعت الذاكره

حقيقة التحليل النفسي

للاستاذ موكلي

نقلها الى العربية : حسن السلمان
مدير منطقة معارف البصرة

— ٢ —

فرويد والضرورة الضرورية عند الاطفال

من أهم النظريات التي جاء بها فرويد نظرية الفروق الفردية عند الاطفال . فقد قسم فرويد الاستعدادات الفطرية — او كما يسميها بعض علماء النفس الميول السلوكية — الى فروق ذاتية وفروق جنسية . وقد نالت الفروق الجنسية النصيب الأوفر من بحثه ودراسته ويرجع ذلك الى اعتقاده بأن الفروق الجنسية في البالغين ليست ناجمة عن ميل نرويي واحد بدأ مفعوله عند البلوغ وانما نشأت عن ميول جزئية متأصلة في الأطفال . ويصنف هذه الميول الجزئية كما يلي : (١) الميول الجزئية المتعلقة بالفم وتظهر في شكل حب الطفل لرضاعة ورغبته في مص حلمة ثدي أمه (٢) الميول الجزئية المتصلة بالشرج وتتصل هذه بالطرف الآخر من القناة الهضمية ، وتظهر عند الأحداث في شكل الاهتمام بمواضع البرز (٣) الميول الجزئية المتصلة بأعضاء التناسل (٤) الميول الجزئية التي تظهر في شكل حب الظهور أو حب التطلع (٥) الميول الجزئية المتصلة بحب التعذيب أو حب الاستسلام أو حب التألم . ويرافق هذه الميول الجزئية انفعال شهواني يعبر عن رضى الشخص واطمئنانه ، ويكون المصدر الأساسي للاعمال التناسلية التي يأتيها البالغ والكل اشباعاً للشهوة البهيمية

ويقرر فرويد ان الميول الجزئية المارة الذكر ما هي الا سبل منشعبة من مصدر واحد هو الشهوة البهيمة ، ولهذا فهي حرية بأن تدعى بالدوافع الشهوانية . ومما لا ريب فيه ان شخصية الانسان لا تتكامل ما لم تشترك ، دوافعه الشهوانية مع دوافعه الأنانية في الهيمنة على اعماله العقلية . فاذا ما كان نمو الانسان طبيعيًّا فان الميول الجزئية التناسلية تسيطر على دوافعه الشهوانية — فاذا ما بلغ الطفل الخامسة من عمره وصل الى دور تناسلي يدعوه فرويد دور « سلطة العضو التناسلي » وتتألف هذه السلطة من نوعين مختلفين من الشعور أحدهما حسي والآخر انفعالي كالعطف والرقة والتودد وغيرها مما يظهر به الطفل في مثل ذلك السن . وبعد

ان يجتاز الطفل ذلك السن الى دور الخمود لا تقوم العوامل الخلقية بعمل ما وتظل جامدة حامية حتى سن البلوغ ، اذ تعود اليها فعاليتها ثانية فيبلغ الانسان عندئذ دور «النضوج الثاني» وفي هذا الدور يتم تجمع الدوافع الشهوانية فتبدأ بعض العوامل كالتضارب الفكري والسكبت والاحلال نفس فعلها

التضارب الفكري

كثيراً ما نشعر ان أفكارنا عرضة للتصادم وللتضارب . فلنفرض مثلاً اني وددت الذهاب الى احدى دور السينما لمشاهدة رواية تمثل أهم أدوارها الممثلة المعروفة مارلين ديتريش . ففي الوقت الذي افكر فيه بالذهاب الى السينما تمر بخاطري فكرة أخرى هي ان الواجب يقضي عليَّ بزيارة احد اقاربي الذي اصيب بمرض عضال . وتظل هاتان الفكرتان في نزاع وحلة من الزمن فاذا ما كانت الرغبة في مشاهدة الرواية قوية الأثر فان نفسي تحدثني بوجوب تأخير زيارة قريبي المريض ليوم آخر ، واذا ما كان الشعور بالواجب أقوى فسيحتل في نفسي المحل الأعلى فتأخذ نفسي تحدثني عندئذ بان قضاء ليلتي باحدى دور السينما ليس السبيل الصالح لقضاء ساعات الفراغ وان مارلين ديتريش لا تستحق الاهتمام الذي اهديه نحوها ، وان الساعة التي اقضيها بجنب فراش قريبي ستمنحه الرضى في قلبي والسرور والاطمئنان في نفسه مما سيخفف من آلامه كثيراً . وعلى هذه الوتيرة يبقى الانسان حائراً بين افكاره المختلفة الاتجاه ربما تغلب احدى الفكرتين على الاخرى وعندئذ يرتجه بكليته لتحقيق الفكرة الراجحة الكفة

وفي بحث مقتضب كهذا ليس من السهل علينا ان نسترسل في تحليل هذه الأنواع من الاعمال العقلية ، ويكفي أن نقول عنها ان التضارب الفكري شعوري يعتمد على وجود استعدادات عقلية خاصة. ففي المثال المتقدم يوجد استعدادان مختلفا الاتجاه يعرف احدهما بالرغبة في مشاهدة الرواية السينمائية والآخر بالعاطفة نحو قريب مريض . واستعداداتنا النزوعية تعين رغباتنا . فالشخص الذي يولع بمشاهدة الاشرطة السينمائية مثلاً لا بد أن يكون ممن يعجب بشخصيات شهيرات الممثلات وشهيري الممثلين ، وممن يهتم بالاطلاع على أسرار حياتهم وبمعرفة الأدوار التي يمثلونها.

ومن الجلي اننا لا نهتم ولا نكترث لمعرفة الأشياء التي لا رغبة لنا فيها ، والتي لا نحب أن نسمع عنها شيئاً . فاذا ما صارت لنا رغبة ملحة في شيء ما فان قابلياتنا وذاكرتنا تفعل فعلها في جمع الحقائق الكثيرة عن ذلك الشيء . فقد يسألني شخص عن كوكب من الكواكب السينمائية في لحظة أكون بها مسترسلاً في التفكير في قضية من قضايا علم النفس فلا استطيع اجابته عما يريد ولو أعاد عليَّ السؤال في وقت اتحدث فيه عن السينما وأشرطتها وعن التطورات الحديثة في عالم السينما لأجبته عن سؤاله جواباً شافياً . ويتضح من هذا أن استعداداتنا لا تتضارب بعضها مع بعض وحسب ، بل يحجز بعضها بعضاً ، حتى اذا ما كان أحدها بكامل فعاليته حال دون

تداعي الافكار المتعلقة بالاستعداد الآخر وبمنعنا من تذكر شيء من الأفكار المتعلقة به . وقد يحدث أحياناً ان بعض رغباتنا يتنافر بعضها عن بعض فلا ترتبط بعضها ببعض رابطة ما فيؤدي ذلك الى أن أحد الاستعدادين يطغى على الآخر ويقهره ويمنعه أن يحيى مدة من الزمن لا يجد الاستعداد المقهور مجالاً للظهور في دائرة الشعور ظهوراً ثابتاً فيظل كامناً منسيّاً . ويدعو فرويد هذه الاستعدادات بالاستعدادات المكبوتة ويعزو مخالب أسباب الاضطرابات العقلية

الكبت والاضمحلال والاعتراء

من الخطإ أن يظن بأن الكبت الفكري عمل شعوري ، فالاستعدادات النزوعية وإن حاولت الظهور بشكل شعوري من حين لآخر ، يقاومها العقل ويحول دون ظهورها حتى وإن اتخذت سبلاً غير مباشرة للظهور . فمثلاً اذا ما ازداد ميل الانسان نحو العلوم الطبيعية تضاءلت رغبته في البحث فيها وفي الاطلاع على ماخفي في أسرارها ، فيؤدي هذا الى ابتعاد جميع الافكار والدوافع المتعلقة بالعقائد الدينية عن الشعور وانزوائها في اللاشعوري دون أن يكون لعقل الانسان اختيار في ذلك . وقد يكتسب الانسان في حالات كثيرة بعض العادات الخلقية فيكيف سلوكه بحسب المثل التي يقرها الدين تكيفاً غير شعوري وتبدو هذه العادات كأنها من نتائج التعاليم الدينية التي تلقنها المرء في أول حياته . واذا ما نبه الانسان الى اعتياد تلك العادات حاول تكران تأثره بالتقاليد الدينية زاعماً أنه غير مقيم وزناً لها

أما الاضمحلال فيقصد به اثارة الميول النزوعية من جراء أحوال طارئة أو من حدوث أشياء جديدة ، وتظهر هذه الميول على هيئة سلوك مكتسب جديد . ويرى فرويد وجماعة من اتباعه أن أكثر أنواع سلوك الانسان البالغ مشتقة من ظاهرات اضمحلالية عديدة أو من ميول ظهرت في أول حياة الانسان بشكل اهتمام في التغذية والتبرز أي بتأثير الميول الجزئية المتعلقة بالفم والشرج . والمثال التالي يصوّر الاضمحلال أحسن تصوير

لنفرض أن طفلاً وضعت أمامه دمية أرنب كبير ، وفي كل مرة تعرض الدمية على الطفل يصرخ أحد خلقه صراخاً عالياً مزعجاً . فيعتري الطفل بادىء بدء خوف من الدمية خاصة عندما يرافقها الصراخ المزعج ، ثم يزداد به الخوف حتى يظهر عليه كلما وقع نظره على دمية شبيهة بتلك فما السبب في هذا الخوف يا ترى ؟ ان الدمية والصراخ العالي سببان حسيان أما جوابهما فهو فزع الطفل من الصراخ وهذا الفزع يستحيل الى الخوف من صورة الدمية أو من كلّ ما يشبه الارنب . ان للاطفال استعداداً للخوف كلما سمعوا أصواتاً عالية وقد حل محل هذا الاستعداد استعداد آخر هو الخوف من الارنب ، ومع هذا فان الاضمحلال لا ينجي الطفل من الفزع من الاصوات المرتفعة ولكن بالاضافة الى خوفه من هذه الاصوات سيظل يخاف من الأرنب او من كل ما يشابه الأرنب

وظل استعدادات الانسان جن بعضها عن البعض الآخر طالما هناك روابط تصل هذه الاستعدادات بعضها ببعض : فقد يتحول خوف الطفل من الأرنب الى الخوف من السيدات اللاتي يرتدين فروا مماثلا لفرو الأرنب ثم يتطور الى الخوف من المحلات اللاتي يرتدين فروا ناصع البياض غالي الثمن . وقد تسمع ذلك الطفل بعد ان يتقدم به العمر يتكلم ويقول انه يكره كل سيدة متكبرة لا ترتدي الا الفرو الغالي الثمن غير دار انه لم ينطق بقوله هذا الا لانه كان فريسة احد من الظواهر الاحلالية اللاشعورية

اما الاعلاء فاحلال مؤد الى تكوين فعاليات ذات منزلة اجتماعية في حياة الانسان ، وليس كما يعتقد البعض انه تحويل في الرغبات التناسلية وظهورها بشكل واع في لعبة رياضية او هيام بعمل خاص فالاعلاء لا يتصل بهذه الرغبات وانما يرتبط ارتباطا دقيقا بميول الانسان الطفلية

وفي الأعوام الخمسة الاولى من حياة الطفل تكون العلاقة بين تضارب الأفكار والنكبت اللاشعوري والاحلال وبين تكون الرغبات الشهوانية غاية في التعقيد ، وانه لمن المتعذر في مثل هذا البحث الموجز ان نأتي على شروحها بشيء من الاسهاب او التطويل . ويكفي ان نورد هنا مثالا واحدا يشير الى علاقة الاحلال بالميول الجزئية المتعلقة بالشرج . تسعى بعض الأمهات الى تعويد اطفالهن التبرز في مواقيت معينة ، ولما كان الاطفال يشعرون بشيء من الرضى والسرور كلما تخلصوا مما تجمع في امعائهم من اوساخ وأقذار تراهم يحجمون عن تقييد ميولهم رغبات غيرهم ، ويعزو فرويد هذا الاحجام الى النزعة الفردية التي تكون شديدة في بعض الاطفال وتنمو بنموهم الجسمي . فالطفل يشعر بضيق محيطه العائلي فينفر منه ويتجه نحو محيط اجتماعي اكثر سعة من ذلك فينجم عن ذلك أن تنمو في الشخص نزعة فردية تمنعه عن الخضوع لرغبة والديه او من يحيطون به . ويعتقد فرويد ايضا ان الكثير من ميول الطفل التزوعية المكبوتة تنشأ من ميول فطرية بدائية تتصل اتصالا محكما بالوظائف الرئيسية للجسم

ميول الطفل نحو والديه أو عقدة أوديبوس

وبعد ان يبلغ الطفل الخامسة من عمره تظهر فيه تأثيرات النظام العائلي ظهورا بينا فتكبت دوافعه الشهوانية وتتركز حول ميوله التناسلية وفي الوقت ذاته تأخذ ميول الطفل نحو والديه شكلا خاصا يؤدي الى ما يدعوه فرويد بوضع اوديبوس . اي ان الطفل يتغير من حيوان أنجم الى انسان يسيره النظام ويقيد تصرفاته العرف وتتحكم في اعماله التقاليد ، ويتغير كثير مما اكتسب من عادات خاصة منها تلك التي كان يشبعها البائون والكبول كعادة مص الاصابع مثلا وعادة الاهتمام باعضاء التبرز وعادة تعذيب الحشرات وقتلها والى غير ذلك من العادات مستعيضا عنها بعادات اكتسبها من والديه وافراد اسرته . ومما لا شك فيه ان هذا التغير يكون

مصحوباً دائماً بتعقيد في علاقة الطفل بوالديه فيشعر من جراء ذلك بان امه هي التي حافظت وتحافظ عليه، وهي التي تقدم له كلّ ما تشتهي نفسه وكلّ ما يحتاج اليه وهي التي اضطرته لترك عادات الطفولة ولاكتساب العادات « الطيبة » . ومع ذلك تكون ميوله الانفعالية نحو امه مزدوجة الاتجاه فهو يحبها وهو يكرهها وان كان حبه لها يفوق كرهه حصراً وكذلك يكون ميله نحو والده مزدوج الاتجاه ولكن هذا الميل اكثر تعقيداً من ذاك فاذا ما كان الطفل صبيًّا شعر بمزاحمة والده له في حب امه ولذا فهو يرغب دائماً في تنحيته عنه تخلصاً من مزاحمته ، وهذا الشعور كما يراه فرويد ناشيء عن عامل تناسلي . وتبلغ غيرة الطفل حدَّها الاقصى عندما تجتمع دوافعه الشهوانية تحت ميوله الجزئية التناسلية فيتمالك الطفل عندئذٍ لاحتلال المقام الاعلى في قلب امه . ويدعو فرويد هذه الحالة النفسية بعقدة اوديبوس نسبةً الى اوديبوس الذي قتل والده ليتزوج من امه

وتسير مع رغبة الطفل لاقصاء والده عواطف أخرى معاكسة لها في الاتجاه ، منها حب الطفل لوالده الناشيء عن عطف الوالد على والده وحنوه عليه ومنها حب تقليد الطفل لأعمال والده وتخلقه بأخلاقه الناجمة عن اعتقاده بسعة علم والده وعلو مقدرته ولهذا ينشأ تضارب فكري في عقل الصبي بين فكرتين حبه واعجابه بوالده ورغبته الملحة في التخلص منهُ . ويسري البنت مثل هذا التضارب ولكنها تريد التخلص من والدتها التي تنازعها حب أبيها

هذا التضارب الفكري هو المرحلة الأولى من مراحل تكوين شخصية الطفل . وبحسب ما يعتقده فرويد ان الأساليب التي تتخذ لحل هذه العقدة هي عامل عميق الأثر في حياة الطفل القادمة . والحل الطبيعي له هو أن يتغلب شعور الطفل نحو والده واعجابه به وحبه لهُ على دوافعه الشهوانية نحو والدته فيكبتها ، ولا يمكن أن يتم هذا الكبت الاّ بالاستسلام الى القيود التي يفرضها عليه والده . وعندئذٍ يتولد فيه ضمير أو « ذاتهُ العليا » كما يسميها فرويد ، وهذا ولا ريب انقلاب نفسي كبير في حياة الانسان فكبت الصبي لدوافعه الشهوانية لا يؤدي الى تغير في ميوله نحو والدته فحسب بل يؤدي الى كبت آخر يشمل قسماً من ذاته العليا ويشمل أيضاً الكثير مما كان يفكر فيه أو يأتيه في مبدأ حياته . ومع كل ذلك فان هذه الميول وتلك الافكار المكبوتة والتي ابتعدت عن الشعور ستظل محافظة على فعاليتها وتبقى كجزء مهم من اللاشعور مؤثرة في الفعالية العقلية الشعورية بأساليب شتى ومحاولة الظهور متخفية وراء ستار أعمالنا الشعورية

وبعد أن يتقدم الانسان في عمره أو عندما يصاب باضطرابات عصبية يقل الضغط على ما كبت زمن الطفولة فتحاول تلك الافكار والميول الظهور كأنها عمل من الاعمال الشعورية وقد ثبت أن قابليات الاشخاص للاضطرابات العصبية متوقفة على مقدرتهم لاعلاء أفكارهم وميولهم وهذه القابلية تختلف باختلاف الاشخاص ويكون جزء يسير منها فطريًّا في الجزء

الاكبر منها مكتسباً أوجدتهُ عوامل في المحيط تحكمت فيهِ مؤثرات في البيئة

ومما يجب الانتباه اليهِ أن امت الذات العليا بصوت الضمير ليس بالامر الدقيق فالقصد من الضمير هو الشعور بالواجب الاخلاقي أما الذات العليا فهي جزء من بناء الانسان العقلي وهي أكثر تمسكاً بالاهداف الاخلاقية مما هو الامر في الضمير. وربما كانت الذات العليا المظهر الديني للضمير أو هي كما يعتقد فرويد شعورنا « بالخطيئة » عندما نأتي عملاً لا يقره الدين

الاحلام في نظر فرويد

كان من جراء اتخاذ فرويد طريقة تحليل الأحلام وسيلة لمعالجة الاضطرابات العصبية ان وضع نظرية عظيمة الشأن عن طبيعة الاحلام . فقد كان يميز في ابحاثه عن الاحلام بين محتوياتها الظاهرية — أي الحوادث التي يذكرها صاحب الحلم كما شاهدها ، وبين محتوياتها الكامنة — أي الامور التي يمكن الكشف عنها بطريقة التفكير الحر وسواء هذه المحتويات الكامنة « رغبة صبيانية » مكبوتة او استعداد نزوعي مكبوت

ان الوظيفة الاساسية للاحلام هي المحافظة على استمرار نوم النائم ولا يمكن ان يتم القيام بهذه الوظيفة الا بابدال كل عمل يهدد النائم ويحاول ايقاظه ، عملاً كان النائم يعامل نفسه بها وينتهاه ايهم خفوته ثم كبت لسبب من الأسباب . فهو فرض أن العامل الذي يحاول ايقاظ النائم كان فكرة أزعجت الشخص قبل ان ينام فان هذه الفكرة تتصل بعد نومه باحدى رغباته الصبيانية المكبوتة . ويعزى السبب في هذا الاتصال الى توقف العوامل النزوعية المسيطرة على افكار الانسان في حالة اليقظة والى ضعف القوى الكابتة لرغبات الانسان ضعفاً موقتاً . والمحتويات الظاهرة للاحلام ان هي الا صورة ممسوحة للرغبات المكبوتة ويتوقف مقدار هذا المسخ على مبلغ تنافر تلك الرغبات المكبوتة مع المثل الاخلاقية التي يتبعها الانسان في حالة اليقظة . فاذا ما كانت تلك الرغبة قديمة جداً فانها تحاول الظهور بشكل غير متخف وتكون هي سبباً لازعاج النائم وفي هذه الحالة ينقلب الحلم الى جثام يوقظ النائم وهو يتنفض رعباً وهلعاً

ولهذه النظرية شذوذ ، كما ان النظرية الاصلية للاحلام تغيرت تغيراً زاد من مرونتها وجعلها عملية اكثر مما كانت عليه سابقاً وقد اجمع الباحثون على ان مدلولات صور الاحلام تختلف باختلاف الاشخاص — على ان فرويد وحده ظل معتقداً بان تحليل الاحلام هو السبيل الوحيد لتفهم القوى العقلية خصوصاً منها تلك التي أدت الى التكبت العقلي في اول حياة الانسان

الخاتمة

ان القارىء المطلع على ابحاث التحليل النفسي يجد العرض المتقدم للتحليل النفسي غير منسجم تمام الانسجام مع ما قدم من ابحاث اختصت بهذه الناحية من علم النفس . وانهُ ما ان يتم قراءته

للبحث حتى نجيب في عقبه الاسئلة التالية : هل ما جاء بالبحث كامل الجوهر ؟ وماذا تعني « العقل اللاشعوري » ، « الافكار اللاشعورية والذاكرات اللاشعورية و« الرغبات اللاشعورية » ؟ وجوابنا على هذه اننا تحاشينا ذكر هذه المصطلحات مكتفين بالتمييز بين « الحوادث العقلية » وبين « الاستمرارات العقلية »

يتحدث البعض من بحاث التحليل النفسي عن العقل كانهُ حجرة مقسمة قسمين اختص احدهما بالشعور والآخر باللاشعور وفي كل من هذين القسمين أمور ـ تدعى بالافكار ـ وبالرغبات وبالميول الخ . هذه الأمور تنتقل من حين لآخر من احد القسمين الى الثاني فيؤثر بعضها في بعض بحسب نوع القسم الذي تنتسب اليه . ومهما كانت مكانة هذا الأسلوب من البحث في العلاج العلمي للاضطرابات النفسية فانهُ مبعث لاخطاء كبيرة في البحث النظري وسبب ذلك ان هناك فعاليات عقلية كما ان هناك حوادث خاصة بتلك الفعاليات كالتفكير والتذكر والترغيب والرغبة والتمني والمنية والى غير ذلك من الفعاليات والحوادث وعلاوة على هذا فان هناك عوامل ثابتة تؤثر في الحياة العقلية وهذه العوامل ليست الا استمرارات عقلية . ومن الواضح ان الاكتفاء باطلاق اصطلاح واحد على الفعاليات والحوادث والاستمرارات لما يؤدي حتماً الى تضليل في العرض النظري للبحث والى جعل عقل طالب البحث في ارتباك وتشويش

وعند ما يتكلم المحللون النفسيون عن «العقل اللاشعوري» فانما يتكلمون عن الاستمرارات العقلية أو عن البناء العقلي ولكنهم عند ما يشيرون الى «الرغبة اللاشعورية» وبالأخص عندما يتحدثون عن « الذاكرة اللاشعورية » فانما هم يستعملون بعض الاصطلاحات المبهمة التي تحتاج الى شروح غير مقتضبة . فلنفرض ان مريضاً عولج باحد أساليب التحليل النفسي فتذكر بعض الحوادث الماضية التي لم تخطر بباله قبل التحليل فكيف نعلل هذا التذكر ؟ ان المحلل النفسي يتكلم عن الذاكرة كأنها شيء مستقر في اللاشعور كما يستقر الحصى في قاع البحر . والحقيقة انهُ يعني بالذاكرة بعض الاستعدادات والاستمرارات التي ضمت الى البناء العقلي فيما مضى من حياة الانسان وهذه الاستعدادات لم تجد لها مجالاً للظهور في الحوادث العقلية الشعورية فلما عولج المريض اثيرت فعالية تلك الاستعدادات فقضى لها الظهور مع الاستعدادات الأخرى . ان الحوادث النفسية التي يتذكرها الانسان عند التحليل النفسي هي حوادث طارئة فيما مضى من حياته أما استذكارها فأمر جديد وسيتكرر هذا الأمر كلما تذكر المريض تلك الحوادث النفسية

ان الانتقادات الموجهة الى نظريات فرويد كثيرة الا أن هذه النظريات على ما هي عليه من نقص ومن نواح ضعيفة لكبيرة المقام في العلاج النفسي لمعظم الاضطرابات النفسية . وأما مزلتها في تفهم طبيعة حياتنا العقلية فلا تقدر . وانها ولا ريب فاتحة لابحاث جديدة ولدراسات واسعة يقوم بها البحاث النفسيون المعاصرون

من غربة الروح

أشتاق أن !!

لعمر الرحمن الخميسي

يا طيبي ظمئت روحي الى رشفة النور وراء الأفق
أطلقوني .. إني في جسدي بلبل ضاق بسجن مغلق
طال حبسي وأنا ما عشقت مهجتي غير الفضاء المطلق
آه يا حريتي .. حريتي من وراء اليم .. حلي وثاقي
أنقذيني من كآبي الضيق

هذه أمي تناديني وقد فصلت من حلقات الزمن
يتخطى السحب نبع صوتها ساكباً أصداءه في أذني
باركيني.. حلّقي في مخدعي خلصيني من قيود البدن
وأبري لي سبيلي .. إنما أنا في الدنيا غريبُ الوطن
بيت قلبي يوبُ الشجن

غام لي الحاضرُ وغالَ الأسى ذوبَ نفسي وبقايا أحلامي
وتهاوت أنجمُ الماضي على صفحة الذكرى فواجت أدمعي
أين أمي ؟ أين ولوتُ أخي ؟ كيف غابا ولقد كانا معي ؟!
أقفرت دنياي من أنغامها وأنا أرهب عيشَ البلقع
فلماذا يحتويني هامي ؟!

يا طيبي ظمئت روحي الى رشفة النور وراء الأفق
أطلقوني .. إني في جسدي بلبل ضاق بسجن مغلق
طال حبسي وأنا ما عشقت مهجتي غير الفضاء المطلق
آه يا حريتي .. حريتي من وراء اليم ... حلي وثاقي
أنقذيني من كآبي الضيق ...

(١) هذه القصيدة هي النشيد الأول من ملحمة « فجر النوت »

الطب المصري القديم

خرافتان مصريتان قديمتان

أخذ « الأثر » والوقاية بتعاطي المياه السحرية

للدكتور حسن كمال

الغرض من هذه المقالة هو اظهار اصل خرافتين شائعتين بين سكان القطر المصري يرجع تاريخهما الى حوالي القرن الثاني عشر قبل الميلاد أيام السلالة العشرين . وهاتان الخرافتان — « أخذ الأثر » والوقاية بتعاطي المياه السحرية — وردتا عرضاً في احدى الروايات الدينية المكتوبة بالخط الهيراطيقي على قرطاس مصري قديم محفوظ بمتحف تورين (Turin) بايطاليا. وأول من نشر هذا القرطاس هو بليت (Pleyte) وروسّي (Rossi)[1] ثم ترجمه ليفبر (Lefébvre)[2] بالفرنسية وفيدمان (Wiedmann) بالالمانية[3] وبعد ذلك لخصه كل من الاستاذين ادولف ارمان (Adolph Ermann)[4] وجاستون ماسبرو (Gaston Maspero)[5] ثم أتى السر بدج (Badge) فنقل نقوش هذا القرطاس من الخط الهيراطيقي الى الهيروغليفي وأعاد ترجمته وطبعه

والقرطاس يحوي رواية دينية تعرف بقصة (رع) (أي المعبود الشمسي) وأزيس (زوجة ازوريس) . وتبدأ هذه الرواية بسرد أوصاف المعبود (رع) العظيمة بوصف كونه خالق الكون الأعظم وبذكر اسماء هذا المعبود العديدة غير المعروفة حتى للمعبودات . وكانت المعبودة (ازيس) في ذلك الوقت تعيش بين الخلق كامرأة ساحرة برعت في التعازيم والقراءات السحرية أو عبارة أخرى كانت تعيش كاحدى النساء اللاتي يشاهدن الآن في شوارع القطر ممن يدّعون معرفة « فتح البخت » ورمي الودع وقياس الأثر

وورد في القرطاس المذكور ان (إزيس) برعت في الطب ايضاً وسميت (بامرأة الطب) وهذا الجمع بين صناعتي السحر والطب كان شيئاً معتاداً عند قدماء المصريين لانهم كثيراً ما كانوا

(١) Papyrus de Turin p. II 31,77,131—138 A. Z. 1883 p 27 ff (٢) Les Origines p162-4 (٣) Die Religion p 29 (٤) Aegypten p 359 ff (٥)

يستعملون السحر في علاجهم الامراض الجسمية . ولا تزال بعض تلك العادات شائعة بين منجمات الآلي يمارسن في التنجيم، نحو الختان ، وبعض انواع البادن ، وثقوب الخرز ، وسج وتطاهر ، اي صوم المتبتلين الوثنيين والختان

قالت الرواية ان الملكة (ازيس) استعملت سحرها بين الخلق ردحاً من الزمن حتى سئمت ثم طمحت نفسها الى أن تسيء المعبودات والأرواح فتكرث في ذلك وقرّ رأيها على ان تعرف اسم المعبود (رع) السري الذي تترتب عليه سيادة المعبود في الكون . وكان (رع) شديد الحرص على اسمه لأنهُ يعلم ان كل فرد يتوصل الى معرفته يسود عليه . فلما ظهرت لازيس صعوبة الأمر بالطرق المعتادة ابتكرت طريقة لذلك

كان المعروف بين قدماء المصريين في تلك العصور ان الساحر اذا تحصل على جزء من جسم انسان كشعره أو ظفره أو بعض جلده او افرازاته أمكنه أن يسحر له ويضره ضرراً بليغاً . والسحر كما نعرف حقيقة واقعة . حتى لقد قيل إنهُ سحر للرسول عليه الصلاة والسلام بالنفث في العقد فنزل قوله تعالى (ومن شر النفاثات في العقد) . كما ورد بالكتاب الشريف تأثير السحر بين الزوجين وذلك في سورة البقرة (واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما انزل على الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه)

***

نعود الى قصة اليوم فنقول ان (ازيس) لاحظت ان (رع) هرم وضعف وسقط لعابه على الأرض فانتهزت هذه الفرصة وأخذت بعضاً من لعابه مزجته بطين وصنعتهُ بهيئة ثعبان سام ثم تلت عليه تعاويذ شديدة ووضعتهُ في طريق (رع) لعله يدوسه يوماً من الأيام وقت سياحته فوق الافطر المصري

وحين ذكر ستيان لعاب (رع) نقول ان في القطر المصري كثيراً من السحرة يشترطون أخذ « أثر » الشخص المراد سحره ويعزّمون عليه فيكون بذلك الواسطة بين الساحر والمسحور وكثيراً ما يختلف نوع الأثر في مذهب السحرة . فبعضهم يطلب شعراً والآخر منديلاً وغيره ظفراً أو ملبوساً الخ . ويعتقد البعض ان مفعول السحر يستمر بكون « الأثر » عند الساحر وتسمى هذه الطريقة عند العامة « بأخذ الأثر » وتشاهد يومياً بين عامتنا خصوصاً فيما يتعلق بأمور المحبة والعشق

أتذكر يوماً حضر اليَّ مريض قائلاً انه تزوج قريبة له كان ولعاً بها فكرهها من ليلة الدخلة ولم يعد يتصورها في مخيلته واعتراه الأرق طول ليله وقال إني ماذا تعزو هذا الأمر؟ قلت كنت أحب أمرأة قبلها وبانني انها أخذت أثري وهو منديلي «فسحرت لي عليه» وما دام هذا «الأثر» موجوداً عندها فلا رجاء من شفائي . فحاولت ان أقنعه بعدم صحة هذه الأوهام فلم أفلح

والغريب أن والد هذا المريض وأقاربه وجماً غفيراً من زملائه كانوا كثيري الاهتمام به «لفك هذا السحر» فأحاطوه على طائفة كبيرة من المشايخ واستمر الحال على ذلك ستة اشهر تقريباً كاد يطلق عروسه في اثنائها لولا ان الله من عليه بالشفاء على يد أحد السحرة المهرة !

ليست هذه الحادثة بالفريدة من نوعها . فكثيراً ما يصادفنا امثالها اثناء اشغالنا اليومية . والأغنية العامية الآتية خير دليل على اعتقاد العامة بهذه الأمور

أنا أعمل لك حجاب على ورق الخيار
أسهره بالليل واجتبه بالنهار

واستعمال الثعبان في ضرر المعبود (رع) يذكرنا بما يجري الآن في السودان في جهاته المعروفة باسم بانيورو (Banyoro) فان أهالي تلك الجهة تصطاد وحش الجاموس بتثبيت ذيول الثعابين السامة بمسامير في الأرض في طريق الجاموس المذكور فتشكل تلك الثعابين من لدغه وقتله ويقال إن ما يقتله الثعبان الواحد في اليوم من الجواميس يبلغ العشرة أحياناً . أما الفريسة الأولى فلا تأكلها الأهالي لأنهم يعتقدون انها مسمومة واما الباقي فيؤكل(١)

قالت الرواية الدينية ان الثعبان الذي وضعهُ (ازيس) في طريق (رع) لدغهُ وافرغ سمهُ في جسده فأثر فيه كثيراً وسبب له ألماً شديداً فارتعش فكاك وصرخ المعبود من الألم . فلما سمعت المعبودات صياحه أسرعت اليه . فأخبرهم بما حصل . فقالوا ان الحادث غريب لأن (رع) محفوظ بالوسائل السحرية وباسمه السحري فأمر (رع) باحضار جميع آلهة السحر فحضرت وكانت بينهم (إزيس) فالتفت اليه قائلة (ماذا أصابك أيها الوالد المقدس ؟) فأجابها بأنهُ لدغ بثعبان سمهُ أحرّ من الجمر وأبرد من الماء فارتعشت أعضاؤه وضعف بصره . فاجابتهُ (ازيس) ماكرة (خبرني باسمك أيها الوالد المقدس فان كل من يفشي اسمه يعيش) . فسرد (رع) أفعاله وصفاته الالهية وختم كلامه بان اسمه (خبرا) في الصباح و (رع) في الظهر و (تمو) في المساء ظناً منهُ أن ذلك كان لانقاع (إزيس) فبدأ حينئذٍ بشفائه لكن هذه الحيلة لم تخدع (إزيس)

(١) Johnston, Uganda Vol. II p. 884

لأنها علمت أن (رع) لم يقر باسمه السري فمنعت عن معالجته وزاد ألمه وسرى في جسمه السم فقال في نفسه أن إزيس تسعى وراءي وإن اسمي سيترك قلبي ويدخل جسمها ثم دلها (رع) مركبته السماوية التي كان يطوف السماء بها فتلاقيا من الصباح واحتجب عن الآلهة التي فيها. فأمرت إزيس الملك في قول (رع) واتفقت مع (حوريس) على أن لا تشفي (رع) حتى يقسم لها بأنه إذا لم يقر باسمه خسر عليه (وهما الشمس والقمر) فوافق (رع) في آخر الأمر على ذلك وخرج اسمه السري من قلبه ودخل جسم (ازيس) وأصبح (رع) في عالم الأموات ثم قالت (ازيس) عليه العزيمة الآتية — أنا (إزيس) الساحرة التي تخرج السم من الجسم وتسقطه على الأرض. لقد أخذت من المعبود الأكبر اسمه السرّي وسيبقى (رع) حيًّا. اما السم فيموت لأنهُ إذا عاش السم مات (رع)

وأصبحت هذه التعويذة منزلة كبيرة في تلك العصور الغابرة. واعتاد القوم تلاوتها للوقاية من الحشرات لأنها أخرجت السم من (رع) ولكونها من ابتكارات (ازيس) ولأنها كانت الواسطة لمعرفة اسم (رع) السرّي

***

قال الكاتب المصري القديم (اذا قرئت هذه التعويذة على ورقة من البردي أو قطعة من الكتان أو تمثال احدى المعبودات (نو) أو (حروحكنو) أو (إزيس) أو (حوريس) قوي مفعولها السحري. واذا وضعت ورقة البردي المذكورة في ماء وتناوله الانسان انتقل اليه مفعول التعويذة وأصبح جسمه منيعاً ضد لدغ الثعابين)

ولا تزال أمثال هذه الخرافة شائعة بين عامتنا الا أنها حرفت نوعاً بتغير الاديان فيشاهد أن بعض السحرة يتلو إحدى التعاويذ ثم يبصق في ماء يتناوله شخص آخر فيشربهُ وهذه الطريقة في اعتقادهم كافية لتحصين الشخص ضد لدغ الثعابين والأفاعي

ويلاحظ أحياناً أن بعض العامة يلجأ الى كتابة بعض النصوص السماوية على ورق يذاب في ماء يشربهُ الشخص الراغب في الوقاية من لدغ الحشرات. ويكتب أحياناً بعض تلك النصوص المقدسة على أواني تعرف عند العامة باسم (طاسات الحصة) يصب فيها الماء ويعطى للشخص المدغ أو المرعوب لقصد شفائه

***

وهكذا وصلت الينا خرافة قدماء المصريين محرّفة يسيراً بأن الماء المسحور يقي من يشربهُ من لدغ الثعابين

أضرار التبغ وفوائده

للدكتور انور افندي شواشيري

أليس غريباً ان يتجه الانسان بفطرته الى اقتباس ما يضره ويتنحى عن الذي ينفعه ؟ فالانسان يقيد ابناءه في اشياء معظمها ضار به ولا يقلده في اخرى تفيده . ومن أهم الاشياء التي يتحفز لها في صغره ومحاكاة والده فيها في كبره : التدخين

والتدخين عادة عريقة تأصلت جذورها في منابت الحضارة وتدرّجت معها في التقدم والرسوخ حتى أصبحت مظهراً من مظاهرها وأداة رئيسية من أدواتها

واتباعها — على رغم مناوئة العلم لها والتشهير بمساوئها واضرارها — يتزاحمون في الاقبال عليها والتعلق بها وكما تحوم الفراشة حول المصباح يحومون حولها ويصطلون بنارها ويقعون في شراكها . فتراها منتشرة في كل مكان دبّ فيه انسان . لا يخلو منها قصر منيف ولا كوخ حقير . وفي الحفلات والاجتماعات والمقاهي والقطار والترام والسيارة والعربة والباخرة . وعلى متون الجبل والابل والحمير ترتفع أعلامها وتملأ الفضاء سحبها ودخانها . وربة الدار اول ما تقدم لزائرتها وزائرتها لفافة منها ترحيباً بقدومهم قبل ان تقدم لهم الماء او الغذاء والصديق الذي لا يرحب بصديقه بلفافة يقدمها له عند التقاء يكون ناقص المعرفة في آداب المجتمع والاصدقاء وكم كانت هذه اللفافة سبباً للتعارف وتوثيق الصلات وربط اواصر المحبة والصداقة بين الافراد والجماعات كما كانت سبباً للتنازع والخصام ووقوع الكوارث في الارواح واحتراق الدور والأماكن العامة . ويكاد يكون لها في كل منزل نكبة وأثر من آثارها المحزنة والخسائر المادية التي تحدث بسببها كثيرة ومن العسير حصرها

***

ولو سألت المدخن المبتدىء لماذا تدخن وأي شيء أغراك به وساقك اليه لقال لا أعلم والحق أنهُ لا يعلم لماذا يدخن سوى أنهُ رأى من هو أكبر منهُ سنّاً ومقاماً يدخن فاقتدى به. ولو علم بما تقتضيه تلك العادة من صحة ومال وما سيكون لها عليه من سلطان في المستقبل وما

تعرضه لأمر من وسيلة الثقافة عليه لتجنب السقوط في حالة ما استطاع الى ذلك سبيلاً ولرمى بالثقافة الأولى ودسها بقدميه وامتنع من التلهي بها والعود عليها

ولو سألت تلك الفتاة الحسناء التي ما كانت تستغني في مجلسها بالنرجيلة حتى تناولت من حقيبة يدها لفافة وأطلقت من فمها الجميل غلالة من الدخان : لو سألتها لماذا تفسدين شذا رضابك بهذا الدخان الكريه أو بعبارة أخرى لماذا تدخنين ؟ لقالت انها تفعل ذلك أسوة بأمها وغيرها من السيدات والفتيات أو مجاراةً لآداب الاجتماع وتمشياً مع روحها العصري . لقالتها ايضاً امتثالاً للفتى الذي تصاحبه وتجتمع به . أو لأنها شعرت بفضاضة في مستواها العلمي ومقامها الاجتماعي اذا لم تقلد الرجل في التدخين كما قلدته في مسائل أخرى عندما أبيح لها الاجتماع به والذهاب معهُ في رحلات نائية والتنزه وإياه في الحدائق العامة وغير ذلك من الاعذار

ولو سألت ذلك الفتى الناهض والشاب الأنيق أو الرجل العامل والكهل المقعد أو الصبية في الشوارع أو العجزة في الدور والمنازل أو الموظف في ديوانه أو الاديب المنشىء في مكتبه لو سألتهم جميعاً ذات السؤال لقالوا انهم يدخنون اقتداء بمن تقدمهم لا لشيء آخر . . وبعد ان استرقتهم العادة بقيودها وأصبحوا من أتباعها فهم يدخنون لأنهم يشعرون أحياناً بضيق في تنفسهم وصداع في أنحائهم وحرج في صدورهم وملل من الحياة وزهد بها . وان التدخين يسري عنهم مما هم فيه ويبدّل حالهم السيئة بحال أحسن منها وأدعى الى تهدئة أعصابهم المضطربة وزوال ما كانوا يشعرون به من ضيق وصداع ولو الى أمد قصير . اي مدة احتراق اللفافة

ومما لا شك فيه ان للتبغ تأثيراً خفيفاً على الأعصاب بحمل المدخن على الظن انهُ يسكن اضطرابه ويذهب بآلامه وهذا الشعور يغريه بالتعلق به والالتجاء اليه . ويذهب بعضهم ولاسيما الأدباء بأسحاب المهن الرفيعة الى ان التدخين يساعدهم فعلاً على القيام بمهمتهم ويخفف عنهم كثيراً من أعبائها الشاقة ، ومعظم هذه الطائفة العزيزة المحترمة يقول لولا التدخين لما استطاع أن ينتج نصف ما ينتجهُ من الأعمال التي ينتجها تحت تأثيره فضلاً عن شعور الارتياح الذي يساوره في خلال انجازها

وهذا القول خطأ وهمٌ صريح لا يؤيده العلم بحال . ومع ذلك لنفرض أنهم على شيء من الصواب فيما يدعون ، فالاضرار التي يجلبها عليهم التدخين تكفي وحدها سبباً قوياً لابطاله والاقلاع عنهُ وإيثار الانتاج القليل بدونه على الانتاج الكثير به . على ان التجارب العلمية التي قام بها ثقاة العلماء أثبتت — كما سأبين فيما بعد — ان الرجل المدمن على التدخين كالرجل المدمن على الخمر وغير الخمر من المسكرات هو أقل احتمالاً للاعمال الشاقة والالعاب الرياضية ، وتوقل الجبال العالية من الذي لا يدخن ودونه كفاية وجلداً وصفاء على مزاولة الكتابة في السياسة

وتختلف الموضوعات الاجتماعية . ومن الشواهد المؤيدة لهذه النظرية حضرات الأفاضل أصحاب السعادة والعزة الدكتور فارس نمر باشا والأستاذ عبد القادر حمزة باشا والاستاذ الدكتور محمد خليل عبد الخالق بك والاستاذ عباس محمود العقاد والدكتور أحمد زكي أبو شادي والاستاذ عبد الخالق حسونه بك وكيل وزارة الشؤون الاجتماعية والأستاذ خليل ثابت بك والأستاذ سلامه موسى والأستاذ نجيب شاهين فانهم لا يدخنون ومع قلة الأدباء في خصوبة الانتاج وسمو الانشاء . ومثالان آخران أعرض لهما احتراماً لذكراهما وهما الدكتور يعقوب صروف وجرجي زيدان بك وقد خلفا ثروة طائلة في العلم والأدب والتاريخ لا نضارع من غير أن يستعينا بلفافة واحدة من ذلك السم الزعاف

والذي يدعو الى الأسف الشديد حالة العامل وما هو فيه من بؤس وشقاء بسببها . فانه يكسب في يومه بضعة قروش ليحرق جزءاً منها على الدخين ومهما يكن ذلك الجزء صغيراً فهو كبير بالقياس الى دخله وشدة حاجته الى سد ما ينقصه من غذاء وكساء له ولعائلته . واذا مرض وداهمه الداء وعرض نفسه على طبيب يقول انهُ في غنى عن العلاج وعن الدواء وأما عن الدخين فليس لهُ عنهُ غناء . وهذا هو الواقع ايها القارىء الكريم لا مبالغة فيه ولا تحريف فما من طبيب في هذا القطر وغيره من الأقطار الا ونصح وما فتئ ينصح مريضه العامل وغير العامل في كل أمة من أمم الأرض بأن يكف عن التدخين لتأثيره السيء في صحته وذريته ولم تلق نصيحته ويا للاسف آذاناً واعية الا من عدد يسير ولأمد قصير

وبعد هذا التمهيد الوجيز الذي كنت أود ان يطول نفسه أعرض لبعض مساوىء تلك العادة التي يخضع لسلطانها اليوم عدد كبير من الخلق في كل أمة ربما تفاوت عدد المدخنين فيها بين ٣٠ و ٤٠ في المائة منهم وقد يزيد على هذا التقدير او ينقص قليلاً . وفي كلتا الحالتين ان نسبة المدخنين على السوء في صعود لسوء الحظ لا في هبوط وعلى هذا القياس ينسحم نطاق أضراره ويمتد تأثيره في أجهزة الجسم وأعضائه الرئيسية مع تعاقب الأيام . وأول تلك الأضرار ما يظهر أثره في خط الدفاع الأول للجسم الذي هو الفم ومحتوياتهُ . وقوام هذا الخط كما هو معلوم الأسنان واللسان والحنجرة واللهاة واللوزتان والغدد اللعابية وهي التكفية وتحت الفك وتحت اللسان . وتفاعل اللعاب قلوي . وهذه الأجزاء مبطنة بغشاء مخاطي شديد الحساسية لما يتخلله من كريات عصبية وكريات من بنائه وعلى سلامة تلك الخاصية تقوم صحة الجسم وعافيته لأن بها تميز طعم أنواع المآكل وتعرف الجيد منها والرديء . وتشعر باللسان الحار والبارد القار والحلو وضده والمالح والحريف وغير ذلك . وهي خاصية كما ترى خطيرة الشأن

ووظيفة اللعاب او الريق هي تحويل المواد النشوية الى دكسترن وسكر وتيسير عملية المضغ

والازدراد ، وهذه الوظيفة لها شأن كبير هي الأخرى . وعلى الرغم يقول بأن تسمى سوء ولا اعسر عليها سياق العمل الذي يقوم به والمصورات عليه ومن أهم العوامل التي تفسد عليها هذا ذلك النعس هو التدخين الذي نحن في صدده لما يحمله في طياته من مواد سامة اخطرها النيكوتين وهذا اسم انسيرفرنسا في الدخان وقد أطلق عليها اسمه لأنه كان أول من بعث بذرة التبغ الى فرنسا وأظهر مزاياه الخاصة به . أما الذي نقل التبغ من أميركا الجنوبية الى أسبانيا فهو فرانسسكو فرنانديز سنة ١٥٥٨ . وتفاعل التبغ قلوي ومفعوله مخدر خفيف استعمل في أول عهد ظهوره لتسكين الآلام الجلدية وبطل استعماله الآن كدواء ويا ليته ظل مدفوناً في ذلك الركن الضيق ولم يتخذ سكيناً ويشيع انتشاره ويذيع صيته وتظهر آثاره في كل بيت ومكان كما هو عليه الآن

وتأثير النيكوتين يظهر على أثر التدخين في كريات الأعصاب للعقد النباتية فيشلها ويبطل عملها ويفعل مثل ذلك في كريات الغشاء المخاطي للجزء الاجزاء المار ذكرها فيحدث بها اضطراباً والتهاباً واحتقاناً ويشعر المدخن بجفاف في الحلق وتهيج مزعج وخمول في ذهنه وخمود في قواه . واذا كان من المبتدئين يشعر بدوار ودوار وربما تقيأ وتفصد جسمه بالعرق يقشعر وتبرد أطرافه ويهت لونه ويصفر وجهه وقد يغمى عليه فترة قصيرة من الزمن . وهذه الاعراض لسوء الحظ لا تدوم سوى دقائق ولو استمرت وقتاً أطول لنشأ عنها في نفس المدخن زاجر يردعه عن التدخين ولو الى حين . ولكنه يعود الى التدخين والى مزاولته والتعود عليه . وبذلك يقل شعوره بتأثيره فيه بعدما تزداد اضراره في اعضاء الجسم على نسبة ما يحرقه منه . ولو اقتصرت أضرار التدخين على هذه الاعراض الاولية فقط فان امرها وصغر شأنها ولكن الذي يحدثه هنا في الخط الاول يحدثه اضعاف اضعافه في الخط الثاني الذي هو المعدة وبين المعدة والفم التجويف الصدري الذي يحتوي على القلب والرئتين . وتأثير النيكوتين فيهما ولا سيما في الاول اي في القلب خطير جداً كما سترى فيما بعد . واما تأثيره في المعدة فلا يختلف عن تأثيره في الفم مع اختلاف تفاعلهما . فتفاعل اللعاب قلوي كما تقدم وتفاعل عصير المعدة حمضي وأما كل النشوية التي تتحول الى مواد سكرية بالفم لا تتأثر بالفم في غير ما يتلقاها من القضم والمضغ ومفعول التدخين وأضراره في المعدة والفم وغيرهما من اعضاء الجسم يسير على نمط واحد لا تغير فيه أي أنه يشل كريات الأعصاب في غشاء المعدة كما شلها في غشاء الفم ويحدث تهيجاً في الأجزاء والأغشية التي يتصل بها ويقع عليها . ففي الفم يحدث اضطراباً في العقد النباتية ويقلل من افرازها ويصبح الفم بحالة جفاف يتعذر معه المضغ والازدراد وتفقد الشهية ويتغير تفاعل اللعاب تدريجياً في مدة التدخين والادمان عليه الى شبه حمضي ويتسبب عنه اضرار جسيمة في بناء الغشاء المخاطي والأسنان واللوزتين واللهوم والحنجرة وتتعطل وظيفة اللعاب كما تقدم

ذكره في النشويات فتنحدر هذه الى المعدة غير مهضومة وتترك فيها ضرراً ثقيلاً غير مرغوب فيه . ولا شك انها في تلك الحالة تسبب تيبساً واحتقاناً في مخرج المعدة فتضر فوراً حركته وبعطل افرازات غدد الغشاء المعدي كما تم في غدد الفم فضلاً عن تأثره المباشر من التدخين الذي يحدث فيه التهاباً حاداً وآلاماً مرتجعة لا تطاق . وقد ينتهي في الغالب بعد زمن قصير أو طويل الى احداث القرحة المعروفة بخطرها ووجاعها وسيان كانت من النوع الخبيث أو الخبيث فهي وخيمة العواقب في الحالين . وقد يصاب المدخن بالغلبون أو البهاق سرطان باحدى شفتيه والسفلى هي المختارة في أغلب الحالات . هذا بعض ما تخلفه تلك الغانية الصغيرة في حجمها والكبيرة في تأثيرها التي اتخذناها في بادىء الأمر للتسلية واللهو أو محاورة الآداب الاجتماعية في أثناء المقابلات والزيارات والنزهات والخلوات . وأما ما يحدثه التكونير في الأوعية عامة وفي أوعية القلب والقلب خاصة وأعني شرايين التاج (Coronary Arteries) وما أثبتته تجاريب العلماء في الحيوان والانسان فهو مخيف جداً أخشى على قلب تلك الفتاة الجميلة من الافصاح عنهُ والأدلاء به وهي التي شاءت ان تقلد الرجل في التدخين لتظهر بمظهر الفتاة المتحضرة أي شبك مودرن وليس لشيء آخر يدعو عليه لأن التدخين في ذاته يخالف طبيعتها تمام المخالفة في رائحته الكريهة وتأثيره الخطر فهو يحدث اضطراباً في الجهاز العصبي من الخير ان تبتعد عنهُ وتكون في منجاة منهُ تلافياً يظهر أثره عليها وهو من شأنه ان يناقض مزاجها اللطيف ويخرجها من نهاية خدرها ويقلل من قلة حياتها ويذهب بشيء كثير من أنوثتها ويدنيها بخطوات واسعة من أبواب اليأس والهرم والشيخوخة قبل الأوان . ولا أنكر عليها ان في الجلوس في مقعد الترام وغير الترام من المجالس العامة أو الخاصة واشعال السيجارة واطلاق سحب الدخان منها في الفضاء وسط طائفة من الرجال ظاهرة بديعة قد يكون لها وقع جميل خاص في نفسها لا في نفس الوسط الذي حولها . فانهُ ينظر اليها نظرة ازدراء ويرميها بالحمق والبلاهة ويحتقرها ويسيء الظن في كرامتها ويبحث عن البواعث التي حملتها على التباهي بهذا التقليد الضار في صحتها فلا يجد ما يسوّغ اقدامها عليه وتمسكها به سوى نزق الصبا وغروره والا فأي فائدة تجنيها من التدخين والعلم يقول — وقول العلم صدق لا مين فيه ولا شك في صحته — ان التدخين آفة مهلكة ليس فيه ما يفيد وهو فضلاً عن الأضرار التي تقدم ذكرها يعمل سمومه على احداث التصلب في الأوعية ورفع ضغط الدم عن مستواه السوي ويظهر في القلب اضطراب وخفقان وتضخم وسرعة في النبض مع تقطع وعدم انتظام وتصاب شرايين التاج بالتصلب هي الأخرى وبالسداد المكتسبة وتستهدف فتاتنا الى مرض الذبحة الصدرية وتعاني الربتان والخوصلات الهوائية والشعب الاهوالاً مصحوبةً بالسعال المزعج والربو الثقيل وتبدو على الجسم علامات

الضنك والهرم المكر ويتقوس قوامه ويذهب بن الوجه نضارتهُ وبشاشتهُ ويحل محلها التغضب والتجعد والنحس والمآسة والضجر فما يشابها من الزلات الشعبية والرذيلة وتبدو في أغلب الاحيان كأنها رجس فظ الطباع شرس الأخلاق فيه قسوة وخشونة وميل الى المشاكسة وخلق المنازعات بين الأهل والمعارف. ومن اضطربت أعصابه ساءت معيشته وعشرته . ورجائي بعد هذا الشرح والاسهاب أن تقلع تلك الفتاة عن التدخين في هذه اللحظة ولا تستمر فيه حتى يظهر عليها أثره الفاجع وتضاعفاته المهلكة وقبل أن يكتب لها الانتقال الى دار رفيق حياتها فتسعده بمحبتها وصفاء قلبها ولا تفكر عليه الحياة بالعلل والاسقام أو بما تجنيهُ له من بين هزال الجسم يتصيدهم المرض ويغتالهم الموت في اوائل حياتهم من غير كبير عناء . . . وان تتهض همتي لمقاومة هذه العادة واستئصالها من النفوس السقيمة بها واذاعة أضرارها الجسيمة بين الناس ولاسيما بين أترابها ومن تمتُّ اليهم بصلة ما . وبذلك تسدي الى انسانها أجل الخدمات وأنفعها واذا ما ضمنتُ وعدها بالكف عن التدخين ومعاونتها على محاربته ضمنتُ نصف النجاح. استغفر القابل ضمنت النجاح كله كاملاً ونلت خير مكافأة يتمناها خادم أمين

***

وأتقدم من ذلك الشاب الناعض والقي في أذنه خلاصة ماوصل اليه بحث العلماء في مضار التدخين وعواقبه . فالاستاذ بيرل ريموند الشهير توفر على درس تأثير التدخين عشرات السنين في مدى العمر ونشر رسالة ضافية في ٤ مارس سنة ١٩٣٨ ذكر فيها مئات الحالات التي درسها والنتيجة التي وصل اليها . وهي ان أعمار المدخنين أقصر من أعمار غير المدخنين وبين المدخنين بالذات تقصر مدى الحياة في المدخن على نسبة قدمه في التدخين أي بقدر ماهو عريق في التدخين يتناقص عمره في السنين . ونشر الاساتذة جان ركيش وفردريك دليوس وجوزاف ركسن رسالة في أكتوبر الماضي عن التبغ ومرض أوعية القلب Coronary Disease عرضوا فيها لدراسة احصائية أربعة آلاف حالة منها المريض بالذبحة الصدرية وبسداده الاوعية القلبية مع التدخين ومنها السليم من أمراض القلب ولكنها مريضة بعادة التدخين. وقد أثبت لهم البحث والدرس أن مرض أوعية القلب أكثرها حدوثاً بين المدخنين الذين دون الخمسين ويتضاعف ظهوره كلما نقص عمر المدخن. وبعبارة أوضح فقد وجدوا أن تأثير التدخين في أوعية القلب أكثره حدوثاً في الشباب الذين هم في سنّك منهُ في الكهول. ويقل تأثيره في الشيوخ أو بعد سن الخمسين فما فوق. ويقول الاستاذ موري لاشك في أن التدخين يعرض المريض المصاب بمرض أوعية القلب للذبحة القلبية المريعة . وذكر حالة طبيب يعالجهُ من ذلك الداء كان وهو يدخن يتنابهُ ذلك المارض المخيف ويذهب عنهُ ولا يعاوده عندما يكف عن التدخين وأن أكثر الناس

تمرحاً له وتأثراً به هم الذين تقل أعمارهم عن الاربعين والثلاثين والعشرين . ويتجلى خطر التدخين في المصابين بارتفاع ضغط الدم فانهم يتعرضون للذبحة والخفقان ما في ذلك شك

واهتمام العلماء بتأثير التدخين واقناعهم بأضراره الوخيمة يكاد يكون ماديا للعيان في كل أمة من أمم الأرض كما وان الشواهد على كثرة ضحاياه ملموسة الآثار في كل مكان . ومن الثابت القطوع في صحته ان الوفيات الفجائية بين العظماء والأدباء وغير العظماء والأدباء التي تفجع بها هنا وهناك ترجع معظم اسبابها الى مرض اوعية القلب الذي يعرض للمصاب الى تلك النوبات المزعجة كما مرَّ ذكره وتقضي عليه بين طرفة عين وانتباهتها . وليس بالبعيد بل هو في مرتبة اليقين أن يكون التدخين هو السبب الأول له او المحرض عليه . ولا اخالني بحاجة الى استعراض جميع اقوال العلماء والبسط في شرح اختباراتهم الكثيرة فهي على ضخامة عددها وتشعب مسالكها في مختلف نواحي البحث والاستنتاج متفقة بالاجماع على ان التدخين او بالأحرى التدخين آفة قتالة يجب ابطال استعماله واتخاذ الوسائل المشروعة للحد من ذيوعه وفرض الرسوم والضرائب الباهظة عليه وادغامه في سلك المورفين والهيروين وغيرهما من المخدرات وتكبيله بقيودها الصارمة الرادعة . ويقولون عند وقوع حوادث جنائية غامضة الأسباب فتش عن المرأة . وأقول والشيء بالشيء يذكر فتش عن السيجارة عندما يخطف الموت عزيزاً عليك فجأة فقد تكون هي السبب لا سبب سواها

***

وبعد فأرجو أن أكون قد وفقت الى إقناعك بصحة ما ألقيتُه عليك من نصائح بلم الله مبلغ إيماني بها وتقديري للعلم لها

وانهُ ليسعدني حقاً ايها القارىء الكريم أن أتلقى منك وعداً شريفاً بابطال التدخين اليوم بل في هذه اللحظة والوفاء به وان تنهض معي لمحاربة هذه العادة المقيتة واذاعة ما عرفته من اضرارها الخسيسة وعواقبها الوخيمة بين ذويك واصدقائك . وان تدعوهم الى مساعدتك في القضاء عليها واستئصال شأفتها

ويسرني ان اقضي اليك بذا لا شك انهُ مما يسرك وترتاح اليه نفسك وهو ان تعزم على تأليف رابطة من شباب مصر وفتياتها المثقفين ضد التدخين وعضوائها الخالي بيدان فم الخليج رقم ١٣ بالقاهرة ، وبكل مكان يقيم فيه عضو من أعضائها المنضمين اليها وهي ترحب كل الترحيب بكل اصيل يتطوع لنشر مبادئها وتحقيق أغراضها المنشودة وتتعهد لكل عضو جديد بموافاته بما يكون لديها من مطبوعات وتطعمه من نشرات ويريده من معلومات

امرأة أخرى . . . .

شبه قصة مصرية

بقلم : محمود كامل المحامي

هو — شاعر في الثلاثين من عمره

هي — فتاة في الخامسة والعشرين ظهرت ذات يوم في أفق حياة الشاعر

هي — ولكنني كنت اظن انك احببتني هو — من أين جاءك هذا ؟

هي — من اهتمامك بي . كان يبدو عليك كلما تحدثت اليك انك سعيد بهذا الحديث . لم تظهر لي يوماً ضجراً منه

هو — أين هو ذلك الرجل الذي يظهر الضجر من امرأة شابة جميلة في الأيام الأولى من تعارفهما ؟

هي — لقد بلغ من تعلقك بالحديث معي انك كنت تقرأ لي طائفة من شعر فرنسي تحبه

هو — اعتدت ان أقرأ مثل هذا الشعر لفتاة منذ بضعة أعوام فلم أطق بعدها أن اقرأ شعر الحب وحدي

هي — ولكنك لم تشر الى تلك الفتاة مرة واحدة في جميع أحاديثنا الطويلة

هو — كنت أتوقع هذا اليوم فلم يكن من السهل ان افتح لك مغاليق قلبي

هي — هل كنت تحبها ؟

هو — مرت من بعيد في أفق حياتي هي — كم مررت أنا ؟

هو — اذا شئت هي — أنت تخدع نفسك وتحاول خديعتي

هو — تظنين ؟ هي — اني واثقة هو — اذا كانت هذه الثقة ترضيك فعلي

هي — لست طفلة حتى تتحدث اليّ بهذه اللهجة الساخرة . اني استطيع ان اذكرك بأمور كثيرة تؤيد ثقتي بما قلته هو — مثلاً ؟

هي — لقد ذكرتني في الأيام الأولى لتعارفنا بالمرات التي وقع بصرك عليّ

فيها . مرة وأنا أتناول طعام الشاي مع ابن عمي في شرفة «جروبي» . وأخرى وأنا جالسة في شوب البحر على شاطىء «جليم» . وثالثة وأنا أعدو لاهثة لأودع أخي في محطة الاسكندرية

هو — ماذا تنتظرين من رجل يجد أمامه امرأة تصارحه بأنها كانت تتوق الى معرفته منذ بضعة أعوام وأنها ظلت مترددة في التحدث اليه حتى استجمعت شجاعتها ؟ أليس من القسوة ان يجابهها بأنه لم يكن يشعر بأن لها كياناً يستوقف نظره ؟

هي — ولكني فهمت اني كنت أثير اهتمامك كل مرة رأيتني فيها

هو — لم تخطئي كثيراً في ذلك الفهم ولكن . . . هي — ولكن ماذا ؟

هو — ولكني قبلك اهتممت ذات يوم بركن نصف مظلم في أقصى حديقة مورو بالجزيرة .. ركن منزوٍ لم يكن الكثيرون من زوار الحديقة يلتفتون اليه . مقعد منحوت من جذع شجرة توت . وسقف من أغصان الكرم الرفيعة وسياج من العشب النامي يحجب ضجة الطريق عنهُ . ولقد بلغ من اهتمامي بذلك الركن أني تعمدت السؤال عن البستاني المعهود اليه به . فعرفت اسمه . واكتسبت صداقته . واوصيته به خيراً وكنت كلما مررت بذلك الركن أجزلت للبستاني العطاء لكي يعنى به العناية التي ترضيني .. كثيراً ما ذهبت الى ذلك «العش» وتفقدت جوابه . وأزلت بمنديلي الرماد المتراكم على مقعده كأني كنت أتوقع أن يكتشفه غيري . وقد حدث ما توقعته . مررت ذات يوم فوجدت عاشقين شابين جالسين متلاصقين على المقعد . لمحتهما من خلف العشب النامي فابتسمت ثم عدت أدراجي ولم أدخل حديقة مورو بعد ذلك قط

هي — ماذا تعني ؟ انك تهذي ، أي تشابه بيني وبين العش المنزوي في تلك الحديقة ؟

هو — اكتشفته كما اكتشفتك . وأوحى اليَّ بكتابة بعض قصائدي التي أحبتها . كما أوحيت اليَّ انت بكتابة البعض الآخر

هي — ولكنك تركت ذلك العش عندما اتضح لك ان غيرك قد اكتشفهُ . فلمَ تتعمد ايذائي بهذا الكلام ولم يبلغك عني انني نكثت عهدك مع رجل آخر

هو — علمت أن غيري قد اكتشفك قبلي هي — « حانقة » ماذا ؟

هو — لا تثوري .. انا تقابلنا لنفترق . لمَ لا اصارحك بكل شيء ؟

هي — ولكن هذا كذب

هو — ليس من السهل أن تعترف المرأة بماضٍ كانت تخفيه !

هي — لم تطالبني يوماً بأن أقدم لك حساباً عن هذا الماضي

هو — ولكنك تركتني أتهم الأماضٍ لك ! هي — ثم . . .

هو — ثم عرفت أن غيري قد سمع منك الأمانات الشاكية التي سمعتها منك ولذعت أذنيك العبرات الساخنة التي جباني آخر ذات ليلة حتى الصباح أنظم قصيدة خيل اليَّ ليلتئذٍ انها أروع قصائدي هي — خيل اليك !

هو — أجل . فقد كرهت تلك القصيدة ولو استطعت أن أجمعها من المكتبات وأحرقها لما ترددت هي — ولِمَ ؟

هو — لأن الوحي الذي ألهب روحي ليلتئذٍ لم يكن نقيًّا

هي — اني سعيدة اذ أسمع منك هذا الكلام . انك تحببني الى حد انك تثار من ماضي قبل أن تعرفني هو — واهمة ! هي — لا . بل واثقة

هو — لن أبخل عليك بأن أدعك اليوم وأنا أحدث اليك حديث الوداع تتزين بهذا « الوهم » ولكنني أقسم لك اني كنت أرجو وأنا أكتب قصائدي عنك ان يراك الناس بعد قراءتها ويشيرون اليك إذ يتبينون نوعاً أنك (وحي) تلك القصائد . أما اليوم فان ما يؤلمني هو شعور الذين عرفوك قبلي بنفاهة تلك القصائد أنهم يقرأونها ساخرين . انهُ شعور بالخيبة لا بالغيرة كما خيل اليك

هي — لست أول شاعر ألهبت روحه امرأة أحبت من قبل وأحبها الناس

هو — ولكني آخر شاعر يجمع بقايا امرأة ليكي ينصب من هذه البقايا تمثالاً يحرق تحت قدميه البخور ويخدع الناس فيجمعهم ليشتركوا معه في ذلك العمل الذليل. لقد أبيت ذات مرة ان أعهد بدور البطولة في قصة لي الى ممثلة من الممثلات المعروفات اللاتي اعتاد الناس ان يصفقوا لهنَّ. وان يملأوا أجواء المسارح بأصوات الهتاف بأسمائهنَّ . وقد ظللت أبحث حتى « اكتشفت » الفتاة التي تصلح في نظري للقيام بذلك الدور . لم يكن أحد قد سمع باسمها، كانت مغمورة وسط دنيا من النفاق تبذله الجماهير للمعروفات من الممثلات . فلما ظهرت في قصتي ونجحت ظللت أشعر منذ ذلك الوقت اني صاحب « الفضل » في نجاحها . وكنت كلما اتصل بي

خير توفيقها ازداد احساسي بأني اكتشفت شيئاً لم يكن غيري قد التفت اليه من قبل . لا يهمني الآن ماذا تفعل . فقد علمتها عندما عهدت اليها في قصتي ، كيف تحب كما أريد أنا ان تحب النساء . وكيف تثار كما أحب أنا ان تثار النساء

هي — ولكنني لست ممثلة . . انك تنسى نفسك

هو — أنت التي تنسين . . انك لم تتقدمي اليَّ الاَّ لأني شاعر تقرأين له وتودين ان تعرفي كيف يعيش حياته الخاصة . . هأنذا أقولها لك في صراحة . . اني أعيش هذه الحياة قصة . . بدأت فصولها يوم خفق قلبي بأول خلجة شعرية أحياناً تبكي وأحياناً أخرى تطلق الضحكة المرحة من أعماق روحي . . والمرأة التي تكون الى جانبي يجب ان تعرف أنها تلعب الدور الاول في تلك القصة . . فاذا كان قد سبق لها أن لعبت ذلك الدور في حياة رجل آخر فاني أشعر على الدوام بخشيتي من شيء ما . . كلمة واحدة قد تكون لا تزال عالقة في ذاكرتها من « الدور » الأول تعود الى التفوه بها في غفلة منها أمامي . . « حركة » صغيرة كان يقضي الدور الاول بأن تؤديها تخطىء فتكرر أداءها وهي الى جانبي . . « اسم » كان عليها ان تردده وهي « تعيش » في الدور الاول وربما خانها لسانها فتطلق يردده مرة أخرى بحكم العادة والتكرار . هذه الخشية تجعلني لا أستطيع ان أتمدد على الارض بعيداً عن العالم ، وأدعها تعبث بأصابعها في شعر رأسي حتى أنام وهي ساهرة الى جانبي تنتظر يقظتي . وتحلم في اليقظة أحلامي في النوم . . يخيل اليَّ دائماً انها أثناء نومي ستخطىء فتطلق تلك « الكلمة » أو تؤدي تلك « الحركة » أو ترديد ذلك « الاسم » فأهب مذعوراً كأن رجلاً آخر أقبل ليقذف في وجهي بماض طويل لم تتصل بي جميع تفاصيله

هي — « في صوت مرتجف تدنو منهُ » ولكن ذلك الرجل لم يقبل بعد . .

هو — أعرف انهُ مقبل عما قريب . . وهذا هو الذي جعلني أنفر منك . وأحقد على اليوم الذي عرفتك فيه هي — من أين جاءك انهُ مقبل عما قريب ؟

هو — انت هي — « تشهق » انا ! كيف ؟

هو — « يبتسم ابتسامة صفراء » — ليس هذا حال من تحب حبها الاول

هي — ماذا تفعل لو انها كانت تحب ذلك الحب ؟

هو — لا تتكلم بهذا الثبات ولا تتجلد امام « رجلها » هذا الجلد . . ولا تقاوم عشرات الايام لكيلا تراه . . بل تتفقده اذا غاب وتبكي بين يديه اذا غضب . . وتسقط مغشيًّا عليها في موقف الوداع . أترين ؟ انك وقفت هذا الموقف من قبل . أجبت ، وافترقت ، ولذا تتحدثين اليَّ كأنك تلقين « كلام » دور قديم سبق لك أن مثلته

هي — « استجمع قواها » ولكنك تتحدث كأنك تودع حبك الاول

هو — هذا هو الفرق بيني وبينك . ولو لم أحبك في كل مرة كأني أحب للمرة الاولى وأودع للمرة الاولى لما استطعت أن أكتب شعراً

هي — اذن كنت تخدعني ؟

هو — نحن الاثنان خدعنا الناس . اذ قدمنا لهم ذلك الشعر الذي يصف غرامنا . ذلك الغرام الذي سرعان ما انطفأ . ان الناس قد شهدت اشتعال ذلك الحب ولكنهم لن يشهدوا انطفاءه هي — ولمَ ؟

هو — لانني لو فعلت لكان واجباً ان أذكر انك اعتدت ان تشهدي مواقف الوداع . وليس في هذا ما تزهى به امرأة مرَّت ذات يوم في أفق حياتي

هي — « باكية » والآن ؟ هو — لا شيء . . الوداع

هي — ولكن عينيك تلمعان بالدموع

هو — هكذا اعتدت عند ما أشهد مصرع غرام في قصة حب تعرض أمامي على خشبة المسرح . او عند ما اقرأ حوار موقف وداع في قصة ما

هي — اذن فما كان بيننا كان « حبًّا » هو — أجل . . ثم انطفأ

هي — ربما كنت مخطئاً . اقترب . انظر الى عيني . . ربما تبيَّنت انهُ لا يزال يشتعل ، أو انهُ اشدُّ اشتعالاً من قبل . هو — من أنت حتى أنظر الى عينيك ؟

هي — كيف . ألا تعرفني ؟ هو — لا . . انني لا أعرفك

هي — ولكنني . أنا . أنا التي أوحت اليك بأعز قصائدك الى روحك وأقربها الى أرواح الناس

هو — من قال لك ذلك . . انك واهمة . . « يضحك ضحكة جافة » انها امرأة أخرى . امرأة لا مضي لها . . اذكريها بالخير ياسيدتي كما سوف اذكرها . الوداع

علاج لنزف الدم

باستخراج من السمك

منذ بضع سنوات كان هنريك دام من أساتذة جامعة كوبنهاغن في دنمرك يجرب التجارب في افراخ صغيرة (كناكيت) دست حديثاً يعلم كيف تطعم المواد الشحمية . وفي ، باح أحد الأيام وجد عدداً منها نافقاً فأجال أصابعه بين ريشها فرأى في سطح جلدها شبكة من الأوعية الدموية الصغيرة تكونت منها نقاط من الدم تسرب اليها من الباطن فنزف دمها حتى ماتت وكان يغذيها بطعام جاور لجميع اصناف الفيتامين اللازمة . ففحص الدم فوجده خالياً من «البروثرومبين» وهو مادة من المواد الاربع اللازمة لتخثر الدم . فأدخل في طعام الافراخ كبد الخنزير البري والبرسيم الحجازي فوجد أنهما تشفيان الميل الى النزف فيها فسمى هذه المادة فيتامين K . وفي الوقت عينه كانت تجارب مثل هذه تجري في جامعة كليفورنيا على يد هرمان الكويست فوجد أن هذا الميل الى النزف في الافراخ يشفى باطعامها سمكاً نيئاً فاستدل بذلك على أن بكتريا التفن والفساد هي التي ولدت فيتامين الدكتور دام صاحب التجارب الاولى المذكورة سابقاً

واتفق يوماً أن طالباً في كلية الطب من جامعة مدنت لويس اسمه مكي قرأ أمام جمع من زملائه رسالة خصت فيها الامتحانات في الافراخ وكان بين الحضور الدكتور دويزي رئيس مكتب الكيمياء الحيوية (البيوكيمري) فبلغ من اهتمامه بها أن جمع معاونيه الأربعة في مكتبه وبينهم مكي وقال لهم ان لا بد من العمل معاً على عزل الفيتامين K على غير ما يعلمون عنها هي فائدته وأي شيء يمكن ان يعمل به . وعهد الى أحدهم واسمه تاير في تربية ٣٠ الف فرخ وألى مكي في فحص طعام السمك الفاسد الذي يقدم الى الأفراخ ليعلم محتوياته والى بكلي وهو الثالث في تحليل البرسيم والى مالاكوكوديل ويجلسياس في درس الموضوع من الوجهة الكيميائية وكان هو مبتدعها . وبدأ هذا البحث سنة ١٩٣٦ . وكانت المهمة الأولى الاهتداء الى مادة تحل الفيتامين من البرسيم والسمك الفاسد فاهتدوا اليها وهي أثير البترول — سائل يستعمل في التنظيف الجاف

ومرت الايام والباحثون المذكورون يصلون شيئاً فشيئاً الى غايتهم المنشودة حتى وجدوا أن ما اهتدوا اليه يمنع النزف في افراخهم التي يجربون التجارب فيها فعادوا في انفسهم « ألا نعمل

هذه افواد هذا الفن في الانسان » . فجاءت الاجوبة بالايجاب من أماكن متباعدة في اميركا وبريطانيا في اوربا وهي أن الامتحانات السريرية والجراحية في كوبنهاغن دلت على أن فعل الفيتامين K في بعض العمليات الجراحية عجيب

يظهر أن هذا الفيتامين هو مادة تشبه الشحم . ومعلوم أن الشحم يهضم في الامعاء بمساعدة الصفراء التي تفرزها الكبد فاذا اصيبت الكبد وتوابعها بمرض ما لم يهضم فيتامين K وتعذر وصوله الى الدم ففقد الجسم قدرته على تكوين البروترومبين واذا فقد هذا مات الانسان بالنزف لأقل جرح فضلاً عن عملية جراحية

وعليه يجرع الرجل الذي يراد عمل عملية جراحية له شيئاً من فيتامين K ومن املاح الصفراء المساعدة على الامتصاص فيعزز الدم بعوامل التخثر ويمنع نزفه حتى في اكبر العمليات الجراحية

واهتم الباحثون باستخراج الفيتامين نقيًّا وبعد تجارب دامت سنتين استخرجوا زيتاً أصفر اللون قريباً كل القرب من الفيتامين النقي فجربوه في الأفراخ فلم يأت بنتيجة نافعة فملوا ذلك بان الفيتامين النقي شديد التأثر بالنور وان نور الشمس والنور الصناعي يقتلانه . فأكبَّ الباحثون على استخراج الفيتامين النقي ففازوا وبينهم بعد جهد سنة كاملة تالهم فيها البرحاء . فاذا هو زيت لبوني اللون يستعمل في الاكثر في حوادث الولادة

ومن أغرب ما عرف عن المواليد حديثي العهد بهذا العالم أن مقدار البروترومبين فيهم قليل جداً لأسباب مجهولة فأصغر جرح يصيبهم عند الولادة او في الايام الاولى منها يستنزف دمهم فيموتون فكان الغرض الاصلي من هذا المشروع الطبي معالجة هذه الحالة . والعمل سائر على ما يرام وفي بعض الاحوال تجرع الحوامل جرعات من الفيتامين في شهر الحمل الاخير وفي غيرها تجرع المواليد جرعات احتياطية

ومن الشواهد على مفعول هذا الفيتامين ان طفلاً ولد وبعد ولادته بثلاثة أيام وجد دم في أنفه . فاستخرجت أظفرة دم من قدمه للبحث فوجد أنها تخثرت بعد ١١ دقيقة من استخراجها وبقي دم الجرح يسيل ١٢ ساعة فجرع مقداراً صغيراً من الفيتامين فوقف النزف من قدمه وبعد مضي ٩٠ دقيقة قصر وقت التخثر الى النصف ثم الى الوقت العادي وهو ٣ دقائق

ويقول أحد هؤلاء الباحثين ان الفيتامين لا يقطع النزف في الحالة المعروفة في اسرة أسبانيا الملكية لأن النزف في أعضائها ناشئ عن أسباب أخرى . وهذا النزف معروف باسم « هيموفيليا » وهو مرض وراثي نادر الوجود

وقد التقطنا ما تقدم من مقال بعنوان « الواجب ان لا يموتوا » والضمير عائد هنا على عدد كبير من الاطفال الذين يموتون بعد الولادة بنزف الدم . والرجاء ان هذا الفيتامين يكون خير علاج لهذه الحالة ولغيرها من حالات النزف

الفن والمجتمع

الدكتور ابراهيم ناجي

سادتي الأفاضل : المشكلة ليست في هل الفن لنفسه أو للمجتمع ، انما المشكلة في كلمة الفن وكلمة المجتمع . سنحاول اولاً أن نعرف ما هو الفن وثانياً ما هو المجتمع . فاذا وفقنا في التعريف فقد يمكن ان نصل الى نقطة يتلاقيان عندها ، في البدأ او في النهاية او في الوسط ، فاذا تلاقيا ، فالواحد منهما للآخر ، ما في ذلك جدال ، واذا لم يتلاقيا ، فليمض كلٌّ في طريقه وليعش كلٌّ لذاته ، وليفنَ كلٌّ لنفسه ... ماهو الفن ؟؟ لقد صارت هذه الكلمة غامضة مبهمة وغدت تطلق على أشياء كثيرة لاعلاقة لها بصميم الأمر وجوهره

الحياة فن ، والتفكير فن ، والعمل فن ، حتى أن ألدريه موروى في كتابه عن فن الحياة ، يعقد فصلاً خاصًّا عن فن التشيب L'art de vieillir

ثم تدخل المطاعم والمقاهي والصالونات الفخمة ، فتجد القاعد المنوعة والأنوار المختلفة ، وتجد الأثاث مرتباً بشكل « فني » ، وحتى المشمة تجدها وقد أقيمت على قاعدة بشكل «فني» ثم تدخل بيوت السمرة وذوي الجاه فتلتقي عيناك بالوحات الزيتية ، والصور الملونة الألوان ، وترفع عينيك الى السقوف التي تغطي النوافذ ، وفي الرسوم التي في السقف ، والى النقوش التي على الجدران والأبواب فتجد كل هذا معدوداً من « الفن » ...

أما الطراز الاول فمناه ان الفن هو الاتقان . ومعنى الطراز الثاني ان تراكم الألوان واختلاف الأضواء والحصول على الموحات الغالية والقاعد الأثرية ، تدعى فنًّا ، والصواب انها مظهر من مظاهر الترف ، وعنوان على بذخه ، ودليل على ان صاحب هذا الشيء او ذاك متميز بمكانه الاجتماعي .. وليس الاول فنًّا ، ولا الثاني ، والفن من هذا وذاك بريء ...

وفهم الفن على هذه الصفة مفسدٌ لأصوله ، مضيعٌ لجوهره ، ذاهبٌ بمائه

والفن على حقيقته شيء واضح لا يجب ان يكتنفه الغموض ، ولا يجب ان يخلط بالاتقان المحض ، ولا بالالوان البراقة والاضواء الخادعة ، والظلال الكاذبة ...

لقد ذهبت استقصي جميع تعاريف الفن ، عند المفكرين والفلاسفة ، فأحببت أن أعرض على حضراتكم خلاصة تلك التعاريف وفي هذا العرض لذة وفائدة

أولاً التعريف العلمي عن شيلر وداروين وسبنسر

(١) الفن نشاط خاص منشؤه الحاسة الجنسية والميل الى اللعب ومصحوب بتأثير سار في المجموع العصبي

فسار منشؤه الحاسة الجنسية فيكفي للدلالة على ذلك الالوان البديعة والزينة الرائعة التي تكسو اعضاء الحيوان ، وتكون على اتمها في الربيع وتلك الاغاني والاغاريد المنطلقة من حناجر طائفة عاشقة في مواسم التناسل . . . أما تأثيرها السار في المجموع العصبي فذلك ما لا جدال فيه

(٢) التعريف العملي : هو التعبير عن العاطفة بواسطة الخطوط او الالوان أو الحركات أو الاصوات أو الكلمات

(٣) تعريف سنلي : وهو احدث التعريفات « هو الاتيان بأمر ثابت او عابر يحدث السرور في نفس المحدث لذلك الأمر ، مع تأثير سار في الناظرين أو المستمعين بلا اعتبار لأي فائدة شخصية » وجميع تلك التعاريف على محاولتها الالمام مع الايجاز تتحدث عن الفن من ناحية السرور الحادث ، المتجرد من الغاية ، وقد اشار التعريف الاول اشارة جانبية الى الجمال ، ولم يشر اليه الثاني ولا الثالث ، وبقي امر هام جداً لم يشر اليه احد من هؤلاء السادة ، وهو الغاية التي يرمي اليها الفن في حياة الانسان والمجتمع

وسأفصل هذه النقطة الاخيرة ، حيث انها في رأيي كل شيء ، كل الموضوع . اما الآن فلأتابع عرض تعاريف المفكرين الذين لهم أثر بعيد في تاريخ الفن او فلسفته

يقول هيجل واتباعه : الجمال هو اشراق الفكرة من خلال المادة . والجمال هو جمال الروح ، والروح لا بد لها من مظاهر مادي ، والفن هو الذي يجلو هاته الفكرة ، لتعبر عن اهم مشكلات الانسانية وأعلى حقائق الروح

فالحق والجمال عنده شيء واحد ، غير ان الحق هو الفكرة مستقرة ، والجمال هو الفكرة مجلوة ظاهرة ، والفن هو الذي يعبر عن الحق والجمال وهما واحد . . . ويجيء تلميذه فيسي ، يضيف ان الفن هو مزج الذات بالموضوع وادماج الفرد في الكل ، أي جمع شمل المتناقضات وهذا هو الجمال . واما مدرسة هربرت فتقول ان الجمال ما هو الا نسب . . . وعلى الفن ان يكتشف هذه النسب . واما شبنهاور فيمزج الجمال بالارادة ، قائلاً ان للارادة طبقات مختلفة والتجرد من الذات لتأمل تلك الطبقات يحدث الشعور بالجمال ، والفنان هو الذي يملك القدرة على التأمل ، والتروح الى الطبقات العالية !

اما شيلر فيذهب مذهب جيرمان آلن وهربرت ، فيقول ان الفن نوع من اللعب ، ففي الحيوانات السفلى يتصرف كل عضو الى المحافظة على الحياة ، والنوع ، اما في الانسان فيتوفر شيء دائماً اما من القوة البدنية تتصرف الى اللعب ، وإما من القوة الروحية فتتصرف الى الفن وبقيت مدرسة بوجارت وهي المدرسة التي كشفت بآرائها ماقي المدارس ، وأصبحت آراؤها هي الشائعة . ان الجمال — في رأيها — هو بكمال الخلق منظوراً من خلال الحواس ، والحق هو الكمال منظوراً من خلال العقل ، والخير هو الكمال منظوراً من خلال الخلق ، ... والجميل هو ما تتناسب فيه علاقة الحق بالخير ، وعلاقة الجزء بالكل ، والفن هو الذي يكتشف أحسن هذه النسب وهي على اتمها في الطبيعة وأروع الفنون بحاكاة الطبيعة ... وملخص هاته الآراء ، ان الفن اما ان يكون شيئاً نبيلاً طيباً نافعاً للخلق ، واما أن تكون غايته الجمال فحسب ، واما ان يكون معبراً تعبيراً صادقاً عن الواقع . ولماذا كل هذه التعاريف ؟ أما شخصياً أجد الفن أبسط وأعلى من كل ذلك وهاته البساطة هي سر عظمته ومنعته . ان العظيم عظيم ببساطته ، قلة تعقيده ، ونافع عن غير عمد ومؤثر بدون ان يتكلف التأثير . فعلاد البحث في الفن عن صلته بالخير والحق ، وهما من سلبه وفي صميمه . هذا اذا اخذنا نستعرض الفن وكيف نشأ ولأي غرض ، واذا فهمنا الحدود التي تفصل الفن العالي عن الفن التجاري والرخيص ..

أقدم آثار الفن وجدت في الكهوف وقد تركها الانسان الاول كانت نحتاً أو نقشاً في الصخر أو من الصخر ولما اخترع الانسان الكلام عبر بالصوت وفي خلال جميع العصور عبر بالحركة وهي الرقص . كان الفن في أول أمره تعبيراً ، وكان تعبيراً عن عاطفة . وكانت تلك العاطفة حباً أو اعجاباً أو عبادة . كانت قرباناً لحبيب أو معبود أو اله ...

على أن ذلك الانفس ، ذلك الفنان الكبير ، تلك الرقصة المكونة من ايقاع متكرر ، تحمل آلاف المعاني ، تحمل اختصار الاحساس الشامل في صورة مركزة ، تحمل في طواياها دفع قوة خالقة مسيطرة ، وتحمل كذلك عفوية ساذجة ، وضايع جيل

ان ذلك الدافع الاول ، ما زال يتكرر حتى الآن في الفنان ، اني لأتمثله الآن وأشرحه لكم كشاعر ، قد تمر بي الايام متشابهة رتيبة ، كل يوم كغيره ، وكل منظر لا يتغير عن سابقه ، ثم التقي بشخص ، أجد فيه معنى من معاني الجمال ، أحس بقوة خارقة فوق اختياري تدفعني الى التعبير . هذه القوة تسمى بالانكليزية Creative-impulse — قوة الخلق ، وهناك خلق حقيقي ؟ هل نحن نخلق حقيقة ؟ أنا في الواقع أتصيد الجمال في عالم مشحون بالجمال تمر به العيون ولا تفهمه ولا تلتفت اليه . أجل نحن نعبر عن معنى خاص ، على فكرة مستقرة ، فنأخذها لنجلوها ونكسوها كالعروس ، ثم نقدمها قرباناً لمن نحب ... أخذنا جمال العالم فاختصرناه في

لفظة أو أمير أو بيت ، طويناه الشامل وجعلناه خاصًّا ، احترنا جمالا مستمدًّا من جمال العالم المثبت العام ، وفرحنا به كما يفرح الطفل باشتقاء لعبة من مجموعة لعبه ... ثم قدمناها لمن نحب أو نعبد. فاذا كانت فنًّا — اذا كانت خلقاً — انمحت الحواجز التي بيننا وبينه — نفذنا الى قلبه — تمزقت الحجب — اندمج الواحد في الآخر ، ذلك هو الفن ...

***

كان أناتول فرانس يستمع الى شاعر ... فلما انتهى الشاعر من القائه قال لمن حوله ان هذا لا بد أن يكون رائعاً ، اني لم أفهم شيئاً مما يعبر به عند الى قلبي فارتجفت ، والفن ارتجاف ... l'art est tremblement

منذ سنوات سافرت لأزور معرضاً للفن في فينيسيا. وكنت أدمن التأمل في الرسوم والتماثيل لأقف على سر الفن العظيم . فقد مرت عليَّ أيام قبل ذلك وأنا مزعزع اليقين . فرأيت في مدخل المعرض تمثالاً يدعى «الحنان» Tendresse لمثال مجهول . يا للفن ويا للسماء اي حنان على أي ثغر وفي أي امرأة انها تحدثك وتناجيك وتطوف حولك بروحها ، وترحب بك وتضمك وتسفيك وتؤويك وتستبقيك ... أجل والله صحت بي كل هذا فكنت أجلس عند قدميها عندما يفتح المعرض وأنصرف عندما يطلقونه لأعود في اليوم التالي الى ذراعي «الحنان» ...

ساءلت نفسي طويلا ما في هذا التمثال ؟ فاذا أجبته ؟ رأيتُ لا أعرف القواعد الفنية التي تشرح لك فاذا هذا جميل وذاك قبيح ، لا أعرفها ولا أريد أن أعرفها فحسبي انه نفذ الى قلبي وخاطبني ، ان مصدره قلب مابض مشابه لقلبي ، واحساسه احساسي وخواطره خواطري ، لذلك نفذ اليَّ نيًّا بلا استئذان ... وآيته تلك البساطة البادية فيه ، وتلك اللغة العامة الشاملة التي يخاطب بها الفن الفرد العادي ، أنهُ من عواطفه لشأنه ومن احساساته نبع ، ومن قلبه تفجر ، ولذلك يعود اليه كما صدر عنه ... ذلك هو الفن الكبير : اللغة العامة الشاملة ، التي تستقي من روح الانسان ومن روح الطبيعة ، لتخاطب الفرد وتؤدي اليه رسالة القلب وحديث العاطفة وهي لا تحسن تأدية الرسالة إلاَّ اذا قوي الدافع ونبل الغرض وصفا المنبع . إن الجمال في الواقع نتيجة لكل تلك العوامل مجتمعة . وليس محدوداً ولا معروف المقاييس ، وانما هو الأثر العام الذي تحدثه تلك اللغة العامة السماوية . هذا هو الفن وتلك رسالته

***

ما هو المجتمع ؟ المجتمع طبقتان طبقة السراة والحكام ، وطبقة الأفراد العاديين . أما الطبقة الأولى فليس لي حديث معها ، وانها وان كانت شجعت الفن وقامت له بدور اخاذ في كثير من الاوقات فاني لا أؤمن بذلك التشجيع ولا تلك الحماية فانهما مظهران من مظاهر الوجاهة والسلطان

والفن ليس هؤلاء السادة ، وان كان يرتبط بقصورهم ، ويعرض في دورهم ، ولكنه عندهم كذلك مظهر من مظاهر الأبهة . بقي الرجل العادي الذي هو أنا وأنت ، نحن أنا وأنت ، آلامنا وأحساساتنا وآمالنا ، حبنا وبغضنا ، أوهامنا الرديئة وأوقات مسراتنا ، المجتمع حياتي وحياتك أيها الصديق : حياتي وحياتك تضيق يوماً وتتسع آخر ، وتشرق فيها الشمس حيناً وتغرب حيناً . وهي مادته التي يتسلمها الفنان ومنها يأخذ مادته موسيقى أو رسماً أو نحتاً أو شعراً ، ثم يردها الينا ، فاذا كانت منا وردّت الينا فنحن نفهمها بلا واسطة ولا مترجم وهي بقدر ما تحدث فينا السرور والراحة بما تثير عنه من خوالجنا ، فهي تملأنا الرشاقة في الحنان ، والجلال في الأنوار ، والابداع البديع في الرقص ، وترينا كل هذا فنراه مكبراً بأعيننا لأنه صادر عنها ، وعندما ينفذ الفن الينا ، ننقل اليه منه عدوى تسمى عدوى الفن أي أننا بقدر ما يعدينا الفن بهمنا ويسخنا ويدفعنا الى العمل الطيب النبيل السامي الذي عنه صدر ومنه استقى . . .

فالفن هو تلك الرسالة التي ذكرتها ، والمجتمع هو أنا وأنت ونحن وآلامنا نلهم الفنان ونعطيه مادته ، فكيف لا يكون الفن للجميع هذا هو المجتمع ، فالفن منهُ وله . والآن ما هي خدمة المجتمع ؟؟ وماذا يريد بها ؟؟ خدمة المجتمع قسمان ، قسم مادي ، وقسم غريب عن المادة ، أما المادة ، وأقصد بالمادة ذلك الشيء الذي يجعلنا نشبع أجسادنا وشهواتنا السفلى وهذا الشيء يمكن الحصول عليه من أي طريق غير الفن . أما الفن الذي يؤدي الخدمة المجتمع ، فانما يؤدي خدمة روحية ، واذا قلت روحية فقد قلت اخلاقية ، لان نمو الروح ينشأ نمواً على الاخلاق ، يظللها يجملها ويكملها . . . ماهي هاته الخدمة الروحية ؟؟ انهُ من الثابت الذي لا جدال فيه ، ان الحياة امواجٌ من السرور والألم ، وان الألم هو الموجب ، والسرور هو السالب ، ومن الثابت ايضاً اننا نعيش بعقلين الواعي ، والباطن ، والواعي هو مركز التفكير والارادة ، وهما سبب الألم والمتاعب فهو موجب ، أما الباطن ، فهو موطن المسرات ، فهو السالب ، أي هو الوطن الذي تهرب فيه النفس من موجب التفكير والارادة الى العالم السلبي الذي نرجع فيه الى خيالنا وشعورنا وأحلامنا . والفن الكبير يخاطب هذا الجزء من نفسنا ، يتجاوز الوعي ، يتخطى التفكير والارادة ، يتكلم مع موضع الراحة والسرور والرضى وكل فن يخاطب العقل ليس بفن

من هنا ينشأ السرور الذي هو غاية الفن ومبتغاه ، الراحة الكبرى التي ذكرها أبو تمام وشوقي ، وعرفاها بالالهام الشعري العجيب

هذه هي الخدمة الأولى الخدمة الكبرى للفن ، وحسبكم ذلك الأثر ، أثر الكون والرضى

والسرور والانشراح ، أثر الجد في كده ، ثم الجد في التفكير والارادة وما يجلبان من شقاء وآلام . وتلك الفن لكي يحدث ذلك الأثر يجب ان يكون متميزاً بوحدة الفكرة ، وتركيز الغرض

خذوا فن العمارة ، على كل بناء تجدون يدعى فنًّا ، خذوا الهرم ، خذوا هياكل النكرنك خذوا معابد آبائنا المصريين ، هل تحسبون الرهبة التي تعتريكم وتحن نرى اولئك العجوس خلال هاتيك الهياكل ، مجرد أمر عارض ؟ كلاَّ ، ان روح هاته الهياكل أو المعابد ، الرهبة ، وكل حجر في أي موضع ، وكل نقش في السقوف أو الجدران ، حتى الاعمدة ، انما هيئت لتحمل روح الرهبة ، أي أن الفن يجب أن ينقل روحاً خاصًّا ، أن مجرد الثقل من الطبيعة ، مجرد البناء ، مجرد الشدو بالاغنية ، ان لم يحمل روح الغرض ، لا ينفذ الى أرواحنا . وهذا هو السر في أن أكثر المعروض اليوم على أنظارنا ، لا يمكن أن يخدعنا بالفخامة ولا بالالوان ولا بالاضواء . ان النيل لا يعبر عن شيء بمجرد رسمه كنهر يجري . وان الاشجار التي على شاطئيه أن رسمت كمجرد اشجار لا تعبر عن شيء . أعطني المصري الصميم الذي يعطي ماء النيل روح مصر الجليلة العريقة ، والاشجار روح مصر الوديعة الرقيقة ، اعطني هذا واني أسجد سروراً لفنه

***

اذا نفذت هاته الروح الى روحي ، فقد حدث ما قد سبق الى الفنان الحق وهو بصوره ، حدث ما يسميه شوبنهاور حقًّا زواج الفن ان الشيء يعدو أنثى ، والفنان يكون ذكراً بكل معنى الرجولة ، ويعقب ذلك زواج ، ويعقبه حمل فيلاد لخلق !

فاذا كان غرض الطبيعة في الأصل خدمة المجتمع بواسطة انتشار النسل ، العمران وازدهار الربوع ، واذا كانت الطبيعة تتعابل من أول الخليقة على ذلك الأمس وتنصب له الشراك وانفخاخ وكل حيوان انما يعمل لذلك التناسل ، كل حي يعمل له ، فاذا فرغت بعد ذلك ، انصرفت الى زواج أعلى ، وظل الخلق جارياً ولكنه من طراز سماوي . وغايته أروع من ذلك الغرض الأول ، ان الغرض الأول يقتضي الجري والسعي ، والتعب والكد والجهد ، وأما الغرض الثاني أي زواج الفنان بموضوعه ، ثم اندماج الفنان في الناظر الى أثره الفني ، — غرضه ، ذلك الخلق المتكرر والميلاد المتصل ، خلق المعجزات ، التي تخاطب الاحساس والشعور والخيال ، وتثبت بدورها ان الله القدير لم يخلق شيئاً عبثاً ، وأن الله الذي خلق هذا المجتمع ، لم يخلق الفنان عبثاً ، وانما ليخدم المجتمع خدمة تعلو بمادته عن الطين ، وتصعد روحه الى آفاق النور وأبراج الاسرار الالهية وماذا تريدون خدمة للمجتمع بعد ذلك . . . .

المجهر الكهربي

يكبر الاجسام ٣٠ الف ضعف

اخترع نوع جديد من المناظر المكبرة او المكرسكوب الذي اصطلح على تسميته بالمجهر وهو جهاز تستخدم فيه الكهربات بدلاً من أشعة النور العادي والحقول المغناطيسية عدسات بدلاً من الزجاج

وعندنا الآن ثلاثة انواع من المناظر المكبرة او المجهر: الاول المجهر العادي الذي يستخدم فيه النور العادي وأقصى تكبيره لا يزيد على الفي ضعف

والثاني المجهر الذي تستخدم فيه الأشعة التي وراء اللون البنفسجي من الطيف الشمسي. وهذه الاشعة هي ذوات امواج قصيرة جداً حتى لا نراها ولا نرى بها الاجسام ، ولكنها تؤثر في الالواح الفوتغرافية . ونستطيع تصوير الاشياء به مكبرة خمسة آلاف ضعف

والثالث المجهر الذي نحن بصدد الكلام عنهُ وتستعمل فيه أمواج أقصر من الامواج البنفسجية فيكبر الاجسام ١٠ آلاف ضعف الى ٣٠ الفاً . وأكثر من هذا ان الصور تكون به دقيقة التفاصيل حتى يمكن تكبيرها مائة الف مرة الى مائتي الف وحتى تمكن رؤية الاجسام التي حجمها جزء من ٥٠ من التي تمكن رؤيتها الى الآن

وقد تولى صنع هذا المجهر شركتان كهربائيتان كبيرتان الواحدة في المانيا والأخرى في أميركا . وانضم الى الدكتور زوروكين في الشركة بعض الخبراء ، وهم الدكتور مارتون البلجيكي وجيمس هايار من جامعة تورنتو وارثر فاندن المختص بالمباحث الكهربية العملية

ومن عادة العلماء التحفظ في اعلان ما يخترعون او يكتشفون واذاعته على الملأ وهذا هو الشأن في هذا المجهر ولكن اخباره تشرب شيئاً فشيئاً من الأماكن التي يجرب فيها . فقد صورت به بعض انواع البكتيريا التي لم تصوَّر الى الآن . وقد ظهر أن لجراثيم الحمى التيفودية اهداباً متموجة بارزة من أجسامها . وظهر ان لجراثيم السعال الديكي تركيباً غشائياً عجيباً لم يعرف كنهه حتى الآن يمكن الانتفاع به عملياً

وقد تقاطر العلماء من المختبرات الصناعية في كل ناحية لمشاهدة المناظر في كبدن من ولاية

بيوجرزي الأميركية ، وهم عادوا مختلفه ليفحصوها ثم عادوا من حيث أتوا وقد ملئوا عجباً مما رأوا . وعلم من الغابا حيث صنع منظار الآخر أنهم انتهوا اليه صانعيًا في تحسين صناعة الأحذية . وهم يدرسون الآن طبيعة غبار الناجم آملين أن يخبروا بذلك مشكلة صحة المعدنيين

ومنظار هذا المجهر المعروف باسم المجهر الكهربي يبسط على عظم ما يرجونهُ منهُ في توسيع دائرة علم الانسان بالكون . فهو أشبه الأشياء بعمود طولهُ ستة أقدام ونصف . وفي باطنهِ عند رأس العمود سلك دقيق من التنجستن فاذا أطلق عليهِ تيار كهربائي قذف أمواجاً من الكهربات تتأثر بالقوة المغناطيسية . وهذه الأمواج تجمع في بؤرة . ويجب أن يكون باطن العمود خالياً من الهواء حتى تسيل تيارات الكهربات بسهولة غير مصطدمة بدقائق الهواء . والعجيب أنهم صنعوا جهازاً مفرغاً من الهواء ولكنهم يستطيعون ان يدخلوا فيهِ الشرائح لفحصها بغير ان يدخل الهواء

ويقدر العارفون لهذا المجهر قدماً عظيماً في كشف مكروبات الامراض التي لم تر الى الآن بما عندنا من انواع المجهر المعروفة مثل مكروب الانفلونزا والزكام العادي والسرطان . وفي رؤية الفيتامينات والأزمات وجزيئات المادة وهذا بعيد الامكان الآن ولكنهُ مرجح نظريًا . ومن شأن علم جزيئات المادة أن يعجل تقدم الكيمياء والعضوية لأن العلماء يوفرون برؤية الجزيئات كثيراً مما ينفقونهُ من النصب والوقت في تبين تركيب الجزيئات لمجاراته بالتأليف الكيميائي . ومعرفة تركيب الجزيئات العضوية أفضت الى النايلون والحرير الصناعي والمطاط الصناعي وأشياء كثيرة غيرها

وهذا المجهر يولد تياراً قوتهُ من ١٠ آلاف فولط الى ٩٠ الفاً وموجة طولها ٥٠ انجستروم (الانجستروم جزء من عشرة ملايين المليمتر) أي نحو حجم الاشياء التي نرى الآن بهِ

***

إن جميع الذين أدهشتهم آيات العلم التي كشف عنها المجهر يسألون محيرين لماذا عجز علماء البصريات عن صنع مجاهر كبيرة قوية تستطيع ان تنفذ الى أدق الاجسام المادية . فهم يقرأون عن الارتفاء المعظم في صنع المراقب الكبيرة بحيث تستطيع عدساتها الضخمة ان تجمع قدراً من الضوء أكبر مما تستطيعهُ العدسات الصغيرة وبذلك يتمكن الراصدون من التغلغل في استكشاف أقصى الاجرام السموية وأخفاها ضوءاً . ثم يطالعون ان هنالك من الاجسام المادية ما تحير أقوى المجاهر المعتمدة الآن عن تبينهِ كالاحياء الدقيقة التي تحدث طوائف من الامراض والجزيئات العضوية ودقائق التركيب المعدني فيسألون لماذا لا يلحق صناع المجاهر بصناع المراقب ولكنهم اذا طالعوا المؤلفات الخاصة بهذا الموضوع زال عجبهم لانهم يدركون حينئذٍ ان المجاهر التي

تعتمد على الصورة لها حدود في تكبير الاجسام. فأطول أمواج الضوء المرئي هي امواج اللون الاحمر وطولها نحو جزء من ٤٠ الف جزء من البوصة وأقصرها أمواج اللون البنفسجي وطولها نحو جزء من ٨٠ الف جزء من البوصة . لايخفى أن تحت الاحمر أمواجاً أطول من أمواج اللون الاحمر وان فوق البنفسجي أمواجاً أقصر من اللون البنفسجي . والقاعدة العامة في تعيين قدرة المجهر على تبين الاجسام أنهُ اذا رسم خطان أمام عدسته وكان البعد بينهما جزءاً من ٨٠ الف جزء من البوصة — أي نصف طول موجة اللون الاحمر — استطاع المجهر أن يتبين المسافة بينهما

فاذا كانت المسافة بينهما جزءاً من ١٦٠ الف جزء من البوصة — اي نصف طول موجة اللون البنفسجي — استطاع المجهر ان يتبين تلك المسافة اذا كان الاعتماد على اللون البنفسجي وحده أي اذا كان اللون البنفسجي وحده ممكوساً عن السطح الى العدسة

وهنا يسأل القارىء : لماذا لا نستعمل الاشعة التي فوق البنفسجي فنستطيع ان يتبين بها أجساماً أصغر من الاجسام التي نتبينها بالاشعة البنفسجية

والجواب ان العلماء فعلوا ذلك فتبينوا بالتصوير لا بالعين عقد الصبغيات التي تعتبر عوامل الوراثة ولكن استعمال أمواج أقصر من أمواج الاشعة التي فوق البنفسجي متعذر لانها لا تستطيع ان تخترق زجاج العدسات . فيسأل ثانية ولكن الأشعة السينية أقصر أمواجاً الف مرة من أمواج الضوء وتخترق الزجاج

فاذا استعملت فأنا نستطيع ان نتبين بها أدق الاجسام المادية . والجواب ان العلماء لم يتمكنوا حتى الآن من تكسير هذه الاشعة كما يكسر الزجاج أشعة الضوء . وانف فمن المتعذر استعمالها للتكبير بالعدسات وهي قاعدة المجهر

وعند ما كاد العلماء يقنطون من الفوز بطريقة تمكنهم من صنع مجهر مكبر كما يريدونهُ طلع عليهم البحاثة زوورزكين باقتراح استعمال الكهربات بدلاً من امواج الأشعة الضوئية لتكبير الأجسام الدقيقة . فبدلاً من استعمال أمواج الضوء المعكوسة عن سطح جسم دقيق ثم تكبيرها باختراق العدسات وجمعها للحصول على شبح الجسم الأصلي مكبراً ، تستعمل تيارات من الكهربات معكوسة عن الجسم ثم تعرض لحقل مغناطيسي وكهربائي فتنحرف وفقاً لرغبة الباحث وتجمع ثم تحوَّل طاقتها الى ضوء بتوجيهها الى لوحة تتلألأ بسقوط الكهربات عليها فيرتسم شبح الجسم الأصلي مكبراً ، وقد اطلعنا في المجلة العلمية الشهرية على صورة « بكتيريوم الصديد » مكبراً ٢٠٤٠٠ ضعف بهذه الطريقة ثم كبرت بالتصوير الضوئي الفوتوغرافي الى ١٥٠ الف ضعف الجسم الاول

فصول من تاريخ العصور الوسطى

النظم والطرق التجارية

بين الشرق والغرب قبل الحروب الصليبية

بقلم ر. التميمي

ان الحملات الصليبية المتحمسة التي انقضت على بلاد الشام أواخر القرن الحادي عشر قد سبقت في هاتيك البلاد حركة تجارية مهمة . ففي سنة ١٠٩٧ نقلت اثنتا عشرة سفينة حربية من جنوة عدداً كبيراً من وجهاء النصارى ومحاربيهم ليناصروا الحركة الصليبية في نواحي انطاكية ثم تبعتها سفن أخرى مشحونة بالأسلحة والذخيرة وصادف ان وصلت الى مرفأ يافا سفينتان من هذه السفن فأنزلت أسلحتها وذخيرتها الى البر ثم نقلها الصليبيون الى جبال القدس واستخدموها في حصارهم لتلك المدينة المقدسة

ولقد كان من عادة الصليبيين ان يكافئوا رجال هذه السفن مكافآت مختلفة من أهمها منحهم قطعاً من الأراضي في قرى الشرق التي دخلت في حكمهم لبنشيء أولئك الرجال عليها مبانيَ ومخازن لحفظ أمتعتهم وبضائعهم التجارية وبيعها . وهكذا شرع في تأسيس مستعمرات طليانية في العراق السورية . فتجار جنوة كانوا قد ساعدوا بلدوين على امتلاك رسوف وقيسارية وعكا فكافأهم هذا بأن منحهم تلك الأراضي المملوكة وثلث واردات الجمارك بعكا وسمح لهم باستيراد البضائع الى العراق السورية دون ان يدفعوا ضرائب جمركية . وقد تمتع هذا الامتياز الذي نالته تجارة جنوة على تجارة كنيسة القيامة بالقدس بمخلد له . وقد ساعد تجارة مدينة جنوة كثيراً في تأليف امارة طرابلس الافرنجية أيام ريموند صاحب طلوشة وحفائده من بعده

وساهم البنادقة في الاستيلاء على مدينة صور وقدموا قرضاً للصليبيين سنة ١١٢٤ وكانوا بحاجة شديدة اليها

ولم تتأخر مدينة برسليا في تقديم المساعدة للصليبيين والدفاع عنهم وذلك إما بتقديم الذخائر والأسلحة الضرورية وإما بمنح القروض فنالت مقابل ذلك حق الاعفاء من الضرائب الجمركية وامتلاك أحياء خاصة في بيت المقدس وفي سائر الثغور السورية

ويجب ان يضاف الى الامتيازات التي كانت تمنح للطليان حق امتلاك أراضٍ زراعية واسعة

في الريف السوري على ان يزرعها فلاحون سوريون تحت اشراف زعماء منهم وكان يدعى الواحد منهم بالرئيس . ولم يكن لمالك الطلياني الاقطاعي يعنى باستغلال تلك الأراضي الزراعية بل كان عليه ان يسلف المزارعين بذوراً . ان يراقب نمو الزرع فاذا ما حل موسم الحصاد يأخذ لمالك الطلياني ثلث المحصول او ربعه ويترك الباقي للفلاح . وهذا بدوره كان يشترط عليه ان يقدم له في الأعياد النصرانية دجاجة واحدة او عشر بيضات او نصف قرص من الجبن عن كل فدان من أراضيه المزروعة وعليه أيضاً ان يقدم نفسه ومواشيه للقيام بخدمات اقطاعية أخرى اضافية لمالك الارض الطلياني ولاسيما في أيام الحرب

***

ومن الأمور التي استوقفت الأنظار كثيراً وأدت الى مشاحنات كثيرة بين الصليبيين ما كان يمد اليه بعض البحارة الفرنج من تهريب الأسلحة الى الأمراء المسلمين فان هذا التهريب كان يغضب رجال الحكومة اللاتينية ويحملهم في كثير من الاحوال على اتخاذ تدابير قاسية لمنع ذلك التهريب . وحينما استفحل الأمر وضعت الحكومة الصليبية اللاتينية تشريعاً خاصاً جاء فيه ان كل من يبيع خصوم الصليبيين حديداً او اسلحة او خشباً لبناء السفن او سفناً جاهزة للسفر وان كل من يشتغل لحساب المسلمين ولمصلحتهم اما بصفة ربان سفينة او بحري يعاقب بالحرمان من الكنيسة وتصادر املاكه وتسلب حريته الشخصية فاذا وقع اسيراً في قبضة نصراني حق لهذا ان يعتبره رقيقاً يباع ويشترى . على ان صرامة هذا التشريع لم تحل دون الاستمرار في تهريب الاسلحة وسائر المواد الضرورية للحرب الى معسكرات المسلمين حتى انه اعترف بهذا التهريب وصرح به ونص على وجوب السماح به في معاهدة عقدت بين سلطان مصر وجمهورية بيزا الطلياني وقد كان المسلمون يزاولون بهذه الضرورات والتشريعات الصليبية ويواصلون شراء ما كان يعرضه عليهم المهربون الفرنج من الاسلحة والذخائر ليستخدموها ضد الفرنج في ساحات القتال

وحين بدأ الزحف المغولي على الديار السورية خلال القرن الثالث عشر فتحت طرق جديدة للتجارة لم تعرف من قبل ومع ان الطرق البرية كانت طويلة ومرهقة فان اتساعها قد ذللت بعض التذليل بانشاء محطات للاستراحة في مراحل مختلفة منها . ومن أهم هذه المحطات مدينة تبريز الايرانية التي اضحت مركزاً مهماً للتجارة وكانت البضائع تنقل اليها من مرفأ أياس الواقع على خليج الاسكندرونة الخاضع حينئذ لامارة ارمينيا الصغرى . ولقد راجت الحركة التجارية في أياس خلال القرن الثالث عشر لان البابا ظل يصدر الأمر تلو الأمر لمنع الفرنج من التعامل مع تجار المراقىء الاسلامية فانشىء خط بحري جديد بين مرفأي انطاكية وياس مارًّا بجزيرة قبرص

فأخذ عرب سوريا يأتون الى اياس بمقادير عظيمة من البضائع أهم القطن الذي كانوا يزرعونهُ في وادي العاصي فيزكو فيه . وظلَّت الحال كذلك حتى وقعت الحرب بين ممالك مصر وامارة ارمينيا الصغرى المسيحية فهاجمت اساطيل مصر مرفأ اياس مراراً الى أن امتلكه الملك الناصر محمود سنة ١٣٤٣ فانقطع عنهُ تجار الفرنج وفقدت مزينه كرفأ مسيحي

***

وابتداء من القرن الرابع عشر اشتد ساعد الاتراك العثمانيين في آسيا الصغرى وأخذوا يستولون على بلاد الامبراطورية الرومية الواحدة تلو الاخرى فاضطر التجار الفرنج ان يهملوا الطرق التجارية البرية المتقدم ذكرها وان يعودوا الى الاتجار مع سوريا ومصر فانتعشت الحركة فيهما وعاد النشاط التجاري الى سالف عهدهما وظلَّ الامر كذلك حتى ايام اكتشاف الطرق البحرية الى ديار الهند فصارت السفن تغدو وتروح بين الشرق والغرب عن طريق رأس الرجاء الصالح

واكبر وأهم مرفأ مصري هو الاسكندرية . على ان دمياط كانت أيضاً تتمتع بشهرة تجارية واسعة ولا سيما في بيع السكر فلقد كانت تجارتهُ رائجة بسبب قصب السكر الذي كان يزكو في دلتا النيل . ولقد كانت السفن التجارية تغدو وتروح بين الاسكندرية وسائر المدن المصرية الاخرى حينما كانت هذه المدينة متصلة بالنيل بترعتها الشهيرة . ولقد أصلح الملك الناصر محمود هذه الترعة ونظفها من الرمال التي كادت تسدها سنة ١٣١٠ وظلت صالحة للملاحة نحو خمسة وعشرين عاماً ثم اهمل أمر مرافئها وتنظيفها فامتلأت بالرمال حتى غدت غير صالحة للملاحة الاَّ في أيام فيضان النيل أي من (يونيو) الى اوائل اكتوبر من كل سنة وقد ظلت الحال كذلك في تلك الترعة واستفحل إهمالها حينما دخلت مصر تحت الحكم العثماني فتراكمت الرمال فيها وتعذر سير السفن فيها ثلاثة عصور فلما انتشل المصلح الكبير محمد علي القطر المصري من خموله وبدأ فيه عهد النهضة الاقتصادية نالت ترعة الاسكندرية نصيبها من العمران وعادت الى سابق عهدها من النشاط والحركة التجارية ولم تكن البلاد المصرية خلال القرون الوسطى تصنع كل ما تحتاج اليه فكانت تسد حاجتها بوساطة التجارة . فخشب الجهز والنخل لا يصلح البتة للتخشيب والصنع الأثاث فكان المصريون يستوردون الخشب الجيد من جزيرتي قبرس وكريت ومن مرفأ اضاليا الواقع على شاطىء آسيا الصغرى الجنوبي وكانوا يستوردونه ايضاً من اوربا رغم المنع البابوي . أما المعادن الثمينة والمفيدة والفرو والصوف فكان يؤتى بها في مقادير عظيمة وبما ان القطر المصري فقير بالنباتات الزيتية ولا يزرع فيه الاَّ النسمم جيء بالزيتون اليه من سوريا ومن البلاد الاوربية

وعدا كل ما تقدم فان التاجر المصري كان يستورد الوقود والصلب والزيت والأرز والجوز والبندق والعسل والأقمشة والفصيات والدور وقد سمت شهائم خاصة لهذه التجارة فكان يؤخذ عشرة في المائة ضريبة جمارك ثم يسمح للتاجر بنقل بضاعته الى مخزنه أو بيعها في دائرة الجمرك حيث يشرف موظفان كبيران على عملية البيع هذه فالموظف الأول هو ترجمان بين التاجرين الاجنبي والمصري وأما الثاني فكان يقوم بوظيفة الدلال وكان عددهم يزيد وينقص وفقاً لاشتداد الحركة التجارية وركودها وقد كان من المقرر أن البيع يكون باتاً اذا عقده الدلال بحضور الترجمان وبحضور بعض الشهود وقد أبت الحكومة أن تسهل كل التجار أعمالهم فسمحت بانشاء مستودعات لحفظ البضائع التي تكون قيد البيع وقد كان لكل أمة منها ملاءة تجارية بالقطر المصري تخزن فيها هذا النوع وكانت دائرة الجمارك تتعهد بالمحافظة على تلك المخازن . وعدا ما تقدم كان هناك كلاء تجارة في المرفأ المصري وظيفتهم تسهيل مصالح التجار والمحافظة على حقوق مواطنيهم منهم وهم الذين يرشدون مواطنيهم التجار الى دقائق الطريقة الجمركية المصرية

وبعد ظهور الدولة العثمانية بقوتها المعروفة وتغير بعض الطرق التجارية البرية كما تقدم القول بدأت منزلة بيروت التجارية تظهر وتنمو رويداً رويداً وهي ميناء سوريا الوسطى بما فيها مدينة دمشق وفيها مرفأ محفوظ من رياح البحر الشديد وعواصفه . وفي القرن الخامس عشر كانت البندقية ترسل أساطيلها التجارية الى بيروت والى طرابلس وهذه الاخيرة انتشت كثيراً بسبب انسداد مرفأ اللاذقية بالرمال وتعذر رسو السفن الكبيرة فيه وقد حذت حذو البندقية سائر المرافىء الطلبانية وصقلية ومرسيليا وهكذا نشأت حركة تجارية اقليمية بين شرق البحر المتوسط وغربه بعد ان كانت عالمية بسبب اكتشاف الطرق البحرية التي قام بها مغامرون بحريون من البرتغاليين أواخر القرون الوسطى

***

ولقد ألفت الطبقات البورجوازية أواخر القرن الحادي عشر في بعض المواسم الطلبانية مجالس بلدية تحت رآسة أشخاص من الأعيان تسمى الواحد منهم باسم قنصل وذلك احياء لذكرى هذا اللقب الذي كان لصاحبه شأن كبير في التاريخ الروماني أيام ازدهار الامبراطورية وعظمتها ولقد وجد هؤلاء القناصل في مدينة بيزا منذ سنة ١٠٨٧ وفي مدينة جنوة اعتباراً من سنة ١٠٩٨

وحين أنشأ الفرنج امارتهم اللاتينية الاقطاعية في الشطوط السورية جاءت جاليات طلبانية وفرنسية وسكنت مدن تلك الشطوط وأخذت تتمتع بامتيازات خاصة نالتها من تلك الامارات

لقاء خدمات كثيرة قدمتها لهنّ ومن أجل تلك الامتيازات امتلاك الجهاد برمتها في المدينة بمنحة وإقامة موظفين منهم لجباية أثمانه الخاصة بالجاية على الامتيازات الممنوحة . وكان هؤلاء الموظفون يدعون قناصل ثم أطلق على القاصد اسم قنصل وفي سنة ١١٧٩ قدر ولاس الجالية البرية إمكان يدعى قنصل وبعد قليل أحبّ التجار ان يلحوا شيئاً جانبهم بسوريا وجودها فسعوا لتحقيق هذه الغاية مقيماً عاصمة لهم وهو في مرتبة قنصل عام جعلوا مركزه عكا . وقام بالعمل نفسه جاليات جنوه وبيزه وقنصلين لا وحداً على ان يوحد أعمالها ويحافظ على اسم فيكونت مع لقب القنصل الجديد . وعلى أثر ذلك عينت جمهورية بيزا ثلاثة قناصل سنة ١١٩٢ للنظر في شؤون أفراد جاليتها بسوريا . وفي سنة ١٢٤٨ عدلت تلك الجمهورية عن تعيين ثلاثة قناصل واكتفت بقنصل واحد جعلت محل اقامته عكا وهكذا أقامت مدن فلورنسة وناپولي ومرسيليا قناصل في عكا وصور والاسكندرية وأقامت مدينة موتيليه قناصل في كل من الاسكندرية وعكا وطرابلس وفرس . وقد نالت رهبنة الاسبتارية لمدن الآخر الذكر فأقامت وكلاء لها في كل من الاسكندرية ودمياط والقدس والرملة . وكان لأهل قطلونية قنصل عام في عكا . وكلاء في كل من بيروت ودمشق وفيافغوسطة الفرنسية

***

كان لهؤلاء الوكلاء حالات خاصة في أيام المماليك فكان لادارة الجمارك فنادق تجارية خاصة يحق للتجار الأجانب نزلت فيها وحفظ بضائعهم وكان للبنادقة كنيسة وحمام في الاسكندرية وقد منح لهم بتعاطي المسكرات وبيعها في بلاد المسلمين وكان المالك العادل الأول يستقبل القناصل عشر مرات في السنة الواحدة وكان يحق لكل قنصل خلال هذه المقابلة أن يرفع شكاوى جاليته وامتيازاتها . وكان المماليك يمنحون وكلاء الدول الاجنبية منحة سنوية تقدر بما مائتا دوكة تؤخذ من واردات الجمارك ، ينقص عليها وعلى كيفية دفعها في المعاهدات التي كانت تعقد بين مصر وسائر الدول والجمهوريات الأجنبية رغم ان مبدأها يتنافى مع استقلال الدولة الأجنبية . ومن السهل جداً أن يفهم أن هذه الحالة كانت سبباً في حمل وكلاء الدول الأجنبية في متناول الحكومة المصرية ففي كثير من الأحوال كانت هذه تعتبرهم رهائن عندها ومسؤولين عن كل عمل عدائي تقوم به دولتهم تجاه مصر وقد يتفاقم الأمر بين الطرفين فيأمر السلطان بحبس الوكيل وضربه أو قتله عند اشتداد الخلاف وهكذا ظل امر القناصل والوكلاء الى أن وضعت مبادىء الحقوق الدولية ففصّلت الأعمال والواجبات التي يضطلع بها القنصل في البلاد الاجنبية

فلسطين ر . التيمي

الموارد الطبيعية

وتأثيرها في الحضارة والسياسة والحرب (١)

١ — البيئة الطبيعية والدولة

اذا تلفتنا في ظاهرات الكون الى بعدها الرئيسي وجدناها جميعاً طبيعية واجتماعية ترتدّ في أصلها الى تحوّل الطاقة الطبيعية . وظاهرات نشاط الدولة ليست بشاذة عن هذا الحكم . وليس في علم السياسة ناحية أجمع للعناية وأجدر بالنظر وأمتع للنفس في التحليل من تتبع تأثير البيئة الطبيعية في نشوء الدولة وتحولها ، وتبيّن القواعد الأساسية لخطط السياسة التي تختطها في السلم والحرب . والبيئة الطبيعية تسهم رئيسان في بعثها الحي السياسي ولكنهما غير منفصلين ، بل هما أبداً متفاعلان ، وأعني الشعب والأرض التي يقطنها . فالانسان نفسهُ جزء من الطبيعة ، فأصلهُ ونشوءهُ وانتشارهُ في الأرض وتفرقهُ سلالات وشعوباً ، وتركيبهُ الجسماني والعقلي ، كل ذلك متأثر بعوامل البيئة التي تحيط به من كلّ جانب . وكل دولة جماعة من الناس متصفة بصفات جثمانية وعقلية ، تربط بين أفرادها صلات اجتماعية معينة ، وتقطن بقعة من الأرض يتصف هواؤها بدرجات معينة من الحرارة والرطوبة ، وأرضها بخواص متفاوتة من الخصب والثروة المطمورة فيها . فالجماعة تؤثر بارتقائها العقلي والاجتماعي في البيئة التي تعيش فيها ، والبيئة تؤثر من ناحيتها في الجماعة واتجاهها السياسي والاقتصادي والاجتماعي

البيئة الطبيعية قوامها عناصر متعددة هي : أولاً شكل سطح الأرض وما فيه من جبال وأودية ، وأنهار وسواحل ، وسهول ونجود ، وقفار وبرار . وثانياً طبيعة الجوّ . وثالثاً موارد الأرض من زراعية ومعدنية . ورابعاً اوصاف الطبيعة بوجه عام . وكلّ من هذه العوامل كان له تأثير عظيم الشأن في طبيعة الاجتماع السياسي وتوجيهه ، ولاسيما في العصور البدائية ، عند ما كان العقل البشري لا يزال في مهده ، وقبل أن ينفتح عن أزهار العلم . حتى بعد التقدم العلمي العظيم في العصور الحديثة بقي الانسان خاضعاً لعوامل البيئة الطبيعية ، على الرغم من اتساع قدرته على تبديلها بعض التبديل ، وتحويلها بعض التحويل وفقاً لغرضه ومشتهاه

ان شكل سطح الأرض التي تقطنها جماعة من الناس ، بشمل الجبال والأنهار والبحار التي فصلت بقاعاً عن بقاع ، وقامت حوائل في العصور الأولى دون اتصال جماعات الناس التي تعيش في كنفها . ومن هذه البقاع ما كانت تحيط به حدود طبيعية كالجزائر البريطانية يحيط بها البحر ، وشبه الجزيرة الايبيرية ، وشبه الجزيرة الايطالية ، يحيط البحر بمعظمها والجبال المنيعة بالباقي . ففي داخل هذه الحدود الطبيعية نشأت أمم تختلف في طبيعة وحدتها الداخلية عن أمم نشأت

(١) محاضرة لرئيس تحرير المقتطف في نادي الشبيبة بالقاهرة في ١٠ مارس ١٩٢٦

في شعوب أوروبة الصحيحة . وهذه الأمة التي تألفت من شعوب شتى يسير في تميز جسم الدولة ، لأن الشعوب كانت تميل الى التعايش في بقعة تحميها الحدود الطبيعية من غارة جيرانها عليها . فتتيح لكل شعب منها فرصة التعاون ، لأهداف حيوية مصالح عامة تشمل جماعته كلها فتنشأ الوحدة عن ذلك وهي أساس الدولة . وليس من المصادفة ان الدولة في الصين تشمل مساحات واسعة الارجاء ، وكذلك في روسيا ، والولايات المتحدة الاميركية . ولا من المصادفات ان اليونان من قديم الزمان الى حديثه دولة صغيرة المساحة ، ولا من المصادفات كذلك ان اوربا لم تجمع قبلاً في دولة واحدة ، على الرغم من مساعي قيصر أو شارلمان أو نابوليون . أما وقد أصبحت العوامل الاجتماعية والاقتصادية والعقلية في العصر الحديث شديدة التأثير ، فمن الجائز أن تتغلب على الحوائل الطبيعية فتشمل أوربا في نظام من التعاون ولكن ذلك لن يكون بالقوة الغاشمة ولا على أساس استعباد شعب لشعوب

وحجم الدولة يؤثر في اتجاهاتها السياسية ، فاتساع الامبراطورية الرومانية أدى بتقاليدها الجمهورية وعهد الحكم الاركزي واستبداد الامبراطورية . واتساع الدمقراطيات الحديثة اقتضى قيام النظم النيابية فيها ، لأن الدمقراطية المباشرة كما كانت في مدن اليونان متعذرة في مساحات كبيرة

ثم أن موقع البقعة التي تقوم فيها الدولة وأوصافها الجغرافية ، تمس نوع صلتها بالعالم الخارجي . هل تعيش بمعزل عن العالم ، أو هل تكون صلاتها بجيرانها صلات تعاون وسلام أو صلات تنافر وخصام . فالولايات المتحدة الاميركية ما فتئت حتى عصرنا هذا تميل الى العزلة لأن محيطين كبيرين يفصلانها عن أوربا وأفريقيا من ناحية ، وعن آسيا من ناحية أخرى . ولولا الرجة التي أحدثتها الحرب الدائرة الرحى الآن ، وارتقاء اساليب المواصلات الحديثة ووسائل التقلقل الداخلي السياسي الاقتصادي التي اتقنها الوطنيون الاشتراكيون وطبقوها ، لكان من المتعذر في نظري ، أن تتحول كتلة الشعب الاميركي وتمثليه هذا التحول السريع الى ادراك أن السلام العالمي لا يتجزأ . ومع ذلك لا يزال فريق منهم — وان كان صغيراً — يأبى أن يفتح عيونه على هذه الحقائق . يقابل هذا أن أمة اليونان في العهد القديم ، كانت تقطن ارضاً ردمها الجبال الواقعة في شمالها وشمالها الغربي عن الاتصال بما وراء تلك الجبال ولكن تضورها وخلجانها وجزائرها المتعددة فتحت لها آفاقاً تطل منها على مسالك البحار ، فاتصلت بسائر الامم عن طريقها فاتسعت تجارتها ، واستمرت سواحل البحر المتوسط والبحر الاسود . وبريطانيا المنفصلة بالبحر عن القارة قام فيها اسلوب من الحكم خاص بها ، وانشأت تجارة بحرية واسعة ، ونمت اسطولاً لحمايتها ، وزرعت جماعات من ابنائها ، في بلدان نائية متفرقة على سطح الأرض ، فنمت وارتقت ، وأصبحت طائفة منها دولاً مستقلة

ولكن ما تكسبه الدولة القائمة في قلب القارات ، من حماية الحدود الطبيعية ، تخسر شيئاً

يقابله بما يشعر فيها من روح العزلة وميل الى الاستقرار ، فيصعب على شعبها الامتزاج بالشعوب التي تجاوره وراء الجبال والانهار ، ويتعذر عليه ان يرى ما يراه في شؤون الحياة ، فيضيق النساون بينها ، ويقل الاتصال ، فيضعف التوليد والابتكار ، والابتكار سر الارتقاء . واذا كانت الحدود الطبيعية بحاراً ، فان الدولة تصبح معتمدة على اسطولها واستمرار قدرتها على الاحتفاظ به . فاذا مرّ بها تيار التحول ولم تجاره ، تعرّضت للسقوط ، وهذا كان مصير اسبانيا . إن امتناعها عن الامتزاج باوربا بفعل قيام الجبال على حدودها الشمالية ، أفضى الى ركودها الفكري ، أما اعتمادها على مستعمراتها فقد جعل بقاءها مرتبطاً بقدرتها على الاحتفاظ بأسطول متفوق . فلما اندفعت في اوربا تيارات فكرية جديدة ، وضعفت قدرة اسبانيا البحرية ، مالت رويداً رويداً الى الانحطاط

ولا يخفى ان الحركة في الطبيعة والاجتماع تميل دائماً الى الاتجاه حيث تلقى المقاومة عل أقلها . فجبال البرتغال الى الشمال والشمال الغربي جعلت اتصال اليونان الأول بالامبراطوريات الشرقية . وروما اتجهت غرباً لأن جبال الالبين كانت حائلاً دون اتصالها اولاً باليونان . فكأن اليونان وروما كانتا واقفتين ظهراً الى ظهر . أما اليونان فاضطرت بفعل هذا الوضع الجغرافي لأرضها ان تصطدم اولاً بجيوش حضارات قديمة ، واذا استثنينا فتوحات الاسكندر ، فقد كانت في معظم تاريخها القديم حاكفة على نفسها ، فأبدعت ما أبدعت في العلوم والفنون . وأما روما فاصطدمت اولاً بشعوب دونها حضارة ونظاماً ، فكان ذلك سهّل طريقها الى الأمبراطورية وما تركته الأمبراطورية في الدنيا من آثار القانون الروماني

ويضاف الى الوضع الطبوغرافي ، حالة الاقليم ، ولكن حالة الاقليم قلما تنفصل عن حالة التربة . وعادة يقال بوجه عام ان الاقليم المتناهي في شدة الحر وشدة البرد ، لا يؤاتي نشوء الطبقات العليا من الوان الحضارة واشكال الحكم . فالنور الباهر المنعكس عن مفاوز الجدب ، والليالي القطبية الطويلة ، ووهج الشمس في الصحراء ، والبطائح التي يتولد فيها البعوض في المناطق الاستوائية ، عوامل تحد من النشاط الاجتماعي فتحول دون قيام الهيئات السياسية والاجتماعية القوية . وجميع الدول الكبيرة نشأت في مناطق معتدلة ، حيث الهواء متصف بدرجات معتدلة من الحرارة والرطوبة ، وان كان هناك فئة من الباحثين تميل الى القول بان الاتجاه في قيام الدول القوية ، من المناطق المعتدلة الشمالية الى التي تليها شمالاً

وقد أشار مؤرخ الحضارة « بكل » الى ان ظاهرات البيئة الطبيعية تؤثر في نشأة الانسان الفكرية والخلقية والفنية . ففي البلاد التي تكثر فيها الزلازل والأعاصير والبراكين او الجبال الشاهقة والأنهار الكبيرة المتدفقة يغلب الخيال على العقل ، والخوف على رغبة الفهم ، فينصرف المرء عن البحث والتجريب ، ويعوزه الاعتماد على الذات ، فيحل دينه بالأوهام والأساطير ،

وحدة الجنس البشري ، وتطوره ، ووحدة الاجتماع البشري والسياسي ، التحكم والاستبداد . فاذا كانت سيرة البشرية تبدأ صغيرة ، وتراس الى تشابهه ، وتصبح هادئة بالقياس مع الطبيعة الصاخبة ، تاريخ الجنس البشري ، ونجده الى الحنين ، ونقدمه الى الديمقراطية . وعلى هذا يعظم تاريخ البرهان الحديثة ، نزعة يعظم اوربا في العصور الحديثة

٣ — الموارد الطبيعية

هذه العوامل الثلاثة — شكل سطح الأرض والاقاليم وأوصاف الطبيعة بوجه عام — تؤثر في طور ما في طبيعة الاجتماع البشري ، وما فتئت موضوع بحث ونقاش ، وتأييد وتفنيد ، بين علماء الاجتماع البشري وفلاسفة التاريخ ، والأقوال الحاسمة فيها قليلة ، لأن التاريخ ليس كالعلوم الطبيعية ، من حيث خضوعه للتجربة والامتحان واستخراج الأحكام الدقيقة ، ولكن الاتجاه العام في جميع هذه الأقوال ، لاريب فيه وهو ان البيئة الطبيعية تؤثر في طبيعة الاجتماع البشري ، وبالتالي في سياسة الدولة . ولكن التاريخ بوجه عام نسيج من عامل البيئة الطبيعية متفاعلاً مع عوامل أخرى هي العقل والشخصية والاقتصاد وروح العصر وغيرها

إلا ان هناك عاملاً رابعاً في البيئة الطبيعية ، يؤثر في معيشة الناس في قوتهم وصناعتهم وتجارتهم وثقافتهم تأثيراً مباشراً مستمراً ، وهو آخذ في الاستفحال ، لأن ارتقاء الصناعة في العصور الحديثة وضرورتها عاداً لا غنى عنه في معيشة الشعوب وقوتها ، جعل الحاجة الى موارد الطبيعة من نبات وحيوان ومعادن ، في منزلة الهواء والماء

ان الرجوع الى معجمات اللغة ومعلماتها لا يغني كثيراً في الفوز بتعريف دقيق جامع مانع لاصطلاح « موارد الطبيعة » . ولكنهما يعنيان بوجه عام الجوامد والاحياء التي يعتمد عليها الناس في إقامة أودهم ، وتنظيم كيانهم الاقتصادي . وقد تبوّب هذه الموارد على أسس مختلفة ولكن التقسيم المناسب هو القائم على الأساس التاريخي وفقاً لتدرّج الانسان في استغلالها اذ بدأ في الاعتماد على موارد النباتية ، ثم على النباتية والحيوانية ، ثم بدأ يكتشف المعادن وازداد اعتماده عليها شيئاً فشيئاً ، واتسع نطاق اعتماده عليها اتساعاً سريعاً في القرن التاسع عشر وما انقضى من القرن العشرين

وليس ثمة ريب في ان زيادة استغلال المعادن ، من السمات التي تتسم بها حضارة هذا العصر ، مع أن بدء استغلالها متغلغل في تاريخ البشر . فالمصريون القدماء مثلاً بدأوا يستعملون الحديد ، حوالي القرن الثاني عشر قبل التاريخ الميلادي . ولكن اختراع الآلة البخارية ، اولاً ، وتحرك الاحتراق الداخلي ثانياً ، جعل لناتج الحديد والفحم وآبار النفط ، منزلة مسيطرة في اقتصاد الأمم . فأثرت بذلك جميع خططها الداخلية والخارجية

واتساع نطاق استعمال المعادن ، لم يشأ من زيادة المستهلك منها في وجوه الاستعمال القديمة وحسب

بل عن كشف وجوه جديدة للاستعمال على الغالب، وهذا الكشف مردّه الى ارتقاء العلم نفسها وخواصها . وهذا القول العام لا يجب أن يؤخذ على علاّته بغير تحيّر . فمثلاً ما نجد استعمالاً جديداً للذهب ولكن العلم والصناعة كشفا وجوهاً جديدة لاستعمال الرصاص مثلاً ، فزادت الحاجة اليه زيادة كبيرة خلال قرن واحد من الزمان . والفحم مولّد الحرارة والطاقة وقد زاد الاقبال عليه زيادة كبيرة في الثلاثين السنة الأخيرة من القرن التاسع عشر اي بين سنة ١٨٧٠ و ١٩٠٠ ويقول علماء اميركا ان حاجة اميركا الى الفحم كانت تتضاعف تقريباً كل عشر سنوات في اثناء تلك الفترة . ولكنها لم تزد شيئاً يذكر في خلال السنوات العشر بين ١٩٢٠ و ١٩٣٠ . ولم يكن استعمال النفط ومشتقاته شائعاً في مستهل هذا القرن . وقد بدأ استعماله قبل خمس وسبعين سنة في الاضاءة والتزييت ، ولكن عندما اخترع محرّك الاحتراق الداخلي ، فتح أمام استعمال النفط ومشتقاته في السلم والحرب ، باباً لا يسدّ . وكذا قبل ثلاثين او اربعين سنة من الزمان كانوا يسمعون بأسماء التنغستن والموليدينوم والكروم وما يشبهها من المعادن ، إلاّ من حيث هي عناصر في جداول الكيمياء، ولكنها الآن عنصر لا غنى عنهُ في الصناعة، سواء أكانت صناعة حربية كانت أم صناعة سلمية . وليس أدلّ على منزلة المعادن في الحضارة الحديثة من منزلتها في وسائل النقل والانتقال وأساليب المخاطبات. فقد كان الانسان يعتمد على الحيوانات لجرّ المركبات، وعلى الرياح لدفع السفن ، ولكن سكة الحديد التي أتيحت بعد اختراع القاطرة من نحو قرن من الزمان مكنت الانسان من الانتقال في ساعة ، مسافة لم تكن في متناوله قبلاً في يوم كامل . وقوام السكك الحديد ، الحديد والفحم . ثم اخترع محرّك الاحتراق الداخلي ، فاذا هو القلب النابض في السيارة والطائرة ، واذا سرعتها تفوق سرعة القطار من ضعفين الى خمسة أضعاف . وليس ثمة ريب في ان ارتقاء من هذا القبيل ، كان له تأثيرٌ اجتماعيٌّ عظيم الشأن . فقد صار الطعام تنقل مسافات بعيدة بغير زيادة تذكر في نفقة نقلها ، فنشأ عن ذلك — اتساع نطاق الأسواق التي تعتمد عليها البلدان المنتجة ، واعتماد الأمم بعضها على بعض، واقتران مصادر التموّن بالطعام في جماعة ما ، ولو كان لحمها يجيئها من الأرجنتين ، وشايها من الهند والصين ، وقمحها من كندا ، وزبدها من هولندا والدنمارك

وما يقال في النقل والانتقال يقال في أساليب المخاطبات ، فنقل الاشارات الكهربية في أسلاك من المعدن زاد سرعة نقلها أضعافاً ، والاعتماد على المخابرات اللاسلكية ، يستند في آخر الأمر الى مولّدات تولد الطاقة الكهربية وأبراج عالية تذاع الأمواج من قممها وأجهزة تتلقاها وتحولها كلاماً مفهوماً ، ولا غنى عن طائفة كبيرة من المعادن في جميع هذه الأجهزة والمعدات

وليس ما تقدم إلاّ على سبيل التمثيل . وما هو حاضر من قطنكم وعنكم ، ولكن لا يحيص

عن الحكم بأن الاعتماد على المعادن ، متقلقل في جميع نظمنا الاقتصادي والاجتماعي ، ولا سبيل الى تخليص انفسنا منه ، ولا سيما في عصور سياسة القوة كهذا العصر ، لأن القوة الحربية تقوم على أساس صناعي . وما الحيوان والاسافين وأسلحة الفرسان ، إلا في مرتبة ثانية تابعة من السيف ، أما بقية الفصل وأما القبض ، فهما ما يعرفان بوصف « الامة في حالة حرب » صناعاتها وزراعاتها ومواصلاتها ومواردها الطبيعية جميعاً سواء أفي أرضها كانت تلك الموارد ام في أراض أخرى تستطيع الاتصال بها . والمصانع عاجزة حتماً عن انتاج الطائرات والدبابات والسفن الحربية والتجارية والمدافع والقنابل على أنواعها إلا اذا غذيت بتيار لا ينقطع من الحديد والفحم والنحاس والرصاص والكبريت والالومنيوم والزنك والقصدير والنيكل والمنغنيس والكروم وغيرها . والآلات التي تقوّم بها طبقة القوات الحربية الحديثة لا تستطيع التغلب على جمود المادة ولا ان تنفذ فيها شعلة الحياة إلا بالنفط ومشتقاته لأنها وحدها تحرّك الاحتراق الداخلي ، وجانب منها ولاسيما ما كان منها يدرج على الأرض لا يتحرّك إلا على مجلات إطاراتها من المطاط

٣ — المعادن والدول الكبيرة

ولكن المعادن[1] غير موزعة توزيعاً متساوياً ، في شتى القارات ، ولا في بلدان تلك القارات. والواقع ان حدود البلدان في العصور الغابرة ، عينت وفقاً للعقبات الطبيعية الكبيرة ، كالجبال والأنهار ، كما قدمت ، وتبعاً لمقتضيات الزراعة ، عندما كانت الزراعة مصدر العيش وحسب . ولم ترتبط ارتباطاً ما بتوزيع الثروة المعدنية في أرضها ، لأن المعادن كما نعرفها الآن ، وندرك منزلتها في شتى وجوه الصناعة ، لم تكن معروفة ، وما كان معروفاً منها لم يكن له من الشأن ما له في العصر الحاضر . وإضف الى هذا حقيقة تاريخية وهي ان الثورة الصناعية التي حدثت في انكلترا وما عقبها من التوسع في استعمال الآلات في معامل الغزل والنسج وبناء السفن والقاطرات ، بدأت دولاً قبل أخرى الى منزلة المعادن على اختلافها ، فأضيف الى سوء التوزيع الطبيعي في الثروة المعدنية ، تفاوت آخر مردّه الى السبق في الاختراع والتوسع

فلنلق الآن نظرة على الدول الكبار ، وما في أرضها من معادن تحتاج اليها من حيث هي دول صناعية ، او حربية ، او صناعية وحربية معاً . ويؤخذ من بيان إحصائي رسمي أميركي ، صدر قبل سنوات ، ان هناك ٢٨ معدناً تبلغ قيمتها ، سبعون في المائة ، من جميع الخامات المعدنية التي تتداولها التجارة وأهمها الحديد والنحاس والألومنيوم والرصاص والزنك والقصدير والنيكل

---

(١) اقتصرنا على مساحة ناحية المعادن من هذا الموضوع لان أرضنا افقر في موارده المعدنية منها في موارد الغذاء . ولانا نشرنا في مقتطف مارس الماضي ص ٣٦١ مقالا موضوعه « موارد الغذاء في بلدان قارة أوربا »

ومعادن لاختلاط اللازمة لأصناف خاصة من الصلب أو لتقسية معادن أخرى وهي الانتيمون والمنغنيس والكروم والتنغستين والموليدينوم . وهذه جميعاً من الفلزات . ويضاف اليها معادن غير فلزية ، كالفحم والنفط والبترول والفصفات وغيرها ، ومنها ما هو لازم للصناعة والنقل ، ومنها ما لا غنى عنهُ في انتاج الزراعي

المانيا — كانت المانيا قبل الحرب العالمية الأولى تستخرج من أرضها ٧٠ في المائة مما تحتاج اليه من حديد . فلما ردَّت الالزس الى فرنسا بمقتضى معاهدة الصلح ومعاهدة فرسايها ، نقص ما تستخرج المانيا من أرضها من الحديد الى ما يكفي اربعين في المائة من حاجتها على الأكثر — على ما كانت حاجتها معروفة في مستهل سنة ١٩٣٨ — ولم تستطع بلوغ هذه المرتبة ، إلا باستغلال مناجم للحديد ، نسبة الحديد في وكازها يسيرة والذلك لا تصلح للاستغلال الحرّ فكان لابد من معونتها بمال الحكومة ، كما أنها عمدت الى جمع كلّ ما تستطيع جمعهُ من الحديد القديم المستعمل ، ولذلك لم يكن في وسعها أن تستغني عن الاستيراد ، وأهم هذه الموارد مناجم السويد — ولاسيما مناجم كيرونا في الشمال — فعليها كانت تعتمد المانيا للفوز بنحو ستين في المائة من حاجتها الى الحديد . ولذلك غدت مسألة مناجم حديد السويد مسألة حربية عظيمة الشأن في نظر المانيا ، علاوة على كونها مسألة اقتصادية صناعية

وأوربا الواقعة الى الغرب من حدود روسيا ، فقيرة بوجه عام فقراً مدقعاً في آبار النفط ، وتستثنى رومانيا من ذلك . ولكن الانتاج الروماني لا يسدُّ الا ربع ما تحتاج اليه القارة الاوربية من حدود روسيا الى البحر من نفط ، في أثناء السلام ، فكان لابدَّ من الاعتماد على الاستيراد من أميركا والعراق وايران وجاوى وضع عوض مستخرج من الفحم

ومناجم النحاس في المانيا تجهزها بأربعة عشر في المائة من حاجتها اليه ، وكان الامل معقوداً في مستهل سنة ١٩٣٨ باستغلال المناجم الفقيرة ، عن طريق معونة الحكومة ، فيبلغ مجموع ما يستخرج من النحاس ٢٥ في المائة من المقدار الذي يستهلك

وهي تحتاج علاوة على ما تقدم ، الى استيراد ٦٠ في المائة مما يحتاج اليه من المنغنيس او اكثر ، والى ٥٠ — ٦٥ في المائة من الرصاص والى كل ما تحتاج اليه من الزئبق ، و٩٠ في المائة من النيكل وأكثر من ذلك من الموليدينوم والفصدير والتنغستن وغيرها

وعلى الرغم مما بذلتهُ المانيا من تسعي لتقص ما تستورده من الخارج ، فانها ظلت حتى مستهل هذه الحرب مضطرة الى استيراد مقادير متفاوتة مما تحتاج اليه الالومنيوم ، والانتيمون والكروم ، والنحاس ، والحديد ، والرصاص ، والمغنيزيوم ، والمنغنيس ، والنيكل ، والنفط ، والفصفات ، والزئبق والكبريت ، والفصدير ، والتنغستن . وقد تغيرت الحال الآن في بعض هذه

المواد ولاسيما الحديد والالومنيوم بعد تحكمها من الاستثناء بالومنيوم فرنسا — وهي أكبر منتج للالومنيوم — وحديدها وحديد لوكسمبورج وحديد السويد[1]

أما ايطاليا فلا تستخرج من أرضها إلا ١٠ في المائة مما تستهلكه من الحديد والصلب و٤ في المائة من الفحم و٧ في المائة من النفط فعليها ان تستورد كل الباقي من هذه المواد الرئيسية في الصناعة الكبيرة وكذلك كل ما تحتاج اليه من المطاط والكروم والتنغستن والقصدير والنيكل — غير قليل لا يذكر — والنحاس (٩٦٫٨) والمنغنيس (٨٥٫٨ ٪)[2]

أما اليابان فأخص ما يعوزها الحديد والنفط ولكل حاجتها الى استيراد نفائس كثيرة من الخامات المعدنية الأخرى ليست يسيرة. فاليابان عندها كفايتها من الفحم والكبريت والفوسفات ومعظم كفايتها من الطعام، وفي وسعها أن تستخرج من مناجمها كفايتها من النحاس. ولكن يجب عليها ان تستورد تلثي ما تحتاج اليه من الحديد وستة اسباع ما تحتاج اليه من النفط وشطر ما تحتاج اليه من الرصاص والقصدير، واربعة اخماس ما تحتاج اليه من الزنك والمنغنيس، وثمانية اتساع ما تحتاج اليه من القطن وكل ما تحتاج اليه من المطاط الطبيعي والنيكل والانتيمون وغيرها من المعادن اللازمة لاختلاط الصلب

اما انكلترا فما يستخرج من ارضها من الفحم يفيض على حاجتها، وحديدها يكفيها في اثناء السلام، والمقادير المستخرجة من الرصاص والقصدير لا بأس بها. الا انها تحتاج الى استيراد كل معدن آخر. ولكن اذا حسبنا انكلترا قلب جامعة الأمم البريطانية، فهي تستخرج منها جميعاً يفيض عن حاجتها جميعاً ويصدر، ولا يستثنى من ذلك الا الانتيمون والزئبق. غير أن قدرة بريطانيا على الاستيراد مرتبطة بتماسك الامبراطورية السياسي وكفاية الأسطول التجاري والحربي في اثناء الحرب والاول لاريب فيه والثاني تقوم الادلة على تأييده

ولعل أقرب البلدان الى الكفاية من حيث مواردها المعدنية الرئيسية هما الولايات المتحدة الأميركية وروسيا السوفياتية. ومع ذلك فكفايتهما ليست تامة. فالولايات المتحدة تحتاج الى استيراد معظم معادن الاختلاط كالانتيمون والكروم والمنغنيس والتنغستن والقصدير والنيكل، وكذلك المطاط. وأما روسيا فلا يعرف مدى ثروتها المعدنية معرفة علمية دقيقة، فمساحة أرضها حالت حتى الآن دون استكشاف جميع مواردها المعدنية ومقاديرها. ولكن الشائع في الدوائر الصناعية انها تكاد تكون مكتفية وتكاد تشبه الولايات المتحدة في ما تحتاج الى استيراده

هذا التوزيع غير المتساوي بين الدول الكبيرة، في الموارد المعدنية، حمل عالماً مهندساً انجليزياً يدعى السر توماس هُلدتش على اقتراح ما يعرف باسم «العقوبة المعدنية». وجاء في

---

(١) راجع المقتطف الفبراير ١٩٣٩ ص ٢٣٣ مقال «خدمات الصناعة والحرب وأسواقها» ومقتطف نوفمبر ١٩٤٠ ص ٣٤١ مقال «حرب المعادن»

ذلك الجزء المحتلى وهو عالم ويلسون بالاضافة الى كونه رئيساً وقائداً عاماً . ويتلخص القول في « العقوبة المتبادلة » انه اذا نشبت حرب بعتدي دولة على اخرى ، فانه يؤدي الى فرض العقوبات على الدولة المعتدية — كان هذا في الأيام التي كانت تسمى فيها الأمم بالسلالة المشتركة وقد تعود ، بل لا بد من عودتها — يجب ان تشمل العقوبات الاقتصادية اولا مناطق من الفلزات هي الفلزات اللازمة لاخلاط الصلب المختلفة ، لأن المعادن من اقوى عناصرها ، العمليات التجارية بسيرة بالقياس الى مقادير الحديد والفحم وما اشبه ، فلا يستطيع اقتصاد البلاد التي تحرم بيعها ولكن نقصها يؤثر في الدولة التي تحرم شراءها لان صناعاتها لا تستغني عنها

فالبكل مثلاً ضروري لصناعة صلب خاص يصلح لمدرعات المدافع الضخمة . والنحاس لازم لصنع أجهزة الاذاعة والالتقاط اللاسلكية ومبردات الطائرات والدبابات والتنغستن والمولبدينوم والكروم اصناف اخرى من الصلب الفائق لكل استعماله الخاص في الصناعات الحربية ، والمنغنيس والكروم لا غنى عنهما في صنع الآلات التي تصنع الأدوات الحربية ، machine tools . والاتفاق على فرض هذه العقوبة سهل لأن الولايات المتحدة الاميركية وجامعة الأمم البريطانية تملكان أكثر من ثلثي مجموع موارد هذه الطائفة من الفلزات

والاعتراض الاساسي على هذا الاقتراح ، هو ان المقادير التي تحتاج اليها الصناعات الحربية ليست كبيرة ، فيسهل خزنها ، قبل نشوب الحرب ، فهي عناصر لا يبليها الزمن وتجميد المال الذي ينفق في شرائها لا يرهق دولة ما ، واذا لم تصل الحرب حتى يحل النفاد بالمخزون ، فتأثير هذا اللون من العقوبات لا يكون فعالاً اذا اقتصر عليه

ويرد على ذلك بأن التوزيع في إبان السلام يكون خاضعاً لحاجة الدولة كما تستخرج هذه الحاجة من سجلات واردها واحصاء صناعاتها بعد اضافة التصحيح اللازم الناشيء عن تقدم الصناعة فيوصد بذلك باب التخزين . وعلى كلٍّ هو رأي ان لم يفد في منع الحرب فقد يكون احدى الوسائل التي يتوسل بها لذلك الغرض بالاضافة الى وسائل أخرى

٤ — بين التجارة الدولية والاكتفاء

كيف نحل هذه المشكلة ؟ الحل الطبيعي لمقوت هو العودة الى التجارة الدولية ، بعد ذلك ما يقلها من قيود ، كالحواجز الجركية العالية ، ونظام الحصص ، واغلاق البادل النقدي ، وما أشبه . فموارد الخامات ، من معدنية وغير معدنية ، كافية لسد حاجة الأمم جميعاً ، على رأي الدكتور ليث استاذ الجيولوجيا في جامعة وسكنسن الأميركية ، ومستشار تومد الأميركي في مؤتمر الصلح ١٩١٨ — ١٩١٩ ورئيس مجلس البحث في موارد المعادن سنة ١٩٢٩

وكان المسيو فان زيلند ، الخبير الاقتصادي والمالي البلجيكي ، ورئيس الوزارة البلجيكية سابقاً ، قد عهد اليه في شهر ابريل من سنة ١٩٣٧ في دراسة مشكلة العالم الاقتصادية دراسة وافية ووضع تقرير فيها وعرض مقترحاته لحلها . فكان السؤال الذي سمي المسيو فان زيلند الى الرد عليه هو هذا : — أندعو الى الرخاء الدولي بتعزيز التبادل بين الأمم على أساس من حرية التعاقد والتبادل ام على اساس من الاكتفاء القومي . فكان ردُّه بعد ما شرَّق وغرَّب في سبيل جمع الحقائق والآراء ، لا يكاد يلابسه غموض وأساسه وجوب عمل عمل مشترك لنقض الحوائل وخفض الحواجز التي تعرقل التجارة الدولية ، وفك القيود التي تحول دون التبادل النقدي الحرّ (١)

وأما الحل الآخر فهو طريقة الاكتفاء ، وهي طريقة الاستغناء عن العالم بقدر المستطاع. فلا تستورد الدولة من الخارج الا ما تعجز عن الفوز به في ارضها ، سواء أمين موارد طبيعية كان ذلك ، أم من موارد صناعية . فاذا لم يكن في الأرض شايع للفط ، فيستخرج القطن من الفحم . واذا لم يكن فيها مزارع تزكو فيها أشجار المطاط ، فليصنع المطاط من غاز الاسيتيلين . واذا لم يكن فيها مراعٍ يكثر فيها الغنم فليصنع الصوف من جنين اللبن . واذا تعذر وجود مقدار كافٍ من النحاس فليكن الالومنيوم عوضاً منهُ (٢)

والغرض البادي هو رفع مستوى معيشة الشعب ، باغنائه عن العالم . ولكن النتيجة خفض مستوى معيشة الشعب ، لأن جميع هذه الاعواض الكثيرة تقتضي من النفقة (مجموع جهد العامل مضافاً الى رأس المال اللازم) أكثر مما تقتضيه مثيلاتها المستخرجة من مواردها الطبيعية ولو نقلت من اقاصي الارض

وسياسة الاكتفاء لا يمكن أن تطبق الاّ اذا كان نظام الحكم نظاماً دكتاتوريًّا . وهذا بطبعه يفضي الى حالة سوية تجاري في انحطاطها حالة المعيشة . لأن الحكم الدكتاتوري يقتضي الاستبداد والتحكم وكمّ الافواه وقدع العقول والقاء المعارضين بالاعتقال أو الاغتيال . فسياسة الاكتفاء تفضي الى انحدار مستوى المعيشة ومستوى الحياة المعنوية في آن واحد . ورغبةً في صرف نظر الشعب المحكوم هذا الحكم ، المأني هذا الشاء ، عن تساوي حاله بعد حكامهُ الى بذر بذور الحقد في نفسه على سائر الشعوب والحكومات التي تحرمهُ — على زعمهم — فسحة العيش الرضي ، فتوغر الصدور وتستفز الى الحرب

ولما كان الاكتفاء التام مما يتعذر تحقيقه في بقعة بعينها من بقاع الارض ، فلا بدَّ أن

(١) المقتطف ابريل ١٩٣٨ ص ٤٥٧ مقال « تقرير فان زيلند ومشكلة العالم الاقتصادية »
(٢) فصل موضوع الاعواض وتقلتها في مقال « خامات الصناعة وأعواضها » في مقتطف اغسطس ١٩٣٩ ص ٢٢٣

يقضي الأخذ بخطته الى التوسع بغير الحرب اذا أمكن ، وهو اذا اقتضى الأمر ذلك ، ولاسيما اذا اقترنت خطة التوسع بنظريات التفوق العنصري وشهوة السلطان

ولا يخفى ان التجارة العالمية بليت بعد الحرب الكبرى الماضية بقيود مختلفة أرهقتها وحالتها عن النهوض ، كالحماية والحواجز الجمركية ، ثم أضيف لنظام الترخيص في بعض البلدان لتقييد الاستيراد و تشجيع الصناعة المحلية وضنّا بالنقد الأجنبي اللازم لشراء أخص ما تحتاج اليه البلاد في الخارج ، وبعد ما تفاقمت شرور الأزمة الاقتصادية العالمية في سنة ١٩٣١ عمدت الدول على تفاوت بينها الى تقييد التجارة بأساليب مختلفة وفي مقدمتها نظام الحصص وقيود التبادل النقدي كأن في هذه الوسائل سحراً بعيد الاتيان والرخاء ، أي ان التجارة الدولية تحوّلت من عمل تشترك فيه دول وبلدان متعددة على أساس الذهب أو ما يحلّ محلّهُ ، الى صورة جديدة ، أساسها المقايضة وغرضها الاكتفاء (١)

وكانت الحال على هذا المنوال عندما تقلد الوطنيون الاشتراكيون زمام الحكم في المانيا في مستهلّ سنة ١٩٣٣ ، فأضافوا الى البواعث الاقتصادية التي دعت اليها باعثاً خاصّاً بهم ، وهو رغبتهم في أن تكون المانيا بمنجىً من تأثير الحصر البحري اذا خاضت حرباً كبيرة وكان أحد خصومهم فيها دولة تملك زمام البحار . واذن فالاكتفاء لا يطلب في عرفهم وسيلة لاجتياز الأزمة الاقتصادية الى أن يأتي الفرج ، وإنما يطلب لغرض حربيّ بعيد . ولكن الاكتفاء مناقض بطبيعته لوضع المانيا الطبيعي . فقد فهم مثلاً أن تعمد دولة كروسيا ، او الولايات المتحدة الى محاولة الاكتفاء فأرضها غنية بشتى الموارد الطبيعية من معدنية وزراعية ، فاذا نظم انتاجها تنظيماً دقيقاً ، واستغلّ للهمل منها ، فقد تستطيعان أن تستغنيا عن كثير مما تستوردانه ، ولا سيما اذا أضيف الى انتاجهما بعض الأعراض التي يخترعها العلماء ويصنعها الصنّاع بغير نفقة كبيرة . ومع ذلك تبقيان محتاجتين الى استيراد مواد لا توجد في أرضهما ولا عوض صناعي منها الآن

أما المانيا فليست ببلد غنيّ بموارده الطبيعية ، ولا سيما المعدنية اللازمة للصناعات الكبيرة ، والنباتية والحيوانية اللازمة لصناعة المنسوجات وبعض النباتية والحيوانية اللازمة للغذاء ولصناعة المفرقعات . فسياسة الاكتفاء ، مفضية فيها حتماً الى خفض مستوى المعيشة . فلما بدأت المانيا تسلح ، واتسع نطاق تسلحها ، وقعت في ما بين خطة التسلح وسياسة الاكتفاء ، في تناقض لا مخرج لها منهُ إلاّ بالتوسع ، فاذا تمّ بغير حرب — بالضغط السياسي والاقتصادي والتفتيت الداخلي — فبها ، والاّ فبالقتال

ذلك بأن رغبتها في جعل قوتها المسلحة قوة متفوقة ، قادتها رغماً عنها الى توسيع نطاق ما تحتاج اليه ، مما لا تجدهُ في أرضها ، ولا تستطيع عقول علمائها ان تغنيها عنهُ بأعراض تخترعها

(١) راجع مقال « التجارة الدولية » لفؤاد محمد شبل مقتطف مارس ١٩٤١ ص ٢٩١

وتوسيع نطاق ما تحتاج اليه ، مما لا نجده في أرضها ، يعني ان تحقيق سياسة الاكتفاء متعذر . دائرة مفرغة لا تنتهي الا الى حيث تبتدىء . ومن هنا كان لا بدَّ من التوسُّع بالحرب او بالتهديد بها . وليس للنظام الجديد في أوربا من معنى — من الناحية الاقتصادية — الا هذا وهو سيطرة المانيا على بقاع في أوربا وآسيا تتوافر فيها جميع الخامات الزراعية والصناعية والحربية التي تحتاج اليها ، فلا يؤثر فيها حصر ولا يستطيع أحد ان يعصى لها أمراً . ولما كان هذا النظام من ناحيته الاقتصادية مرتبطاً بنظام سياسيّ من طراز معين ، فالغالب انهُ لا يستطيع ان يقوم على سطح الأرض ما زالت هناك قوى تقاومهُ او تستطيع ان تقاومهُ فإما ان يبسط ظلهُ على العالم وإما ان ينهار . والى هذا — علاوة على شهوة السلطان الخاصة — يرتدُّ القول بمطامع المانيا الحالية التي حركت الولايات المتحدة الأميركية الى الوقوف في موقفها المعروف

٥ — المستعمرات والموارد

ليس الغرض معالجة موضوع المستعمرات الا من ناحيته الاقتصادية . فهل نجد فيها حلاً محتملاً لمشكلة الموارد الطبيعية ؟ أما الذين يذهبون هذا المذهب فيستندون الى (١) كونها منفذاً للتخفيف عن ضغط السكان (٢) كونها مورداً من موارد خامات الصناعة والغذاء (٣) كونها سوقاً للمنسوجات الصناعية

١ — السند الاول كان يلخص في قولهم ان السلام في أوربا يتوقف على قدرة الجماهير في الدول الشديدة الازدحام ان تجد المجال المتسع لها للحياة . واذا صحَّ هذا القول فمن المتعذر أن تكون المستعمرات الافريقية هذا المجال . فقد قضت الحكومة الألمانية قبل الحرب ٣٠ سنة وهي تحاول إغراء الألمان بالنزوح الى المستعمرات واستيطانها . فلم يزح منهم الا ما يزيد قليلاً على ثمانية عشر الفاً ، حالة ان زيادة السكان السنوية في المانيا كانت نحو مليون

جاء في كتاب جيريج الذي عنوانه « الباب المفتوح ونظام الانتداب » ان جميع السكان البيض في المستعمرات الالمانية سنة ١٩١٣ كانوا ثمانية وعشرين الفاً ذهب منهم ٣٢٠ الى طوجولند و ١٦٥٠ الى الكيرون و ١٤٠٠ الى افريقيا الشرقية الالمانية و ١٣٣٠٠ الى افريقيا الجنوبية الغربية الألمانية . وليس بين هذه المستعمرات الأربع ما يصلح لاستيطان البيض حقاً الا المستعمرة الأخيرة . ومع ذلك فإن نزوح الالمان اليها منذ ما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها الا نحو الف مهاجر من البوير والانكليز في السنة . أما السكان الألمان فيها فلم يزد عددهم ولم ينقص عما كان سنة ١٩١٤ ولذلك أصبحوا أقلية فيها . أما تجنيقا — وكانت تعرف باسم افريقيا الشرقية — فقد كسبت منذ الهدنة ٦٠ مستعمراً انكليزياً أي ان المتوسط السنوي لزيادة عدد المهاجرين اليها يبلغ نحو ٣٠٠ في

السنة . ويدل الاحصاء الأخير الخاص بمنطقة صوجيوند الواسعة تحت الانتداب البريطاني أن عدد البيض فيها بلغ ١٤٠ منهم ٤٣ انثى . فيدو مما تقدم انه اذا اراد هتلر حقاً بوجوب اعادة المستعمرات الالمانية الافريقية الى المانيا من الناحية السياسية او الشرعية، فان هذه المستعمرات لا تصلح مطلقاً للتخفيف عن ضغط السكان في المانيا نفسها (١)

ثم قد تشكل حكومة النازي بالاعتماد على اساليب هي مزيج من الضغط والاغراء لم تكن حكومة القيصر تقنها قبل الحرب الماضية، من زيادة عدد المهاجرين ولكن تاريخ هذه المستعمرات من حيث سكنى البيض فيها لا يشجع على الاعتقاد بصحة ما يزعمه دعاة النازي من تدريهم على اسكان اربعمائة الف في الكميرون وثمانمائة الف في تنجنيقا وهكذا . والرأي الغالب ان بضعة آلاف هو المعدل الاعلى . وماذا يصنع بنصف المليون من الالمان وهو معدل زيادة الشعب الالماني في السنة الآن ؟ !

٢ — والسند الثاني هو قولهم «الحاجة الى الخامات» . فهل في وسع المستعمرات الالمانية سابقاً ان تسد هذه الحاجة

كلمة المستعمرات تعني المناطق التي اتيحت للاستعمار او قد تتاح في المستقبل اذا كان هناك مناطق لم تتح بعد وبقي نظام الاستعمار مقبولاً وقائماً . فالدول ذات السيادة، او المستقلة استقلالاً ذاتياً يكاد يكون تاماً، كبلدان الدومنيون والهند، خارجة عن نطاق المستعمرات . وعلى ذلك فالمستعمرات بهذا المعنى مصدر ضئيل جداً من مصادر المواد الخام . وأهم المواد اللازمة للصناعة الصادرة من مستعمرات هي المطاط «الكاوتشوك» والقصدير فأراضي مالايا البريطانية والهند الشرقية الهولندية تنتج من المطاط نحو سبعمائة الف طن «١٩٣١» من ٨٢٠ الف طن وهو المحصول العالمي . ثم انها كذلك تنتج نحو ثلثي المحصول العالمي من القصدير

ولو أضفنا الى هاتين المادتين مواد تنتج المستعمرات خمس محصولها العالمي لما أضفنا الا النحاس والفوسفات والفناديوم والشاي وجوز التارجيل

وهذا يعني ان المستعمرات اطلاقاً لا تصدر الا اربع مواد و خمساً ليست جميعها في مقدمة ما تحتاج اليه الأمم الصناعية . وهذا القول يصدق بوجه خاص على المستعمرات الأفريقية . فما يصدر من افريقيا كلها من المواد الخام الصناعية والغذائية يقل عن ٤ ٪ من محصولها العالمي . أما مستعمرات المانيا السابقة فكانت لا تصدر الى المانيا الا مقداراً يقل عن ١ ٪ مما كانت تستورده من المواد الخام . وفي حساب آخر انه نصف واحد في المائة

والواقع ان المواد الخام الأساسية في الصناعة والغذاء كالفحم والحديد والنفط والقطن

(١) راجع المقتطف فبراير ١٩٣٦ ص ١٦٩ «ترسم بمنتج لا فائدة منه ولا حاجة اليه»

والنحاس والقمح والقطن والبن ومشتقاته وغيرها تصدر جميعها من بلدان مستعمرات ذات سيادة لا من المستعمرات . وفي الوسع ان يقال بوجه عام ان المصادر الرئيسية لمواد الصناعة والغذاء الأساسية هي الولايات المتحدة الأميركية واتحاد جمهوريات روسيا السوفياتية وجامعة الأمم البريطانية وبلدان أخرى مستقلة . فمن الخطأ القول ان اعادة توزيع المستعمرات يسد النقص في ما تحتاج اليه البلدان المطالبة بها من المواد الخام اللازمة للصناعة والغذاء وأحرى ان يكون الخطأ أكبر اذا قلنا ان اعادة مستعمرات المانيا اليها يحل مشكلة حاجتها الى الخامات الصناعية والغذائية

لا ريب في ان الاستغلال المبني على العلم والتنظيم قد يزيد ما يستخرج من المستعمرات . والمانيا عند ما دخلت ميدان الاستعمار تمكنت في السنوات الست السابقة للحرب الماضية من ان تزيد مقدار المستخرج من مستعمراتها . لكن اذا زيد مقدار المستخرج الآن من مستعمراتها السابقة ثلاثة اضعاف ، ظل لا يزيد على ٣ ٪ من وارداتها

والواقع ان الدولة الاستعمارية الوحيدة التي لها مستعمرات غنية بالمواد الاساسية اللازمة للصناعة هي هولندا . فجزائر الهند الشرقية الهولندية التابعة لها غنية بالشاي والارز والمطاط والبترول والقصدير والتبغ والبن . ومع ذلك فالسويد وهي دولة ليس لها مستعمرة واحدة لا تقل عن هولندا اقبالاً ورخاء ومستوى حياة شعبها ليس دون مستوى حياة الشعب الهولندي

فاعادة توزيع المستعمرات جميعها — دع عنك رد المستعمرات الالمانية — لا يحل مشكلة الحاجة الى المواد الخام الصناعية والغذائية وحلها الوحيد ، هو في رفع القيود التي أرهقت بها التجارة الدولية وسدت مسالكها فتستطيع كل دولة ان تبتاع في الاسواق العالمية ما تحتاج اليه [1]

٣ — والسند الثالث هو قولهم « الحاجة الى الاسواق لتصريف البضائع والمصنوعات » فاذا ينبئنا علم الاحصاء في هذه الناحية ؟ في سنة ١٩١٣ وهي السنة الاخيرة الكاملة التي كانت المانيا فيها مسيطرة سيطرة تامة على مستعمراتها بلغ مجموع ما أصدرته الى هذه المستعمرات ستة اعشار واحد في المائة من الصادرات الالمانية . واذا استطاع احد ان يفرض الآن على المستعمرات الالمانية السابقة ان تبتاع من المانيا دون غيرها ، كل ما تحتاج الى استيراده بلغ مجموع ما تستورده من المانيا سبعة أعشار واحد في المائة من الصادرات الالمانية

ويرد الالمان على ذلك بان تجارة مستعمراتهم زادت في السنوات العشر السابقة للحرب الكبرى أربعة أضعاف وأنها لم تزد الا زيادة يسيرة جداً بعد الحرب . وان مقدار التجارة مع المستعمرات الالمانية بلغ مجموعه نحو الف مليون مارك

وهذا صحيح ، ولكن الالمان ينسون أو يتناسون ما اتفقوه من مال على سبيل الاعانة

(١) راجع المقتطف مارس ١٩٣٧ ص ٣٣٥ مقال « المستعمرات من الناحية الاقتصادية »

لزيادة هذه التجارة بلغ مقداره الف مليون مارك في عشرين السنة السابقة للحرب العالمية الأولى . وهو ما لا تريد أن تعمه الدول المنتدبة لأنهُ غير معقول من الناحية الاقتصادية البحتة

ولو أن اتفاقاً تم وعقد وانت المانيا بمقتضاه القيود التي تثقل كاهل تجارتها العالمية لاستطاعت أن تزيد تجارتها مع بريطانيا وفرنسا وهولندا وسويسرا وحدها زيادة تبلغ عشرين ضعف مجموع تجارتها مع مستعمراتها السابقة لو أن هذه المستعمرات اختصت المانيا دون غيرها بما تستورده من الخارج

ومن الغريب أن الكتّاب الالمان في موضوع المستعمرات يزعمون ضمناً احتكار المانيا لتجارة مستعمراتها مع أن الواقع ، أن سياسة الباب المفتوح في نصف مستعمرات العالم مضمونة بمعاهدات دولية أي ان المستعمرات التي تشملها هذه المعاهدات لا يسعها أن تقيم حواجز جمركية تفضل بها دولة على أخرى من دول جامعة الامم . ولم تستثن المانيا ولا اليابان من ذلك. وهذه البلدان تشمل جميع بلدان الانتداب من درجة A و B وكل حوض الكونجو بما فيه شرق افريقية البريطاني وافريقية الاستوائية الفرنسية وغرب افريقية البرتغالية والسودان وروديزيا الشمالية . واما مراكش فسياسة الباب المفتوح فيها كانت جزءاً من التسوية الدولية التي عقدت بعد أزمة سنة ١٩٠٦ في مؤتمر الجزيرة . ومع ذلك فجميع المستعمرات على سطح الكرة لا تبتاع أكثر من ١٠ في المائة من مجموع الصادرات العالمية

والرد السهل بحكم الطبع على هذه الحقائق انهُ مازالت المستعمرات لا تصلح منفذاً ذا شأن لضغط السكان وازدحامهم ولا مصدراً أو سوقاً للمواد الخام أو للمصنوعات فعادا تتمسك بها الدول التي تسيطر عليها . وفي الرد على هذا القول نخرج الى جملة العوامل السياسية والاعتبارات الاستراتيجية وما يتعلق بالهيبة والكرامة الدولية — وهذه على ما لها من شأن عظيم ليست في نطاق هذا الحديث

٦ — الموارد الطبيعية وخطط الحرب

إن المشكلة التي تواجهها دولتا المحور في هذه الحرب هي مشكلة عدم وجود طائفة من المواد التي تحتاج اليها أو عدم وجود مقادير وافية منها ، في الأراضي الخاضعة لها أو في الأراضي التي تستطيع الاستيراد منها . وهذه المشكلة تعقد بطبعه مشكلة النقل عليها. ونحن كثيراً ما ننسى أن الجانب الاكبر من التبادل التجاري بين بلدان اوربا يتم بحراً . فايطاليا كانت تنقل فحم المانيا اليها — أو ما تستورد منهُ — بحراً عن طريق تفور هولندا لا عن طريق سكك الحديد. وكانت تستورد بترول رومانيا وروسيا بحراً لا بسكك الحديد . وحديد اسبانيا كان ينقل الى المانيا بحراً لا

بسكك حديد. وهكذا أمكن توحيد طريق البحر في معظم الاحوال مع السكك الحديد في النقل التجاري بين بلدان أوربة، بالاعتماد على السكك الحديد مرهق لها علاوة على ان الخطوط الحديدية الممدودة الآن لا تكفي لنقل جانب يسير من المقادير التي تصادرها بلدان أوربة في الأحوال العادية

أما المشكلة التي تواجهها بريطانيا فليست مشكلة هل تجد ما تريده وهل تستطيع ان تبتاعه. فانها واجدة كل ما تريد وقادرة على شرائه ويضاف اليها ترسله اليها الولايات المتحدة الاميركية بغير حساب للثمن الآن. ولكنها مشكلة نقل ما تحتاج اليه لأنهُ متاح لها في شتى البلدان. وهذا النقل يتم بحراً بأسطولها التجاري والأساطيل التجارية التابعة لحلفائها وفي مقدمتها أسطول النروج وهولندا. فاذا وصفنا المشكلتين هذا الوصف على اختصاره فقد أشرنا الى قواعد الخطتين الحربيتين اللتين يجري عليهما الفريقان المتحاربان

أما بريطانيا فخطتها الآن منع كل وارد من وراء البحار الى المانيا، وهذا المنع محقق بالحصر البحري يفقده أسطول بريطانيا المتفوق ويستثنى منهُ قليل مما يصل المانيا عن طريق سيبيريا وروسية. ثم توجيه قاذفاتها الى المستودعات التي خزنت فيها المانيا ما جمعتهُ قبل نشوب الحرب من مواد قطع واردها عنها، وتدمير مواصلاتها البرية لعرقلة النقل بين ولايتها المختلفة ثم بينها وبين البلدان الحايدة أو الوالية لها. فبذلك تعجل استنفاد المخزون أو تجعل نقله من حيث خزن الى حيث يراد استعماله محفوفاً بالمشاق. فاذا التقى التأثيران تأثير المنع وتأثير النفاد، فلا مفر لالمانيا وحليفاتها — وايطاليا أشد تعرضاً من ألمانيا لهذا النوع من الحرب لانها أفقر ومخزونها أقل واعتمادها على الوارد البحري أعظم — من أن تصاب بالاعياء الاقتصادي الذي كان أحد العوامل الفعالة في كسر شوكة ألمانيا في الحرب العالمية الأولى بعد ما امتدت فتوحاتها في أوربة امتداداً لا يقل كثيراً عن امتدادها الآن

وأما المانيا فخطتها كذلك أن تمنع الوارد عن بريطانيا وأن تدمر مصانعها واعتمادها على الطائرات والغوَّاصات. وقد نجحت بريطانيا في منع الوارد الى المانيا بحراً وفي تدمير وتعطيل جانب كبير من مصانعها ومواصلاتها، وفي التغلب على خطر الغوَّاصات والألغام المحيطة في ما انقضى من الحرب الى بدء هذا الربيع ولكن المعركة استؤنفت الآن بعد استكانة الشتاء

والخلاصة أن كفة بريطانيا في الموارد الاقتصادية والصناعية أرجح من كفة المانيا. واذا كانت المانيا قد ضربت أقوى ضرباتها الحربية في السنة الاولى من الحرب، لانها كانت تامة الأهبة لها — وكل معتد يتأهب للاعتداء — واذا كانت بريطانيا لم تكن قادرة على الرد على هذه الضربات بضربات قوية مثلها لانها لم تتأهب، فان الضربات البريطانية ستأتي — وقد بدأت — عندما يكون عدوها قد وهنت قوتهُ الداخلية بفعل الحصر البحري وقذف الطائرات

جلدية مقتطفات

الفلاح

للباس المرشكة

الأسد المسجون

لمحمود أبو الوفا

كتاب سهم طيار للأسد

ترجمة وتحرير بمشورة الأستاذ المصري الانجليزي

الفدع (١)

لابليس الوشيكة

زارعَ الحقل في البكورْ عيشكَ الدهرَ أخضرُ
أنت في هيكل الزهورْ فيلسوفٌ مفكّرُ

***

سيدَ المنجل الحقيرْ أنت للناس سيدُ
من ذراعيك للفقيرْ حبةُ القمح تولدُ

***

ماؤك الطاهرُ الزُّلالْ من سواقيك يقطرُ
كلُّ ما تقتني حلالْ باسمكَ الخيرُ يذكرُ

***

أنتَ وجهٌ مخلدُ للجدود المخلدينْ
شلهم سوف تلحدُ طاهرَ الطينِ والجبينْ

***

يا بعيداً عن البشرْ أنت لا تعرفُ الشرورْ
تعرف الماء والحجرْ والأعاصيرَ والزهورْ

(١) من ديوان « الالحان » لشاعر البنان الياس ابو شبكة

الأسد السجين

لمحمود أبو الوفا

أهذا الليثُ ذو البطش الشديدِ ... يسامُ الضيمَ في القفص الحديد
عجبتُ لمنطق العصر المجيدِ ... أجَلْ يا سيّدَ العصر المجيدِ
لقد علمتني لغةَ العبيدِ

* * *

لقد علمتني لغة الخداع ... وقدرتها على مسخ الطباع
حُماةُ العصر قد عجزوا الأفاعي ... الى صيدِ الثعابين البواعي
ألا ويلَ الحواةِ من المصيدِ

* * *

ألا يا ويلَ مملكةِ الحواةِ ... إذا اجتمعَ الأباةُ الى الأباةِ
وقالوا: ها هنا ثأرُ الحياةِ ... هنا الأحرارُ ترضى بالممات
ولا ترضى بإذلال الأسودِ

* * *

أباسم العلم، أمْ باسم التمدُّنْ ... يجاءُ بسيدِ الصحراء يُسجنْ
لئنْ ظنّوا بأنّ الحرَّ يحيا ... وأنّ الأسدَ تقبلُ أن تُدجّنْ
فقد كذبتهموا أمُّ الوعودِ

* * *

غداً يا ليثُ إنْ هم دجّنوكَ ... تباهوا أنهم قد مدّنوكَ
وثمّ فلستَ أنت ولا أبوك ... بعانهمْ إذا هم عوّدوكَ
فترقص في الملاهب كالقرودِ

* * *

من التمدينْ إلاّ أنْ تحاذرْ ... فمالكَ يا أبا الأشبالِ عاذرْ
هنالكَ قد ترى شرَّ المناكرْ ... وإنْ عارضتَ قالوا: عنك ثأرْ
وقانونُ التمدُّنِ ذو بنودِ

* * *

ألا يا ليثُ لستُ أقول صبرًا ... فقد جرّبتَ هذا الصبرَ دهرًا
فلم ينفع وزاد العيشَ مرًّا ... ولكن إنْ قدرتَ وكنتَ حرًّا
فحطّمْ كلَّ هاتيكَ القيودِ

كتاب صه طيار للأمه

لست أستصغر نذير الخطر ، لكن الحوادث تجري سراعاً . وقد أوصيت بأن يرسل اليك كتابي هذا ، اذا قدر لي أن لا أعود من غارة جوية سأدعى للقيام بها وشيكاً . فتذرعي بالأمل شهرا ، فاذا انتهى الشهر فعليك ان تروضي نفسك على الواقع ، وتعلمي أني قد عهدت في واجبي إلى ذوي بأس من رفاقي ، رجال سلاح الطيران الملكي ، شأن الكثير ممن سبقوني من أقراني البواسل

وعزاؤك عن فقدي أن تعلمي بأن قسطي من هذه الحرب كان من أروع الأعمال وأجلها شأناً . فان طائرات استكشافنا الجوالة في بحر الشمال قد عاونت على سلامة الطرق التجارية للقوافل البحرية وسفن التموين . ومن أعمالها المأثورة أن المعلومات التي أتت بها في احد الأيام ، كانت سبباً في انقاذ حياة رجال تعطلت بهم سفينة ، تقل حراس إحدى المناثر

وإني أقدّر صعوبة لقائك موتي بنفس مطمئنة ، ولكنك تخلقين ظني ان لم تحاولي ذلك ، وتتغلبي على العاطفة ، اذ اني لم أدخر جهداً في سبيل النهوض بالواجب ، ولا يستطيع أي رجل أن يقوم بأكثر من ذلك ، وليس في عداد الرجال من يفعل أقل من ذلك

لقد طالما أعجبت بشجاعتك الرائعة في مواجهة المحن المتوالية ، وبقدرتك على إعدادي وتنقيبي كأثر أبناء هذه البلاد ، مع احتفاظك دائماً بالمظاهر اللائقة ودون أن تفقدي قط يقينك بالمستقبل . والآن إذا مت ، فلن يعني ذلك أن جهادك قد راح سدًى بل سناء أن تضحيتك تماثل تضحيتي عظمةً وجلالاً . فان الذين يخدمون انجلترا لا يجدر بهم أن يتطلعوا الى أجر منها وجزاء ، بل أنا نحقر أنفسنا ، ونهين كرامتنا ، اذا حسبنا بلادنا مجرد مكان للطعام والنوم

والتاريخ تتجاوب أصداؤه بأسماء رنانة مجيدة . ضحى أصحابها بكل شيء فانبعثت من تضحياتهم الامبراطورية البريطانية ، حيث السلام الشامل ، والعدل الوارف ، والحرية التي ينعم بها الجميع ، وحيث ترعرعت الحضارة ، وبلغت من السمو والرفعة ، مبلغاً لا تدانيه البلاد الأخرى ، ولا تزال في ارتفاع مطرد

على أن الامر لا يقف عند حد المساس ببلادنا ، بل اننا اليوم نواجه أكبر تحدٍّ للمسيحية والمدنية عرفه العالم. واني لسعيد فخور بأن بلغت من السن والقدرة ما يؤهلني لأن أخوض غمار هذا الصراع بكل ما أوتيت من قوة وأهبة . والفضل في ذلك لك يا بيد أن آمالك في السنوات المقبلة عملاً أجل مما مضى ، فان على بلادنا أن تبقى متحدة متساندة بعد الظفر في الحرب . ومهما قيل في ذم هذه الحرب ، فاني أراها لا تخلو من خير ، ويكفي انها اتاحت لكل فرد ان يقدم ويضامر بكل شيء ، ذوداً عن مبدأ شأن الشهداء في الازمان الغابرة . ومهما طال الأمد فان هناك شيئاً واحداً لن يتبدل ، وهو اني عشت انكليزيًّا ومت انكليزيًّا ، ولن تتغير هذه الحقيقة ، ولست أبالي بعدها شيئاً

لا يحزنك موتي ما دمت صادقة الايمان بالدين ، وما يدعو اليه والاَّ كان حزنك رياء . وما أنا براهب الموت ، وانما يخالجني شعور عجيب من الغبطة والسمو ، وما كنت لأرضى لنفسي غير ذلك

إن العالم أزلي لا حد له ، فلا سوغ لحياة فرد واحد ، الاَّ بمقدار ما يبذله من التضحية . ولقد بعثنا الى هذه الدنيا لنكتسب شخصية وخلقاً ، نحرص عليهما ولا نرضى لهما ضياعاً . إن اولئك الذين يقنعون من حياتهم ، بأن يشبعوا بطونهم ويتاموا ملء جفونهم ويتكاثروا ، هم كالأنعام ، اذ تنقضي حياتهم كلها في صفو وسلام

وإني لأومن ايماناً صادقاً ، بأن الشرور قد سلطت على هذه الدنيا لتبلونا فالله يخلقها عن قصد وحكمة ، كي يعجم عودنا لأنهُ يعلم ما فيه خيرنا وصلاحنا . والانحياز حاقل بالامثلة التي تمض من شأن طلب السلامة ، والاستنامة الى الدعة لمنافاتها المبادىء السامية

واني أعد نفسي سعيداً ، لأني شاهدت بلادي كلها ، وتعرفت الى أناس من كل طائفة . ولكني بتجربتي الاخيرة في الحرب قد أتممت تكويني . وهكذا أديت رسالتي الدنيوية في مطلع الشباب وتأهبت للموت غير آسف الاَّ على أمر واحد : وهو أني سأحرم وقف حياتي على إسعادك بوجودي معك وتربيتي منك ، في سنواتك الاخيرة ، ولكنك ستعيشين في سلام وحرية ساهمتُ في اقرارهما بنفسي ولهذا لم تذهب حياتي هباء

ترجم ونشر باشراف الاتحاد المصري الانكليزي

باب المراسلة والمناظرة

الفيزيقا الحديثة

المرئي وغير المرئي

حضرة الأستاذ الفاضل رئيس تحرير المقتطف : قرأت كلمة حضرة الفاضل الأستاذ نقولا الحداد بصدد ما سماه تناقضاً في حقيقتين من حقائق نظرية النسبية هما انعدام ابعاد الجسم اذا تحرك بسرعة الضوء فيختفي عن الأنظار ، وزيادة كتلته في الوقت ذاته زيادة لا نهائية

والواقع أنه لا تناقض البتة وكل ما في الأمر أننا نهمل في بحوثنا المادية كل ما يتعلق بغير المدرك من مشاعرنا . فالمادة قد تكون موجودة وقد تتزايد ثم تكون في الوقت ذاته غير مرئية منا . ولكي أمهد السبيل لفهم هذا لا بد من التعريج أولاً على الأشعة التي استكشفها في فينا الهر ستيفان بريل Herr Stefan Pribill . فهذه الأشعة اذا سلطت على انسان أو حيوان أو جماد جعلته يختفي عن العين ؛ أي انه ينعدم بالنسبة لحاسة البصر فقط

وقد استكشف بريل هذه الأشعة غير المنظورة باستخدامه مصابيح زئبقية وتيارات كهربائية ذات ضغوط مرتفعة جداً . وهو يرشح هذه الأشعة التي من هذا الطراز خلال مرشح من حجر الكوارتز البنفسجي ، وبعد ترشيحها يسلط عليها مرايا لتحكمها في أي اتجاه يريده فاذا ما سلطت الأشعة بعد ذلك على رجل أو كرسي أو ما شئت من سلع أو حيوانات اختفى كل هؤلاء لا عن العين فحسب بل عن عدسة الفوتوغرافيا ايضاً

وفي المعرض الزراعي الصناعي الأخير الذي أقيم في القاهرة منذ بضع سنوات أجريت تجارب من هذا الطراز أمام جماهير الزائرين

ومن الموجات الصوتية ما هو صامت لا تدركه الأذن . وقد استحدث هذه الموجات الصوتية الصامتة الأستاذ وود Wood الأميركي ؛ وهي موجات قصيرة جداً لا تستطيع الأذن ادراكها ، قوية التضاغط والتخلخل بحيث اذا اطلقت في الماء رفعت درجة حرارته وقتلت صدفيا الأسماك. ولا يمكن ان تدركها الأذن الا اذا تداخلت موجتان منهما مختلفتا الدرجة

سقت هذا لأبين ان هناك مواد لا تدركها العين مع وجودها ، وهناك كذلك أصوات لا تدركها الأذن مع وجودها

فاعتبار الزمن مثلاً يحدث للجسم الذي يتحرك . وخذ صور التمثيل السينمائي فالمعروف ان الحركة تنشأ في الصور السينمائية من تغير عرض سلسلة متتابعة من صور فوتوغرافية مرصوفة بالنظام على شريط شفاف . أما التغيرات الطبيعية في موضع الأشياء في الصور — وهي التغيرات الناتجة عن تحركها وقت أخذ الصور الفوتوغرافية — فقد اندمجت بعضها في بعض وامتزجت حتى تبدو للعين كأنها حركة طبيعية . ويرجع سبب فاعلية هذا الامتزاج الحادث في الصور المتغيرة الى التأثير الذي يحدث في العين والمعروف باسم استدامة الرؤية persistence of vision وبعبارة اخرى بقى التأثير الواقع على الخلايا العصبية الموجودة في شبكية العين في الذاكرة دون وعي به او ادراك فيفصل الصور الرائي بذلك الامتزاج الحادث في الصور المتتابعة

ولن تستطيع العين ان تدرك تغيراً يستغرق حدوثه من الوقت ١٠ من الثانية. ولذلك فان تحرك جسم ما من نقطة لأخرى خلال تلك الفترة الزمنية القصيرة لا يمكن ان يرى بل يستطاع تصوره فقط. واذا تبادلت بسرعة صورتان فوتوغرافيتان لأشياء واحدة وانما تغيرت أوضاعها تغيراً طفيفاً فانهما تبدو للعين كأنما هما صورة واحدة لمجموعة الاشياء تلك قد تحركت بالفعل ، وذلك لان الصورة الثانية تكون قد أضيفت كما هي الى الاولى التي استبقتها الذاكرة ، فيستنتج العقل بالطبيعة ان الحركة مستمرة متواصلة

فاذا تصورنا اننا أسرعنا في ادارة الشريط سرعة متناهية بحيث يسقط أمام العين في الثانية بدل العشرين صورة ألف او ألفان او اكثر من الصور فهل تدرك العين عندئذ شيئاً ؟ إن مجرد تمرير عشرين صورة بل ست عشرة صورة أفقد العين حساسيتها وأفقد المخ حاسة ادراك انها صور متغيرة فما بالك بتمرير هذا القدر من الصور ؟

***

والجسم المتحرك بسرعة الضوء يسقط على شبكية العين ألوف من صوره في الثانية الواحدة فيزداد ضلال تصور الرائي من امتزاج هذه الصور فلا يرى شيئاً . وخير مثل نقدمه رصاصة البندقية حين تنطلق . فالرصاصة في معظم الاحيان لا تدرك العين حركتها فلا تراها . ونخلص من ذلك الى ان الجسم المتحرك بسرعة الضوء لا تستطيع العين تتبعه ، ومن هنا لا تستطيع ادراكه ، ولو استطاعت لرأت الضوء نفسه ، ولا يفوتنا ان الضوء في نفسه لا يرى ، وذلك راجع لسرعته الكبيرة . فهو موجود وله ضغط قاسه العلماء ومع ذلك لا تراه العين

احمد فهمي ابو الخير
مدير ادارة السينما بوزارة المعارف

اسوالد شنجلر

صديقي الاستاذ الفاضل رئيس تحرير المقتطف

بعد التحية : اطلعت على ما كتبهُ الاستاذ السيد ابو النصر احمد الحسيني الهندي في استنكار يهودية المفكر الثابه اسوالد شنجلر ، وقد اعتمدت في الاشارة الى يهوديته على مقال ظهر بمجلة العصر الحي الاميركية (The Living Age) في العدد ٤١٢٠ مجلد ٣١٧ الصادر في ٢٣ يونيو سنة ١٩٢٣ والمجلد بحذافيره محفوظ عندي وعنوان المقال هو « ضد السامية » Anti-Semitism وهو عرض لكتاب طبع في ليبزج في نفس السنة اسمهُ بالألمانية Das Wesen des Antisemitismus تأليف الكونت هرمان كيرلك لورنزوف كالرجي ، وقد كتب له مقدمة تصيرة نجل المؤلف ، واسمه ريشارد كالرجي ، أشار فيها الى قادة الفكر من اليهود في القرنين التاسع عشر والعشرين ، وكان في طليعة من ذكرهم برجسن وشنجلر واينشتين وفرويد وقد اوضحت مجلة العصر الحي انها ترجمت المقال المذكور عن جريدة كانت تظهر في بودابست — ولعلها لا تزال تظهر — اسمها Pester Lloyd . وما ذكره الأستاذ عن قوة بصيرة شنجلر ودقة تفكيره لا يكفي بطبيعة الحال لانكار يهوديته ، فاني أتذكر انه قد عاش في القرن السابع عشر رجل لا اختلاف في يهوديته يدعى « باروخ اسبينوزا » بنى به مؤرخو الفلسفة على تباين منازعهم ، وأظن هذا الرجل قد اوتي شيئاً من قوة البصيرة ودقة التفكير ، ويزعم بعض مؤرخي الفلسفة والأدب انه قد أثر في التفكير الألماني وبخاصة في جوته كبير شعراء الألمان

***

بقيت مسألة ربما استوجبت الشك في يهودية شنجلر وهي اعتزاز عصبة النازيين بآرائه وتشيعهم لهم — وأحيل القارىء في هذا الصدد على ما كتبهُ في نقد آراء شنجلر المفكر الانكليزي الحر لبوناردو وقف في كتابه عن الدجل السياسي والفلسفي الحديث وقد اختار لكتابه هذا الاسم العجيب وهو Quack, Quack اي « دجّال ، دجّال ! » — ولكن هذا في رأيي لا ينفي يهوديته ، فقد ذكرت مدام لورنمر في كتابها[1] « ماذا يريد هتلر » ان الفرد روزنبرج

(١) راجع صفحة ٩٨ من كتاب What Hitler Wants

صاحب الآراء المتطرفة في الشيوعية ليس الذي حاقداً وان الدم اليهودي والتروسي يجريان في عروقه ويهوّن الثائرون من شأن ذلك بابتكارهم نظرية جديدة هي من مستحدثاتهم الباهرة وهي « ان النفوس الثورية قد تسكن الاجسام غير الثورية والعكس بالعكس »

فاذا كان عند الاستاذ ما ينفي يهودية شبنجلر فليتفضل بذكره في المقتطف تعزيزاً للحق الذي يشهده جميعاً وأنا على أتم استعداد لأرضخ لغيره وألحقهُ بالثلاثة الآخرين من كبار المفكرين اليهود الذين ذكرتهم في مقالي عن الفيلسوف برجسن

وتفضل بقبول تحياتي علي أدهم

المقتطف: وبعدما تلقينا من الاستاذ أدهم الكلمة المتقدمة تلقينا من الدكتور الجمالي بالعراق استفهاماً آخر عن يهودية شبنجلر فنشرناهُ في ما يلي :

* * *

حضرة صاحب المقتطف الأغر — بعد اهداء التحية والاحترام :

عقد الاستاذ السيد علي أدهم في العدد الثاني من المجلد الثامن والثلثين من المقتطف الأغر الصادر في فبراير سنة ١٩٤١ فصلاً عن الفيلسوف الكبير هنري برجسون قال فيهِ ما نصهُ :—

« وقد يكون من الخير أن نذكر في هذا العصر الذي غلبت فيهِ على بعض الامم الآراء العنصرية الزائفة أن برجسون أحد أربعة من ابناء اسرائيل كان لهم تأثير كبير في التفكير الحديث ، والثلاثة الآخرون هم فرويد العالم النفسي الذي قال عنهُ ماكدوجال إنهُ أكبر عالم نفسي عرفته الدنيا منذ عهد أرسطو — واينشتين صاحب الآراء المعروفة في النسبية ، وشبنجلر مؤلف كتاب « تدهور الغرب » الذي كان له تأثير كبير في دراسة التاريخ والموازنة بين الحضارات . . . الخ »

اننا نعرف أن « اسوالد شبنجلر » ليس يهودياً وانما هو نازي قح ، وآخر تآليفه كتابه الذي ألفهُ قبل بضع سنوات أي قبل وفاته « ساعة التصميم » « The Hour of Decision » وفيهِ يزعم أفضلية العنصر الجرماني على سواهُ من العناصر الاخرى وانهُ العنصر الذي وكل الله اليهِ تحقيق ما فيهِ خير البشرية وسعادتها

اننا نرجو من الاستاذ السيد علي أدهم اعلامنا المصدر الذي استقى منه خبر كون « اسوالد شبنجلر » يهودياً ، وتصور قراء المقتطف بانواعهم ولكم مزيد الشكر

المخلص

العراق الدكتور محمد فاضل الجمالي

مكتبة المقتطف

تشرتشل

رجل مفرغ في قالب الابطال — صفحاته ١٤٤ من القطع الوسط — تطبع دار المستقبل بمصر

من لطف الله بالعالم في المحنة الأليمة التي يجتازها ، والفتنة الأليمة التي تريد أن تسيطر عليه ، أن أتاح له رجلين أو قل قوتين جبارتين ، وإرادتين حديديتين ، وعزيمتين ماضيتين مجتمعتان على فكرة واحدة وغرض واحد ليس الشر جزءاً من سياستهما ولا البغي فصلاً من رسالتهما ، عُرفت عن أولهما صلابة الرأي مع سداده وحرية الفكر مع الصراحة الخالصة من شوائب التهريج والدعاية يرمي ببصره الى أبعد آفاق السياسة فيطوي العالم في نظرة ليبني بعد ذلك خططه في اناة وحزم . وعُرفت عن الثاني روحه الديمقراطية السمحاء ودعوته الى السلم وسعيه الى إقراره فلما لم يستطع ذلك لم تهن عزيمته ، وعرف أن السلام الصحيح كالايمان الصحيح لا بد له من بعض الشك في صحة الأشياء ليتخذ طريقاً الى الايمان الحق فأطلق عزماً هز العالم وشد أزره في سلام بعد ذلك صحيح

هذان الرجلان هما تشرتشل وروزفلت زعيما الديمقراطية في العالم الآن والمناضلان لقوى الشر والباطل ، والثابتان لأعاصير السياسة الدولية لا يتزعزعان

فرجل بريطانيا ثابت في سياسته ثبوت الجزيرة العاتية القائمة في وجه القوى الشريرة المتألبة عليها من البحر والجو ، فيه كل خلق هذه الجزيرة وأهلها . رجل استطاع ان يهز العالم هزاً ويذله اذلالاً ، ويسيره من شرق اوربا الى غربها يستحدي هذا ويسترضي ذاك ، ويوقف ضرباته الخاطفة ويسد عليه الخناق . ثم يهوي بالصنم الفاشستي من عليائه ويكشف عنه قناعه فاذا هو صريع هشيم سخرية للعالمين وآية للظالمين

رجل استطاع ان يجعل الكلمة المأثورة «أول ضحايا الحرب : الحقيقة» حكمة لا تنطبق في هذه الحرب من جانب الحلفاء فآمن العالم بما تذيعه بريطانيا ووثق بأخبارها لأن رجلها

يقف بطلع العالم أجمع على حقيقة الموقف. لا يستر شيئاً ، ولا يهاب تعرير حقيقة ، ولا يبني على نصر مما تكن قيمته القصور الناشئات

هذا هو الرجل العالم الأديب ، والسياسي المفكر، والصحفي المقدام ، والضابط الحر الفكر ، والقائد الذي يقود العالم اجتمعت له جميع عناصر البطولة ، من الطفولة الى الكهولة . وليست البطولة ان تقف مستعداً عشرين عاماً لتخرّب وتدمّر ، ولكن البطولة أن تقف في وجه المستعد للتأخر دون استعداد فتقسره على أن يحسب للثالث حساب ، ويعدّل خطته الف تعديل، ويحاربك كيف يصارعك وفي أي مكان

ليست البطولة جديدة في حياة وستن تشرتشل ولكنها في دمه منذ طفولة أظفاره وليست الصراحة سياسة جديدة ألزمته اياها الظروف ولكنها غريزة فيه منذ صغره ، وليس نشاطه وسهره بالغريب فهو مناضل منذ زجّ بنفسه في حلبة السياسة وهو شاب . فقوى النشاط عنصر من عناصر حياته

ولقد جلا الاستاذ فؤاد صروف هذه الشخصية العظيمة أمام ابناء العربية وكشف عن مظاهر عبقرية تشرتشل وبطولته في الترجمة التي وضعها له في أسلوب قصصي شائق وبالدقة التي امتازت بها تآليفه فأطلعنا على حياة هذا الرجل في طفولته وعند ما انتظم بالمدرسة الحربية ثم اشتراكه بعد ذلك لأول مرة في ثورة جزيرة كوبا ثم في بعض وقائع الهند ثم في معركة أم درمان ثم في حرب البوير وهو في جميع الحروب يحمل الى جانب السيف قلماً أمضى منه يسته غير هياب ، وكانت لتقدماته وصراحته فيها ضجة كادت تحول دون اندماجه في بعض حروب الامبراطورية . ولكن القلب العظيم لا يعرف اليأس فقدشق طريقه الى غاياته فلما انتهت الحروب انتقل الى ميدان السياسة فكان شعلة متقدة في مجلس العموم . وقد عرض المؤلف هذه الناحية عرضاً رائعاً أبان فيه عن نواحي العظمة الكامنة في بطله المناضل المكافح لا يثنيه فشل ولا يزدهيه نجاح حتى اذا ابتدأ الفصل الثالث من هذه الترجمة ، والفصول التالية أطلعنا المؤلف على جوانب تاريخية للحرب الكبرى التي نشبت سنة ١٩١٤ وما كان لتشرتشل من أثر فيها وما وجه اليه من حملات خلالها ثبت فيها حتى استطاع أن يخرج منها كما يخرج النصر من النصبة الكالحة. وتخرج بعد ذلك قضية بريطانيا وحلفائها ظافرة

ان الرجل الذي يهتف في شبابه عندما نشبت حرب البوير : « كنت حتى نشوب الحرب اطلب السلام مهما يكن الثمن . فلما نشبت اصبحت أطلب النصر مهما يكن الثمن » هو هو الرجل الذي يهتف في الحرب الحالية عندما قلد رآسة الوزارة : « ليس عندي ما أقدمه الا الدم والعرق والدموع والدماء . . . تسألني ما سياسة الحكومة ؟ فأقول شن الحرب . وما غرضها

فأقول : النصر » وهو هو الرجل الذي ينتظر العالم منهُ جهود الجبارة في سبيل قضيته الكبرى قضية السلام العام

ان حياة هذا الرجل حياة جديرة بالاجلال لانها نضال في سبيل الانسانية وخيرها لا في سبيل المطامع الذاتية والطغيان الغاشم ، وان كتاب الاستاذ فؤاد صروف لجدير بأن يتدبره الشباب ففيه دروس لكل شاب ، وان يطالع عليه الشيوخ ففيه عظات بالغات للقوى المذخورة في هذا الرجل ، وأن تقرأه المرأة ففيه نواح من التربية الخلقية جديرة بالدرس والتلقين فانا مقبلون على عالم يتطلب الكفاح والنضال واليقظة المستمرة . وليس هناك ما هو أبلغ في التأثير في نفوس الناشئة من سرد حياة العظماء

ولعلَّ وقت الأستاذ فؤاد يسمح لهُ باعادة طبع هذا الكتاب بعد أن يضيف اليه ناحية من حياة هذا الرجل الأدبية مع عرض نماذج من آثاره فيها فما حمل الأثير في هذا الزمن الصاخب أروع من خطبه المشتملة بضروب الثقافة ، ولا غرو فالأديب الكبير يدمغ كل عمل يعمله ولو كان الحديد والنار بالطابع الذي يدمغ به صحائفه . والأستاذ فؤاد صرُّوف من خير من يتناول حياة عظماء السياسة المعاصرين وهو المطلع على تيارات الفكر ، المراقب لتطورات الحوادث بعين يقظ وثاب وذهن علمي دقيق

الصيرفي

نفحات تاريخية

للاستاذ عزيز خانكي بك المحامي — المطبعة العصرية بالقاهرة

مؤلف هذا الكتاب ليس جديداً في عالم التأليف والكتابة . ولكنهُ قديم فيهما متمرس بأصولها . عالم بقواعدها وما يجتذب به اليه القارئين اجتذاباً . وله في ذلك وسائل عدة ، وطرائق مختلفة . فهو يسوق الحوادث سوقاً هيناً سهلاً لا عنف فيه ولا تعقيد ولا معاظلة . حتى يضطر القارىء الى متابعته والإيمان على كل ما يكتبه وقد خرج من ذلك لم يكدح فكراً ، ولم يتكلف نهماً

ويمتاز أيضاً هذا الشيخ الذي أدرك كثيراً من الحوادث ، وعاصر كثيراً من السنين بمزية الطرافة في كل ما يكتبه . وهذه الطرافة هي السر في الحاح القراء على كتبه وخاصة التاريخية منها لأنها تسرد الحوادث في رفق ، وتنتقل بالقارىء من روضة الى روضة ومن ثمرة الى ثمرة فيجد في هذا الانتقال لذة كبيرة ومتاعاً عظيماً

ويمتاز الاستاذ أيضاً بكثرة الانتاج وانهماره حتى في هذا الزمن الذي كلَّت فيه العقول من كثرة ما أصاب العالم من خراب لا تعلم له غاية ، ولا تدري له نهاية . وهو لا يبالي في سبيل

ان ليس بما يصادف المؤلفين من عقابيل المادة فارتفع ثمن الورق ! وليلغ ذلك الارتفاع مدى ما كنا نحن به من عام وبعض عام ! وليضن المؤلفون باخراج كتبهم في هذه المحنة القاسية ! ولكن أستاذنا الجليل لا يبالي بذلك كله ولا يقيم له وزناً ولا يحسب له حساباً . . . فيخرج كتابه الذي نقدمه اليوم الى القراء في حلة جميلة على ورق صقيل ، ومحلى بالكثير من الصور التي تعرض لهم من الرجال او لما تناوله من الحوادث

وفي الكتاب فصول طريفة غاية الطرافة لا تجد لواحد منها فضلاً على واحد . ولا لبعضها ميزة على بعض فكلها شائقة ممتعة تحتوي من المعالم التاريخية مالا يستغني عنهُ كل مثقف أديب او ذكي لبيب . تذكر منها فصلاً تاريخيًّا عن خديو مصر وعزيز مصر ، وفصلاً عن بعض كبار الأرمن في مصر وفصلاً عن أتاتورك وفصلاً عن مصطفى كامل وفصلاً عن السلطان عبد العزيز في مصر وفصلاً عن تمثال محمد علي وغير ذلك من الفصول التي تهم معرفتها كل باحث ليرجع اليها متى شاء فيجد فيها تاريخاً محصاً وقد يكون مؤيداً في بعض الأحوال بمشاهدات المؤلف نفسه او بسماعه

ومن محامد الأستاذ عزيز خانكي بك أنهُ لا يبغي من وراء تآليفه نفعاً ماديًّا ولا ربحاً ماديًّا ، ولو أراد ذلك لاجتمع لهُ من الربح كثير . ولكنهُ يؤلفها خدمةً للعلم أو حسبةً للتاريخ أو احتساباً للأدب ويوزعها على من يطلبها من القارئين . فاذا كانت المكتبة العربية مدينة لهُ بتسعة وعشرين كتاباً ورسالة أخرجها الى اليوم فانا نرجو مخلصين أن يمد الله في عمره ويبارك في حياته المنتجة حتى يخرج من كتبه اثني عشر كتاباً لا تزال تحت الطبع

ومن حسنات المؤلف أنهُ يؤمن بأثر التاريخ القومي في تكوين القومية ، وخلق الوطنية ولذلك تراه دائماً يختار سير الرجال البارزين في مصر ، أو يختار أكثر الحوادث الوطنية امتلاء بالعبر وحفولاً بالعظات فيبسطها ويعرضها على القراء لعلها تجد الى نفوسهم مسلكاً ، والى قلوبهم ومشاعرهم مجازاً

عزيز خانكي منصف في كل ما يرى ، محقق في كل ما يكتب — الاَّ بعض هفوات لا يسلم منها من تعرض للكتابة واستهدف للتأليف . وقد ذكر حضرته في عداد المؤرخين المصريين اسم الاستاذ (عمر الاسكندري) هكذا (احمد عمر الاسكندري) والحق أن احمد وعمر أخوان كان أولهما عالماً لغويًّا جليلاً وأستاذاً في دار العلوم وعضواً في مجمع فؤاد الأول [وقد تشرفت بالتتلمذ عليه — رحمهُ الله —] . أما الثاني الأستاذ عمر الاسكندري — مدَّ الله في حياته — فهو مؤرخ محقق كبير

محمد عبد الغني حسن

الألحان

٩٣ صفحة من القطع الوسط ، ونشرها دار « الكشوف » في بيروت وضمت في مطبعة الاتحاد

منذ عامين تقريباً أصدر الشاعر الاستاذ الياس أبو شبكة مجموعة من شعره عنوان « أغاني الفردوس » نالت من إعجاب الادباء وتقديرهم ما هي جديرة به ، ولاقت من النقاد ناحيتين مختلفتين من وجهتي النظر ، ناحية اعجابهم بهذا المنحى وتأييد له وناحية نقد في عنف فلقد طالع القراء في تلك المجموعة اتجاهاً خاصًّا في تصوير النزعات الفنية تصويراً دقيقاً في شيء من الصراحة التي ألبسها الفنُّ ثوباً فتّاناً تأبى بها عن لوثة الحسّ المبتذلة ، فكانت لحناً منطلق الألسنة متورد الوجه

وكأنما أراد الشاعر أن يهدّئ أعصاب قرائه بعد ذاك — وبخاصة في هذه المحنة التي يجتازها العالم — وأن يريهم عالماً آخر من نفسه حالماً هادىء اللحن كالجدول المنساب في فضة القمر السائلة على لسم الليل الساجي بين المروج الخضر الحالمة ، بعد ان أرانا عالماً صاخباً بالثورة ، عاجًّا بالشهوة ، تختلط فيه املاكه بشياطينه ، وتتحطم موجات أحلامه على صخور رغباته ، وتقدم عرائسه على متذابح شهواته وطغيانه

أجل : أراد شاعرنا أن يرينا أن وراء هذه الضجة و وراء هذا اللهب المتوهج ثمة عذب الرنين هادىء النَّفَس حالم الصدى ، ونوراً بهيًّا ينبث في هدوء وسكينة فيشيع في النفس الطمأنينة ، ويبعث فيها حنيناً الى أحلامها الضائعة في معترك الحياة وفي صخب المدن لتعود الى الطبيعة الحنون في سهلها الساذجة تعلم من بين حقولها ورياضها أزهار آمالها العطرة ، وتجمع من فوق أفنان اشجارها ثمرات ايامها الحوالي ، وتشرب من جداولها اكواب صباها الطاهر ، وتبحث عن مرحها فوق جسورها وبين صباحها الناعم ومسائها الهادىء وليلها المترنم بعصفورها وجبها وحنانها — أراد شاعرنا ذلك ، فأخرج مجموعته الشعرية الجديدة « الألحان » وهو ديوان الطبيعة في أجمل صورها وفي أهدإ مراحيها فهو يمشي مع الرعاة والحصادين ينشدهم من فيثارته ذوب قلب هادىء حنون يمجد الفلاّح ، ويشارك القرويين افراحهم ويغني لأطفالهم في أعيادهم وبسامرهم في أمسياتهم ويستيقظ معهم على نغم الطبيعة الساري . فبعد ان كنا نسمع شاعرنا يصرخ في ديوان « الأفاعي » :

أسليلة الفحشاء تاركِ في دمي قيضرمي ما شئت أن تتضرمي
أنا لست أخشى من جهنم جذوة ما دام جسمي ، يا سدوم جهنمي

إذ بنا نسمعهُ في ديوانه الجديد يغنم في « صلاة الغيب » :

اسمعي الأجراس في قبة دير الراهبات

يحمل الوادي صداها لنفوس الزاهدت
فيه أصوات حنان وبقايا زفرات
صمتها راهبات الدير قدام الصليب
اسجدي لله يا نفسي فقد وافى المغيب

وتسمعه في « ألحان القرية » يهتف في لهفة وتحسر :

أرجع لنا ما كان يا دهر في لبنان
كانت لنا أحلامنا والمنى
وكان صفو الزمان
كان الضمير الحي من كنزنا المزمن
وراحة الوجدان وكان... كان الأمان
والعيش حلو الجنى
يا دهر ارجع لنا
ما كان في لبنان

وقد اضطرته هذه الحياة الهادئة الناعمة الحالمة أن يضرب ريشته في وداعة وهدوء وفي اسلوب رقيق ليستطيع التوفيق بين الصورة الساذجة التي يراها وبين ما يجب أن تؤدّى به من اللفظ . وهو بين الثورة في ديوانه الأول ، وبين الهدوء في ديوانه الثاني وبين اللهب المتوهج هناك ، وبين التوتر الهادىء الرقيق هنا ، وبين ما تحتاج اليه الحياة الاولى من ألفاظ وأساليب وبين ما تحتاج اليه الحياة الثانية ... هو هو الشاعر الذي لا تغيب عن فنه دقيقة من الدقائق ، ويصور الساذج من الصور فيحولها الى فن رائع . فنسمعه في قصيدته « المعصرة » يقول :

اعصروا العنب واملأوا القرب
ثملنا ندى خمرنا أدب
فيك المعصر روح النجوم والقمر
وفي الكروم مرّ النسيم فاختمر
وفيك ذاب الصباح معطر الاقداح
ودبّ فيك اللهب
ياعنب

هذه هي روح هذا الديوان الجديد ، وهذه هي أنغامه . ومن قصائده : « الحصادون » و « ألحان الشتاء » و « ألحان الربيع » و « ألحان الصيف » و « ألحان القرية » و « ألحان

الطيور » و « المصرة » و « الفلاح » — وقد نشرت في هذا العدد من « المقتطف » — و « نهر الصليب » و « المساء في الجبال » و « عرس في القرية » و « عيد في القرية » و « صلاة المغرب » و « يا بلادي » وجميع هذه القصائد تجري على النمط العذب الذي قدمنا نماذج منه . ومن روائعه في قصيدة « ألحان الربيع » وهي من السهل الممتنع قوله :

نم يا حبيبي نوم الهنا نامت عيونُ الزهر
ونام إلاّ المنى والقمرْ
حتى الندى نام والنسم نمْ يا حبيبي نمْ
النهرُ في الوادي والغصن والشحرور والبلبلُ الشادي
وكلُّ حيٍّ نامْ إلاّ العطورْ
والهيامْ في فؤادي

وقد ختم الشاعر مجموعته بمقتطفات من طرفه الشعرية « غلواء » التي كنا ننتظر صدورها وهي قصة شعرية في خمسة عهود حالت الأحوال الحاضرة وأزمة الورق دون إخراجها بالحالة التي ترغب فيها « دار المكشوف » فاختار منها المقتطفات التي نشرها وإنا لنأمل أن تتاح الفرصة لاخراجها قريباً لشائق أدب هذا الشاعر فهي من عيون الشعر العربي الحديث ، وقد رسم لنا الشاعر صورة « غلواء » في هذا الاطار البديع :

غُلواء ما أحلى اسمها المطارا ! صبيّةٌ تهبطها الدراري
لا يستطيع شاعرٌ أن يبدعا قصيدة أجمل منها مطلعا :
تصوّر الازهارَ في نوّارِ تمشيها ارتعاشة الأنوار
تصوّر النسيم في الصباح يهزُّ ساق الفلّ والاقاح
تصوّر السماء في روائها كأنها الأحلام في صفائها
تصوّر الأعشاب في الجبال تحلم في مهدٍ من الظلال
تصوّر الرابية الجميله لونُها ظلٌّ من الحميله
وكومَ الثلج على الروابي تطفو عليها صفرةُ الثياب
وانظر أخيراً نظرة سريعه مختلف الجمال في الطبيعه
تعرف إذاً معرفة علياء كيف السماء أبدعت غُلواء

هذه هي نفحة من هذه الطرفة الشعرية الرائعة . وتلك نفحات من « الألحان » الجميلة العذبة التي سكبها الشاعر في اذن الزمان لتغير بعض الشيء مما يصك مسامع الزمان من قصف المدافع ودوي الحديد والنار وصراخ المكتوين بين قهقهة الطغاة المنتصرين

فهنيئاً لعالم الشعر بأنغامه ، وهنيئاً لأخي الياس بألحانه الصيرفي

أشواق

١١٦ صفحة من القطع الصغير — مطبعة مصر

أصدر الشاعر الرقيق الاستاذ محمود ابو الوفا مجموعة جديدة من شعره سماها « أشواق » وهي في رقتها وعذوبة ألفاظها ودقة معانيها تنبع من نفس القلب الذي أخرج « الأنفاس المحترقة » وتبدو على شعره تلك السماحة التي أشار اليها الاستاذ فؤاد صروف عندما قدم الديوان الاول لهذا الشاعر . ومحمود ابو الوفا شاعر غنائي مرح العاطفة وثاب القلب ينمي في حبه كل ما يحيط به من دنيا الناس كما في قصيدته « تعالي نطر . . . » حيث يقول

تعالي نطر في سماء الهوى فلا بدَّ للحب من أجنحهْ
ولا بدَّ للحب من ساعةٍ تكون لنا الساعة المفرحهْ

***

تعالي نفسر حلم الهوى ونهدي الى الحب تفسيرنا
فان أبصر الناس فردوسنا وأعجبهم : تبعوا شرعنا
بدمعي أنا قد سقيت الغرام ربك ! لا تحرميني الجنى
تعالي ! تعالي بنا نجتها ونغتنب الفرصة السانحهْ

ومن أجمل أبيات هذه القصيدة هتافه لمحبوبته :

ولا تحسبينا ابتدعنا الهوى ولا أنا في الهوى وحدنا
فقد ظلَّل الحب من قبلنا وسوف يظلِّل من بعدنا
لقد مرَّ بالحان أهل الهوى جميعاً ، وخلَّوا لنا كأسنا

وقد ضمَّ في هذه المجموعة كثيراً من المقطوعات التي غنيت لهُ في السنوات الأخيرة مثل « عند ما يأتي المساء » و « الينابيع السبعة » و « عاشقة القمر » ومن روائعه في هذا الديوان قصيدة « قلب الفنان » ومنها يقول :

من أنتِ ؟ من أنتِ ؟ قولي لا تُحاذرهْ فقد وهبتك إسراري وإعلاني
تكثرُ الناس آتٍ من نكائرهم لو يظهرون لنا احتاجوا لتكتمانِ

وفيها يقول ايضاً :

أمشي وقلبي على كفّي . أقول : ألا من راغب في فؤاد صادق حنِ
يحب حتى كأنَّ الأرض ليس بها الا زنابق من آسٍ وسوسانِ
بل ليس في الأرض من بغض ولا إحنٍ وليس في الأرض من ظلم وطغيانِ

وله من قصيدة « علميني يا حياتي » :

ما الذي في ناظريك حيراني
ما كتان ، مصحان واضحان
غامضان ، هادئان ناعسان
وهما في كل هذا هما منكسران

وقصائد الديوان قسمان : قسم للغنائيات والتأملات ، وقسم للقوميات وقد طبع هذا الديوان طبعاً أنيقاً

***

تاريخ الوزارات العراقية

تأليف السيد عبد الرزاق الحسني — الجزء الثالث — صفحاته ٢٦١ صفحة قطع المقتطف — طبع بمطبعة العرفان بصيدا

تاريخ سياسي نفيس يبحث في نشوء الدولة العراقية ويتكلم عن الأدوار التي اجتازتها ويثبت نصوص المعاهدات والاتفاقات التي عقدتها الوزارات المختلفة التي تعاقبت على كراسي الحكم في هذه البلاد منذ نشوء الدولة العراقية حتى الآن وذلك بأسلوب مجرد عن التحزب ومؤيد بالصكوك والوثائق

« وكانت الحكومة البريطانية تصدر تقارير سنوية مسهبة عن سير الادارة في العراق في مفتتح كل عام مضمنة اياها حوادث السنة الماضية كبيرها وصغيرها فكانت هذه التقارير خير مصدر رسمي يعوّل عليه المؤرخ في تتبع شؤون الدولة وحوادثها. اما بعد انتظام العراق في سلك العصبة الأممية في اواخر عام ١٩٣٢ فقد توقفت الحكومة المشار اليها عن هذا النشر فزاد هذا التوقف في مشاق المؤلف

« وكان مجلس الوزراء العراقي يطبع قراراته مطولة في كراريس صغيرة لكل اربعة أشهر كراسة مستقلة وكان بعض الوزراء يمهد لنا سبل الاطلاع على هذه القرارات فنستفيد منها فوائد غير منكورة . أما بعد السنة ١٩٣٩ فقد أبطل هذا النهج وأصبحت القرارات مقتضبة لا نجدها الا في أضابير ممنوعة وهذا ما أدى الى حرماننا أهم مصدر من المصادر نعول عليها

« وقد رأينا بعد هذين الحادثين ان نركن الى رؤساء الوزارات فلتسهم موافقتنا ببعض الايضاحات التي تساعدنا على أداء هذه الخدمة التاريخية الكبرى على وجه أتم او نرسل اليهم بعض مواد الكتاب التي تخصهم ليبدوا مطالعاتهم فيها فلم نلق من معظمهم المؤازرة بالصورة التي كنا نبتغيها » — اه من كلام المؤلف في مقدمة الكتاب

باب الأخبار العلمية

أساليب مكافحة الغواصات

للغواصات عدوان لدودان الطائرات والمدمرات . الأولى تتبينها من الجو فتقذفها بالقنابل وبوكات غائصة والثانية تستكشفها من سطح الماء فاذا تبينتها على سطحه قذفتها بقنابل المدافع واذا تبينتها بالأجهزة الخاصة وهي تحت سطح الماء قذفتها بقنابل الأغوار

قنابل الاغوار

قنابل الاغوار او الأعماق أوعية تحوي مقادير من مواد شديدة التفجر يستطاع ضبطها حتى لا تنفجر الا على عمق معين . وهي في مظهرها الخارجي لاتختلف عن برميل متوسط من الزيت وتُدحرج عادة الى الماء على لوح منحدر ، من مدمرة او سفن أخرى . فليست هناك حاجة الى جهاز خاص دقيق لاستعمالها ، فاستعمالها ليس بمقتصر على المدمرات دون غيرها . وقد تقذف الى الماء مسافة اربعين قدماً من جهاز يشبه مدفع الهاون قصير الأنبوبة واسع الفوهة . وعلى السفينة التي تتقي إحدى هذه القنابل في الماء ان تسرع في الابتعاد عن موقع القائها لكي لا تتأثر بصدمة الانفجار تحت الماء

فاذا تبينت مدمرة وجود غواصة تحت الماء في موقع معين ألقت في الماء أربع قنابل من قنابل الأغوار كلاً منها في زاوية مربع تحيط أضلاعه بالموقع الذي فيه الغواصة وتضبط القنابل حتى تنفجر على مسافة تحت سطح البحر حيث تكون الغواصة كما يحسب عمقها بواسطة الأجهزة الدقيقة المصنوعة لذلك خاصة

وفعل قنابل الأغوار ناشيء عن ان الماء يضغط على جوانب الغواصة ضغطاً عظيماً عندما تغوص فاذا أضيف الى ضغط الماء العادي موجة ضغط جديد متولد من انفجار القنابل فعندئذ قد تصاب الغواصة بما يعطلها عن الحركة او يفكك ألواح جدرانها او يدمر بعض أجهزتها الدقيقة ولو لم تصب الغواصة بالقنبلة اصابة مباشرة

أجهزة استكشاف الغواصات

ولاستكشاف الغواصات وتبينها وتعيين مواقعها تحت الماء أجهزة دقيقة سادتها معروفة ولكن تطبيق تلك المبادىء فيها سر من أسرار الحرب على الغالب . فأمواج الصوت تنتقل في الماء . ولم تصنع غواصة حتى الآن لاتولد صوتاً عندما تسري في الماء . قد لاتحدث محركاتها الكهربية والغواصة تحت الماء صوتاً يذكر اذا دارت دوراناً بطيئاً ولكن فراش دافعها يحدث صوتاً عندما يدور في الماء ولذلك صنعت أجهزة دقيقة تتبين الجهة التي يأتي منها هذا الصوت . وتأثير

الصوت في سماعة الجهاز يكون على أقواه عندما يقع عمودياً عليها ولذلك تستعمل عادة ثلاثة أجهزة من هذا القبيل في ثلاث مدمرات في مواقع مختلفة لتعيين موقع الغواصة تعييناً دقيقاً تحت سطح الماء وعندئذ تضبط قنابل الاعوار حتى تنفجر على ذلك العمق وتلقى حول الموقع الذي تكون الغواصة فيه

وهناك جهاز آخر مبدؤه معروف ولكن تركيبه سر يمكن رجال المدمرات من معرفة موقع الغواصة ولو لم يكن فيها شيء يتحرك . ومبدؤه ان جسماً جامداً يعكس أمواج الصوت . ولذلك يولد هذا الجهاز صوتاً بأسلوب كهربي وينشر في الماء في جهات مختلفة فاذا انعكس عن جسم التقطت سماعة الجهاز الامواج المرتدة فيعين موقع الجسم الذي ردها على أساس سرعة الصوت في الماء والمدة التي يستغرقها في الذهاب والاياب

***

هذا قليل عن أفعل الوسائل في مقاومة الغواصات بقنابل الأعوار وفيه تعبير لشدة الحاجة الى المدمرات في حراسة القوافل فهي لسرعتها ولتجهيزها بوسائل تبين الغواصات بالأجهزة التي تقدم ذكرها وبقنابل الأعوار ولقدرتها على معالجة الغواصات متى طفت فوق سطح البحر خير السفن الحربية لهذا العمل

الطائرات والغواصات

ولكن الطائرات تساعدها في عملها هذا ولا سيما عند ما تقترب القوافل من الساحل اي عندما تصبح على بضع مئات من الأميال منها

وهذه الطائرات تابعة لقيادة السواحل البريطانية . ومهمتها العامة حراسة سواحل بريطانيا ومراقبة قواعد العدو الساحلية وهي تعمل عملها هذا متعاونة تعاوناً تاماً مع الاسطول

بين طائرات قيادة السواحل طراز يعرف باسم « صندرلند » وهي قاذفة ضخمة ذات اربعة محركات وتبلغ زنتها خمسة وعشرين طناً وعدد رجالها عشرة وثمنها ٨٥ الف جنيه . ومن أهم نواحي مهمتها المتقدمة المشاركة في حماية السفن التجارية وليس بالنادر ان تطير احدى هذه الطائرات مسافة ١٨٠٠ ميل في اليوم الواحد انجازاً لما يعهد اليها فيه

تحلق الطائرة فوق المياه التي تسلكها القوافل مرتفعة او قريبة من سطح الماء بينما يتناوب رجالها التحديق في البحر لكشف منظار غواصة او جسم غواصة تحت الماء اذا كان الجو صافياً والماء رائقاً وعندئذ يحسب قاذف القنابل في الطائرة حساب البعد والعمق والسرعة ويعدل زنتها ٢٥٠ رطلاً فيقذفها الى البحر على موقع الغواصة . وفي الاحصاءات الرسمية ان طائرات هذه القيادة نجحت في اربعة الأشهر الأولى من الحرب مائة غواصة وهاجمت ثماني وستين وأغرقت ستاً على الأقل ولم تزعم أنها أغرقت غواصة اذا كان هناك أقل شك في ذلك ولو كان غرقها كبير الاحتمال

الطائرات والغواصات في عرض البحر

ولكن الغواصات تعلم الآن تأثير هذه الطائرات في كشفها ومقاومتها فتجرب ان تفعل

فعلها في مناطق لا تدخل في نطاق حراسة « الصندوق » وعندئذٍ تقع مهمة مقاومتها على المدمرات وحدها فاذا كانت المدمرات قليلة والجو جهماً والبحر متلاطماً فقد يتعذر على المدمرات النهوض بهذه الحراسة على اوفى وجه ولذلك اقترح احد الخبراء الاميركيين ان يصحب كل قافلة سفينة حربية او غير حربية تصلح قاعدة لبضع طائرات تتناوب رصد الغواصات من الجو فترفع عن المدمرات جانباً من العبء . واقترح آخر ان تحرس الطائرات الاميركية جميع القوافل الذاهبة الى بريطانيا مسافة الف ميل من الشاطىء الاميركي او اكثر وتحرسها الطائرات البريطانية الف ميل قبل وصولها الى الساحل البريطاني فتبقى شقة في الوسط ضيقة بالقياس الى عرض المحيط تشترك في حراستها المدمرات والطائرات المستندة الى سفينة او اكثر في القافلة

التفاح وحفظ الازهار

تسلّم باعة الأزهار في الولايات المتحدة الأميركية ان حفظ الأزهار المقطوعة كالقرنفل في ثلاجات معتدلة البرد يزيد ثمرتها فهي أصلح للبيع ، ولكن حفظها في ثلاجات شديدة البرد يفسدها ، ولم يعرف السبب حتى كشفهُ فريقٌ من الباحثين في وزارة الزراعة الأميركية

فقد وجدوا ان التفاح المحفوظ في الثلاجات يطلق مقداراً من غاز الأثيلين ، وهذا الغاز يؤثر في الأزهار كالقرنفل فيذبلها ويذهب بنضارتها ، ولما كان التفاح لا يحفظ الاَّ في ثلاجات بردها قريب من درجة الجمد لحفظ الأزهار في هذه الثلاجات يفضي الى تأثرها بهذا الغاز . ولكن حفظها في ثلاجات بردها أقلُّ لا يعرضها لهذه الغاز لأن هذه الثلاجات لا تصلح لحفظ التفاح . وكذلك حلَّ باعة الأزهار الاميركيون بالاختبار مشكلة تواجههم قبل ان يعرف الأساس العلمي الذي قام عليه هذا الحل

كهربية الفم والاسنان المحشوة

كان من المسلَّم به بين أطباء الأسنان أن فم الانسان قد « يكهرب » كهربة غريبة لا يعلمون لها سبباً وقد نشأ عنها حالات غير طبيعية في الفم لا يعرف ما علاجها . وفي أحد الأعداد الأخيرة من مجلة جمعية طب الأسنان الاميركية أن فريقاً من الباحثين أثبت ان هذه الكهربة تنشأ عن اختلاف المعدن الذي تحشى به الاسنان فاذا كان في الفك الأعلى ضرس محشو بالمغنم ، وهو خليط معدني يكثر فيه الزئبق وكان في الفك الأسفل ضرس آخر تحت الضرس الأول أو قريب منهُ وكان محشوّاً بالذهب أو الفضة فمن المحتمل أن تذوب مقادير يسيرة جدًّا من الزئبق في لعاب حمضي التفاعل ويتصل بالضرس الآخر المحشو ذهباً أو فضة وهذا يولد تياراً ضعيفاً من الكهربة وقد يسبب صدمة اذا تلامس الضرسان او اذا اتفق أن ملعقة او شوكة لمستهما معاً في اثناء الأكل

وقد أجري هذا البحث على طائفة كبيرة

من الكلاب وأكثر من الني رجل وامرأة فاذا كان أحد الناس ممن يتعرض لهذه الظاهرة ظاهرة « كهربة الفم »

فعلى طبيب الاسنان ان يزيح الحشوات القديمة ويجعل حشو الاسنان جميعاً من معدن واحد أو من الملغم

أضرار التبغ وفوائده

نشرنا في هذا العدد من المقتطف مقالة عن أضرار التبغ وفوائده للدكتور اندراوس شخاشيري كما تراها في مكانها صفحة ٣٧٧ وفاتنا ان نشير فيها الى أنه أعدها ليذيعها بدعوة من وزارة الشؤون الاجتماعية من محطة الاذاعة اللاسلكية الحكومية المصرية في منتصف الثامنة من مساء السبت ٢٩ مارس الماضي فاقتضى التنويه به واستدراك ما فات

أهم المكتشفات والمخترعات

في سنة ١٩٤٠

* يدل البحث في أحجام النجوم أن رأس الجاثي في صورة هرقل أكبرها حجماً وأن قطره ٦٩٠ الف ميل وأن قلب العقرب وكان يحسب أكبر النجوم يأتي في المنزلة الرابعة

* كشفت خمسة عشر نجماً من « الاقزام البيض » التي حسكت مادتها في نطاق صغير حتى ليبلغ وزن بوصة مكعبة بوصة مكعبة منها عدة أطنان . وأول نجم عرف من هذا القبيل هو النجم المشهور باسم « رفيق الشعري »

* كشفت فأس قتان من الصلب في سوريا ترجع الى القرن الخامس عشر قبل الميلاد فهي اذا صح هذا التأريخ أقدم من أقدم أدوات الصلب التي حقق وجودها في آثار المصريين القدماء

* ظهر من الاحصاء العام الذي تم في الولايات المتحدة الاميركية في سنة ١٩٤٠ أن سكان الولايات المتحدة زادوا ٧ ر ٧ في المائة وان عددهم ١٣١ ٦٦٩ ٢٧٥ نسمة وأن مجموع سكان الولايات المتحدة والبلدان التابعة لها والملحقة بها نحو ١٥٠ مليوناً

* اقترب العلماء خطوة اخرى من « الطاقة الذرية » بمزهم الاورانيوم ٢٣٥ وهو احد نظائر الاورانيوم فاذا اطلقت عليه النوترونات بزخم معتدل أحدثت فيه انشطاراً وصحب الانشطار انطلاق مقدار من الطاقة ، ويمضي هذا العمل في ازدياد من تلقاء نفسه في تفاعل مسلسل بعد اطلاق الحبيبات الأولى على هذا الصنف من الاورانيوم

* صنع لقاح جديد ضد الحصبة وامتحن امتحاناً طيباً « سريريا » دقيقاً فأسفر عن نجاح . وصنع عقار السلفاتيازول (مشتق من السلفانيلاميد) وهو أفعل من سابقه في كفاح النزلة الصدرية (النومونيا) وقد يصلح علاجاً للطاعون الدملي

* صنع المحور الكهربي للبيع وقد بدأ العلماء يكشفون به عالماً حافلاً بالعجائب كان محجوباً عن عيونهم وعيون المجاهر التي صنعوها حتى الآن

* ثم لبعضهم تلفزة مشاهد من طائرة الى الارض . وتلفزت مشاهد مؤتمر الحزب الجمهوري الذي عقد في فيلادلفيا في الصيف الماضي فنقلت الذبذبات الى نيويورك بسلك تلفوني ثم أذيعت لاسلكيًّا من نيويورك

* أجريت تجارب متعددة أثبتت ان الثيامين او فيتامين B_1 لا يلزم لمنع بعض الأمراض وحسب بل هو لازم للنشاط الجسماني كذلك ، وان نقص الريبوفلافين وهو أحد فيتامينات B يسبب الكيرايتس (اي التهاب القرنية) ووجوده في الغذاء يشفي هذه الحالة

* قامت أدلة على أن الكبد عامل أساسي في تكوين البروترومبين المادة اللازمة في الدم لتخثيره ومنع النزف وانهُ كذلك عامل أساسي في تكوين فيتامين k الذي يمنع النزف اذا كان الدم يعوزهُ البروترومبين

* أذيع ان أحد مشتقات السلفانيلاميد وهو عقار يدعى سلفانيليلجواندين قد يكون ناجعاً في علاج الدوسنطاريا الباشلية وغيرها من حالات المعدة

* صنع عقار يدعى پرومين Promin وهو أحد مشتقات السلفانيلاميد وهناك ما يشير الى احتمال نجاحهِ في علاج الدرن المستحدث في حنازير الهند

* قررت الحكومة البريطانية إضافة الثيامين الى الدقيق على اعتبار ان الثيامين عامل غذائيٌّ لا غنى عنهُ في منع بعض الأمراض وباعث من بواعث النشاط الجسماني

قسطاكي بك الحمصي

في اليوم السابع من شهر مارس توفي في مدينة حلب علم من أعلام الأدب واليراع هو الشاعر الناثر واللغوي المحقق المرحوم قسطاكي بك الحمصي فذهب الى باريس محمود النفية ناصع الصحيفة بعد حياة مفعمة بأجل ما تنعم به حياة العاملين من ثمرات آثار وآيات المجد وحميد الآثار

ولد الفقيد بحلب سنة ١٨٥٨ في بيت عريق في العز والمجد يرجع بنسبه الى أحد نبلاء الصليبيين الذين استوطنوا في مدينة حمص وأعقبوا فيها ولم يكد الفقيد يشب عن الطوق حتى تسلَّم ادارة مصرف مالي كبير خلفه لهُ والده ثم نشب يوماً خلاف بينه وبين المصرف العثماني بحلب فأقام الدعوى عليه وذهب الى القسطنطينية ليلاحق هو نفسه الدعوى فاتصل بأبي الهدى الصيادي وكان يومئذ مدير السلطان ومستشاره فأكرم وفادته وقضى لهُ حوائجه وأنعم عليه السلطان بالوسام المجيدي ولقب بك

وكان الفقيد كثير الأسفار فقد زار اوربا ومصر غير مرة وكان في السنوات الأخيرة لا ينقطع عن قضاء فصل الشتاء من كل عام

بالقاهرة وأثر رحلاته ظاهر بيّن في نثره وشعره

ولما جرى الانقلاب العثماني سنة ١٩٠٩ كان المسيحي أوحد الذي دعي الى اجتماع عقده أعضاء جمعية الاتحاد والترقي واشترك معهم في الدعوة للحرية والجهر بها وعلى عهد نظري باشا والي حلب انتخب الفقيد ثانية عضواً في مجلس ادارة الولاية ثم عين ايضاً عضواً في مجلس المعارف برآسة نادر بك أحد مشاهير علماء الترك ثم عين معاوناً لرئيس المجلس البلدي على عهد الوالي حسين كاظم بك ولما هبط جمال باشا على حلب رأى الفقيد أن يكتم فلا يزوره ولكن أصدقاءه نصحوه بزيارته ومدحه مداراة لهُ ففعل

ولما قررت الحكومة التركية الزحزح عن حلب في أواخر الحرب الكبرى الماضية دعا والي حلب يومئذ مصطفى عبد الخالق بك نفراً من الاعيان ونصحهم بان ينتخبوا عشرة اشخاص ليقوموا بادارة المصالح وحفظ الأمن فكان قسطاكي بك في عداد هؤلاء العشرة

ولما تألفت الحكومة العربية في دمشق اختارتهُ عضواً في مجلس الشورى ثم استعفى عند ما استقلت حلب عن الشام وكان الفقيد من معارضي هذا الاستقلال وبيت الخصي في حلب من أشهر البيوتات جاهاً ومنزلةً فقد كان منتدى الكبراء والعظماء من أمثال أنور وجمال ومصطفى كمال وفيصل ولما مرت ملكة رومانيا بحلب نزلت ضيفة على أسرة الخصي

ولقد عرف الفقيد منذ حداثته بشغفه بالأدب فظل زهاء ستين عاماً يطالع الدواوين والدرر ويكتب الفصول الطوال في الأدب واللغة والشعر والاخلاق والفلسفة والتاريخ والانتقاد والسياسة مما نشر في أشهر الصحف والمجلات السورية والمصرية . ولما أنشيء المجمع العلمي بدمشق انتخب الفقيد عضواً فيه ولهُ في مجلة المجمع بحث طريف في الموازنة بين رسالة الغفران للمعري والاسفار الالهية لدانتي . ومن مؤلفاته المطبوعة : السحر الحلال في شعر الدلال وكتاب منهل الوراد في علم الانتقاد وأدباء حلب ذوو الأثر في القرن التاسع عشر ولهُ ديوان شعر كبير لم يطبع ومجموعة رسائل ومحاضرات ومقالات في موضوعات مختلفة لم تطبع كذلك

وكان الفقيد على اتصال وثيق بكبار أدباء العربية وشعرائها ولا سيما امام اللغة الشيخ ابراهيم اليازجي وكان شديد التعصب لهُ شأن كل من عرف الشيخ أو تلمذ لهُ

ولقد أقيم للفقيد في شبابه حفلة تكريم أهدي اليه فيها تمثال صنع في باريس من خالص الفضة وهو يمثل ميزفا ربة الحكمة وفي احدى يدي التمثال اكليل من الغار وفي الثانية قلم مذهب ونقش على قاعدة التمثال نمرية بيتان من الشعر من نظم صديقه الشيخ ابراهيم اليازجي

وفي سنة ١٩٣٨ أقيمت لهُ حفلة تكريم لبلوغه الثمانين برآسة الأمير مصطفى الشهابي محافظ حلب يومئذ . هذه كلمة عجلى عن ترجمة الفقيد . وسننشر في العدد المقبل بحثاً في نثره وشعره بقلم عادل النضبان

فهرس الجزء الرابع

من المجلد الثامن والتسعين

٣٤٩ سر طاقة الشمس وأدوار زيادتها ونقصها

٣٤٠ أثر الرياضة البدنية في تكوين الخلق : لمالي أحمد محمد حسنين باشا

٣٤٩ رسالة المؤرخ في عصور الاضطراب : للدكتور قسطنطين زريق

٣٥٩ الغالم أو السلاحف البرية : لاسماعيل مظهر

٣٦٤ حلم الغلة (قصيدة) : لخليل شيبوب

٣٦٥ حقيقة التحليل النفسي : للاستاذ موكلي : نقلها الى العربية حسن السلمان

٣٧٢ أشواق (قصيدة) : لعبد الرحمن الخميسي

٣٧٣ الطب المصري القديم : للدكتور حسن كمال

٣٧٧ أضرار التبغ وفوائده : للدكتور اندراوس شحاتيري

٣٨٤ امرأة اخرى (شبه قصة مصرية) : بقلم محمود كامل المحامي

٣٨٩ علاج لوقف الدم يستخرج من السمك

٣٩١ المن للمجتمع : للدكتور ابراهيم ناجي

٣٩٧ المجهر الكهربي . يكبر الاجسام ٣٠ الف ضعف

٤٠٠ النظم والطرق التجارية : بقلم ر. التميمي

٤٠٥ سير الزمان * الموارد الطبيعية وتأثيرها في الحضارة والسياسة والحرب ١ — البيئة الطبيعية والدولة ٢ — الموارد الطبيعية ٣ — المعادن والدول الكبيرة ٤ — بين التجارة الدولية والاكتفاء ٥ — المستعمرات والموارد ٦ — الموارد الطبيعية وخطط الحرب

٤٢١ حديقة المقتطف * الفلاح : لالياس ابو شبكة . الأسد السجين : لمحمود أبو الوفا . كتاب من طيار لأمه

٤٢٥ باب المراسلة والمناظرة * الفيزيقا الحديثة المرئي وغير المرئي : لاحمد فهمي ابو الخير . اسوالد شبنجلر : قبي أدهم والدكتور محمد فاضل الجمالي

٤٢٩ مكتبة المقتطف * تشرنشل : للصيرفي . تمحات تاريخية : لمحمد عبد الغني حسن . الاخاث : للصيرفي . أشواق . تاريخ الوزارات العراقية

٤٣٨ باب الاخبار العلمية * أساليب مكافحة الفواصات . التفاح وحفظ الازهار . كهربة الدم والاسنان المشوة . أضرار التبغ وفوائده . أهم المكتشفات والمخترعات في سنة ١٩٤٠ . قسطاكي بك الحمصي

مشكاة من الزجاج المذهب والملون من دير سمعان بمصر

كأس من الزجاج المذهب والملون من دير سمعان بمصر